جامعة الزقازيق
كلية الآداب – قسم التاريخ
فرع التاريخ الحديث

عبد الرحمن عزام باشا ودوره فى الحياة السياسية فـى النصـف الأول مـن القـرن العشـريـن

رسالة مقدمه للحصول على درجة الدكتوراه

من الباحث

حسين أحمد محمود العطار

تحت إشراف

أ.د/عبد الوهاب بكر محمد
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب – جامعة الزقازيق

٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً
وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ
رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو
الأَلْبَابِ) صدق الله العظيم (الزمر:)

الإهــــــــــــــــــــــــــــداء

إهـــــــــــــداء

إلـى روح... والـدى الغاليــة

رحمه ...

الله

المـقــدمـــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}

صدق الله العظيم (فصلت من ٣٠ :٣٢)

{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}

صدق الله العظيم (النمل:١٩)

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

وبعد،،،

فمع بدايات القرن العشرين تميزت مصر عن غيرها من البلاد العربية بظهور أعداد كبيرة من السياسيين الذين أسهموا بدور كبير وفعال فى رفعة البلاد واستقلالها وجلاء المستعمر عن أراضيها.

بعض هذه الشخصيات يسمى بالشخصيات الجماهيرية أو الشعبية وهى التى ذاع صيتها بين أبناء الشعب. والبعض الآخر شخصيات لم تأخذ حظها من الصيت والشهرة، ولم تسلط عليها الأضواء رغم ما قامت به من أعمال جليلة فى خدمة بلادها.

ولعل كتابة سير هذه الشخصيات يستلزم من الباحثين التدقيق لإظهار سمات هذه الشخصيات وجعلها شخصيات جماهيرية – كما يقال – أو إظهارها لعامة الناس على الأقل بالصورة التى تتناسب مع حجم ما قاموا به من أعمال.

ومن هذه الشخصيات التى كان لها دور كبير ومؤثر فى الحياة السياسية المصرية وبل وفى السياسة العربية بوجه عام عبد الرحمن باشا عزام، ذلك الرجل الذى أفنى عمره فى سبيل تحقيق رسالته وهدفه. تلك الرسالة التى أراد أن يجمع بها شمل البلاد العربية، وتحقيق ما كانت تسمو إليه نفسه من تحقيق وتكوين وحدة عربية.

لقد كان عبد الرحمن عزام فى حياته التى امتدت مع الزمن ما يقرب من ثمانين عاماً أو أكثر (١٨٩٣-١٩٧٦) خلاصة جيل من الرجال الأفذاذ الذين صنعوا حياة الوطن العربى من جديد، وبعثوه بعثاً تاريخياً أخذ به مكانه تحت الشمس، وفى سبيل هذه الغاية العظيمة واجهوا بطش الاستعمار فى إصرار وعناد، وقاوموا سيطرة الاستبداد فى ثقة وعزة ورجولة.. وهناك من تخاذل على امتداد الطريق، واستعظم بلوغ الغاية العظيمة البعيدة المدى، أما الرجل فقد ظل على طريقه فى الكفاح والنضال ثابتاً لا يلين ولا ينحرف، ولا تزحزحه الأهوال عن غايته.. كان الكفاح فى الحق فى تقديره دليل العزة والرجولة، ولم يكن الثبات على الحق فى ضميره إلا معنى من معانى الأخلاق الكريمة.

اعتنق مبادئ لم يحد عنها يوماً واحداً، عاش واضعاً شخصه وفكره فى خدمة قضايا العرب والمسلمين، فكان قاعدة وطنية لانطلاق مجموعة كبيرة من الثوار، وكان معملاً خصباً لتفريغ العديد من المناضلين فى أواسط القرن الماضى.

وبالرغم من الدور الكبير الذى لعبه عبد الرحمن عزام سواء فى تاريخ مصر المعاصر أو فى تاريخ العرب، إلا أنه – حتى تاريخ اختيارى لهذا الموضوع عام ١٩٩٩ – لم يحظ فى كتابات المؤرخين بقدرٍ وافٍ من الكتابة والبحث.

لقد اختلف النقاد حول شخصية عبد الرحمن عزام.. فريق من المؤيدين وآخر من المعارضين، ووجدت الحجج التى أدلى بها كل فريق، ولكنى لا أعتقد أنه مهما اختلف النقاد سواء حكموا له، أو عليه، فإن الواقع يثبت أنه قد أدى خدمات كبيرة وكثيرة فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها فى حياة الأمة العربية وذلك من خلال منصبه كأمين عام للجامعة العربية.

لذلك فالواجب علينا وخاصة بعد أن أصبح شخصية تاريخية أن نعيد تقويمها وفقاً للمناهج والأسس العلمية الحديثة بعد أن كُشف النقاب عن بعض الوثائق، ليس بغرض النيل من هذه الشخصية أو التقليل من أهميتها أو الانحياز إلى جانبها أو الدفاع عنها، وإنما بقصد وضعها فى مكانها الصحيح من التاريخ المصرى بل وتاريخ العرب.

لذلك فهذه الدراسة " عبد الرحمن عزام باشا ودوره فى الحياة السياسية فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ". تناولت سيرة هذا الرجل منذ نشأته وحتى وفاته متضمنة مواقفه السياسية فى شتى القضايا التى تعرض لها، وأساليب معالجته لهذه القضايا.

ولقد قُسمت الرسالة إلى خمسة فصول وخاتمة هى:-

الفصل الأول: فصل تمهيدى بعنوان " **الحالة السياسية فى مصر قبيل ميلاد عزام** "

وقد عالج هذا الفصل حالة مصر السياسية وتطور الحركة الوطنية فى مصر منذ الاحتلال البريطانى وحتى أوائل القرن العشرين.

الفصل الثانى: بعنوان " **نشأة عبد الرحمن عزام وتكوينه** "

وقد تناولت فيه أصل عائلة عزام ومولده وتعليمه، بهدف معرفة مدى تأثر هذه النشأة على تكوين شخصيته، ثم اشتراكه فى الحركة السياسية بمصر ومحاربته للاستعمار الايطالى فى ليبيا ثم عودته إلى مصر، والحديث عن مؤلفاته.

الفصل الثالث: بعنوان " **عبد الرحمن عزام.. نائباً فى البرلمان** "

وقد تحدثت فيه عن بداية الحياة النيابية والانتخابات البرلمانية وتمثيله فى البرلمان لعدة دورات متتالية، ثم اختياره وزيراً مفوضاً بوزارة الخارجية، وتمثيله لمصر فى عدة بلدان، ودوره فى التقريب بين المذاهب الإسلامية. واشتراكه أخيراً فى وزارة على ماهر باشا الثانية كوزير للأوقاف ثم وزيراً للشئون الاجتماعية.

الفصل الرابع: بعنوان " **عبد الرحمن عزام والجيش المرابط** "

وقد ناقش فيه الباحث فكرة وإنشاء الجيش المرابط ثم نظامه والغرض من إنشائه ثم استقالة وزارة على ماهر مع بقاء عزام قائداً للجيش المرابط ثم أخيراً إلغاء هذا الجيش.

الفصل الخامس: بعنوان " **عبد الرحمن عزام والجامعة العربية** "

وتحدث فيه الباحث عن النشأة التاريخية للجامعة العربية ثم انتشار فكرة الوحدة العربية ثم استعرض حالة مصر قبل إنشاء الجامعة العربية وتعيين عبد الرحمن عزام أميراً للحج لمحاولة إقناع الملك عبد العزيز آل سعود بالتوقيع على بروتوكول الإسكندرية إلى أن

تأسست الجامعة وعين عزام أميناً عاماً لها ثم دور الجامعة فى حرب فلسطين وأخيراً استقالة عزام وسفره فى منتصف الخمسينات – عام ١٩٥٤م – إلى المملكة العربية السعودية كمستشار سياسى للملك سعود ثم الملك فيصل وعودته إلى مصر فى عام ١٩٧١م ثم سفره إلى فرنسا ووفاته بها.

وأتبعت ذلك بخاتمة ركزت فيها على أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

ولست أدعى أننى قد ألممت بكل صغيرة وكبيرة فى هذه الدراسة لكننى بذلت جهدى على كل حال.

وأياً كان الأمر – فهذه محاولة منى لكتابة تاريخ هذه الشخصية – استعنت فيها بما تيسر لى من كتب ومؤلفات متخصصة فقد استعنت بالكثير من المصادر المتنوعة وتتمثل فى الوثائق العربية المنشورة وغير المنشورة، وفى الوثائق الإنجليزية غير المنشورة ومذكرات وذكريات الزعماء المنشورة وأيضاً الدوريات والرسائل الجامعية غير المنشورة وكذلك اللقاءات الشخصية، بالإضافة إلى الدراسات والمؤلفات العربية والإنجليزية وبعض الأوراق الخاصة ومحاضر الجلسات بجامعة الدول العربية.

كما أطلعت على ملف خدمة عبد الرحمن عزام المودع بدار المحفوظات العمومية بالقلعة. وأطلعت على محافظ مكتب المشير بدار الوثائق القومية. وتمكنت من الإطلاع على بعض وثائق وزارة الخارجية البريطانية "F.O" "foreign office" وقد استعنت بمجموعة F.O 371، وانتهز هذه الفرصة لأتقدم بجزيل الشكر لدكتور مهندس/عمر عبد الرحمن عزام الذى أمدنى بهذه الوثائق بالإضافة إلى الكثير من الأوراق الخاصة التى تذخر بها مكتبته.

ومن أهم الوثائق العربية المنشورة التى تم الإطلاع عليها مضابط مجلس النواب المصرى – محاضر جلسات جامعة الدول العربية.

كذلك فقد تمكنت من الالتقاء بعدد من أقارب عبد الرحمن باشا عزام وهم ابنه دكتور مهندس/عمر عبد الرحمن عزام، وابن أخيه المستشار/ممدوح عزام، والسفير/محمد رفاعة، والأستاذ/محفوظ عزام المحامى، والأستاذ/عصام عزام، والأستاذ/مصطفى أبو بكر عزام (حفيد عزام

باشا)، وقد كشفت هذه اللقاءات بعض الغموض المحيط بالبحث. وأنتهز هذه المناسبة لأتقدم لهم بخالص شكرى وعظيم تقديرى لمنحى بعضاً من وقتهم الثمن.

كما اطلعت على عدد كبير من الدراسات والمؤلفات التى تناولت بعض جوانب الموضوع سواء كانت باللغة العربية أو الإنجليزية. وكان لها أثر كبير فى المساعدة على إخراج هذه الدراسة بهذه الصورة.

ويسرنى ويسعدنى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من مد لى يد المساعدة والعون فى إنجاز هذا البحث منذ أن وُلد فكرة وحتى خرج إلى حيز الواقع، وأول من أتقدم له بالشكر فى هذا الصدد هو أستاذى الأستاذ الدكتور/عبد الوهاب بكر محمد أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة الزقازيق والذى أشرف على هذا البحث.. فقد كان أستاذاً ومعلماً وأباً حكيماً شملنى برعايته وحسن توجيهه، جزاه الله عنى وعن جميع طلابه خير الجزاء..

كما أتوجه بالشكر أيضاً إلى جميع القائمين على دار المحفوظات العمومية، دار الوثائق القومية، دار الكتب العامة، لما قدموه لى من مساعدات قيمة كانت لها أكبر الأثر فى الحصول على المادة العلمية التى استعنت بها فى هذه الدراسة.

وبعد.. فإن تكن هذه الدراسة قد أسهمت فى التأريخ لهذه الشخصية – فإنى أكون قد حققت ما أتمناه – وإن لم تكن قد وفت بالغرض، فحسبى أنى نلت شرف المحاولة – ولعل لى أجر المجتهدين.

والله من وراء القصد، وهو عنده خير الجزاء،

حسين أحمد العطار

يناير ٢٠٠٦

الفصل الأول " تمهيدى "

أحوال مصر السياسية قبيل ميلاد عبد الرحمن عزام

الفصل الأول

" فصل تمهيدى "

أحوال مصر السياسية قبيل ميلاد عزام

الحالة فى مصر قبيل الاحتلال:

عندما ارتقى محمد توفيق كرسى الخديوية خلفاً لوالده الخديو إسماعيل بعد عزله ونفيه أدرك منذ البداية قوة النفوذ الأجنبى فى مصر. فاتخذ سياسة من شأنها السماح للنفوذ الأجنبى بمزيد من التدخل فى شئون مصر ومن بينها إعادة إنشاء المراقبة الثنائية ورفض اللائحة الأساسية لمجلس النواب ووضع توفيق نفسه تحت حماية إنجلترا وفرنسا وأسند الوزارة إلى رياض باشا المعروف بعدائه للحركة الوطنية المصرية وتعاونه مع المراقبة الثنائية على حساب أهالى البلاد.

لذلك انتشر التذمر بين المصريين ضد توفيق وحكومته. وسار المصريون بخطى سريعة فى طريق الثورة ضد حكومة الخديو الضعيفة المستسلمة للنفوذ الأجنبى، فظهر دور الجيش الفعال فى الحركة الوطنية فيما عرف بالثورة العرابية، تلك الثورة التى تضافرت عوامل متعددة لكى تنفجر فى النهاية، من بين تلك العوامل تسريح آلاف من الجند ومئات من الضباط فى آخر عهد إسماعيل، وتسريح عشرة آلاف جندى أول ولايته. هذا إلى جانب أن رفقى باشا ناظر الجهادية أصدر لائحة يتم بمقتضاها عدم ترقية المصريين إلى الدرجات التى يستحقونها، بينما يرقى الجراكسة إلى أكثر مما يستحقونه.

وعندما أراد أحمد عرابى ورفاقه على فهمى وعبد العال حلمى الاحتجاج على ما عرف بحادث ثكنات قصر النيل قُبض عليهم وتحركت قوة مصرية حاصرت هذه الثكنات وأطلقت سراح القادة الثلاثة الذين توجهوا إلى الخديو توفيق وطلبوا عزل عثمان رفقى، فاستجاب الخديو لمطالب الضباط، وعين محمود سامى البارودى باشا صديق الضباط ناظراً للجهادية، مما شجع الوطنيين المصريين، ومن ثم حدثت مظاهرة عابدين.

ونتيجة لتطور الأمور فى مصر أرادت تركيا استغلال مظاهرة عابدين وما تلاها لكى تحتل مصر بقوات عثمانية، ولكن إنجلترا وفرنسا عارضتا هذا الاتجاه العثمانى. ثم أن إنجلترا بالرغم من أنها كانت تحكمها وزارة من حزب الأحرار الذى كان من مبادئه عدم التدخل فى مصر تدخلاً عسكرياً، إلا أنها بدأت تعتنق فكرة التدخل المسلح والمنفرد.

أما فرنسا فقد كانت تؤمن بضرورة التدخل المسلح فى مصر لإبقاء النفوذ الأجنبى ولكن هذا التدخل يتم بمشاركة إنجليزية فرنسية فقط ومنع تركيا من التدخل.

وفى ٧ يناير ١٨٨٢ – ونتيجة لموقف الحكومتين الإنجليزية والفرنسية – أرسلت الحكومتان ما عرف بالمذكرة المشتركة إلى الخديو، وفى هذه المذكرة وعدت الدولتان بتأييد الخديو فى موقفه المعارض للحركة الوطنية، وتوعدتا بالتدخل المسلح إذا لزم الأمر للإبقاء على نفوذ وسلطة الخديو.(١)

لم يبق أمام بريطانيا إذن إلا اتخاذ الذرائع لاحتلال البلاد والذرائع كثيرة. فقد أدعت أن الوطنيين المصريين يقومون بتحصين قلاع الإسكندرية، وكانت بريطانيا تخشى من مجئ كمية من مدفعية كروب إلى العرابيين من ألمانيا فعمدت إلى مهاجمة الثورة قبل أن تستعد. وكانت تركيا قد قررت أن إرسال قوات عثمانية إلى مصر يخدم المصالح الاستعمارية ويثير عليها العرب. فعرفت بريطانيا أنها لن تواجه إلا المصريين وحدهم وقبل أن يتم استعدادها. صممت بريطانيا على احتلال الإسكندرية واتخاذها قاعدة حربية بحرية لعملياتها المقبلة فى مصر.(٢)

وفى العاشر من يوليو أُرسل إنذار إلى عرابى: " سلم القلعة خلال أربع وعشرين ساعة أو أننا سنطلق النار ".

وعند فجر اليوم التالى بدأ القصف... والتهمت النيران الإسكندرية عندما تهاوت عليها القذائف التى تسبب عنها اندلاع الحرائق.

---

(١) أحمد شفيق باشا: مذكراتى فى نصف قرن – الجزء الأول – ١٩٣٤ – القاهرة – ص ١٦٧.

(٢) د. جلال يحيى: المجمل فى تاريخ مصر الحديثة – الطبعة الثانية – المكتب الجامعى الحديث – ١٩٨٤ – ص ٢٩٥.

ولقد أسفر القصف عن انشقاق ظاهر بين مجموعة القصر وبين الوطنيين، فحتى هذه اللحظة كان عرابى يتصرف ولو اسمياً تحت سلطة الخديو، ولكن لما شاهد توفيق بنفسه من فوق سطح قصره فى الرمل أن البريطانيين يعنون ما يقولون، لم يضيع وقته ليضع نفسه تحت الحماية البريطانية وتحت حراسة سرية من جنود الأسطول، ثم أصدر بياناً أعلن فيه أن عرابى متمرد، ثم جلس ينتظر هزيمة رعاياه!.(٣)

وفى ٢٠ يوليو أقال الخديو عرابى من الوزارة – وكان ناظراً للجهادية والبحرية – ولكن الشعب المصرى قرر مواصلة الدفاع عن البلاد بزعامة عرابى، إلا أن الغلبة كانت فى النهاية للقوات الإنجليزية التى فشلت فى دخول البلاد عن طريق كفر الدوار، فاحتلت السويس فى أوائل أغسطس بموافقة الخديو، وتغلبوا على جيش عرابى بالتل الكبير فى ١٤ سبتمبر ثم احتلوا القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢.(٤)

لقد كان الهدف الفعلى لاحتلال مصر هو عجز الحكومة أو رفضها الوفاء بالتزاماتها – وكان هدف إنجلترا إنشاء إدارة يتركز اهتمامها على شئون مصر المالية خصوصاً فيما يتعلق بمسألة استهلاك الديون، ودفع فوائد الاستثمارات وفضلاً عن ذلك فقد أكدت هذا رسائل القنصل البريطانى العام فى القاهرة إلى جلادستون (رئيس الوزراء) قبل أن تتخذ الدولة من تمرد الجيش المصرى حجة للتدخل واحتلال مصر.(٥)

الاحتلال البريطانى لمصر:

كانت مصر إلى سنة ١٨٨٢ ولاية عثمانية لها استقلالها الداخلى، ولأسرة محمد

---

(٣) ريمون فلاور: مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر– ترجمة سيد أحمد على الناصرى – تقديم ومراجعة:يونان لبيب رزق– المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠٠ – ص ١٩٦،١٩٧.

(٤) د. رأفت الشيخ: مصر والسودان فى العلاقات الدولية – الطبعة الثانية – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٣ – ص ١٢١.

(٥) د. سعيد إبراهيم ذو الفقار: الإمبريالية البريطانية فى مصر ١٨٨٢–١٩١٤ (تحليل بنيان استعمار) – الناشر (Editions pluricl case Postale 254 ch 1211–Geneve 16) – ص١٦.

علـى إمارتهـا وعرشـها. فلمـا بـرم المصـريون بسـلطان الأتـراك والجراكسـة، وقامـت الثـورة العرابيـة للقضـاء علـى هذا السـلطان، رأت إنجلتـرا فرصـة دخـول مصـر سـانحة فانتهزتهـا، تنفيذاً لسياسة رسمتها وزارة الخارجية البريطانية منذ زمن بعيد.

وكانت هذه السياسة تنفذ قبل ذلك بدقة ومن غير هوادة. وتنفيذاً لهذه السياسة منعت إنجلترا بونابرت والفرنسيين من الاستقرار بمصر، حين جاءوا إليها فى أواخر القرن الثامن عشر، وعارضت شق قناة السويس بكل قوتها إشفاقاً على إمبراطوريتها فى الهند من أن يكون الفرنسيون فى طريقهم إليها. فلما شبت الثورة العرابية انتهزت الفرصة، ودخلت مصر بدعوة حماية الخديو من الثوار، ولم تعر صيحة فرنسا، بأن إنجلترا اعتدت على حقوق الدولة العثمانية وعلى حيدة قناة السويس، أى اعتبار.(٦)

لقد دخلت مصر حين لم يكن فيها قوة يعتد بها إذ ضعفت الخديوية المصرية بعد خلع الخديو إسماعيل وقُضى على البرلمان المصرى والمراقبة الثنائية. وادعت بريطانيا أنها جاءت لتخليص مصر من الفوضى وإصلاح حال الفلاح المصرى وإدخال المدنية والحضارة الغربية إلى مصر، ولكنها جاءت فى الحقيقة لحماية مصالحها السياسية والحربية والاستراتيجية. ولم تفكر إنجلترا فى ضم مصر إلى ممتلكاتها أو فرض الحماية عليها لما قد ينتج عن ذلك من مشكلات دولية ومحلية، ولكنها عملت على أن تكون وحدها صاحبة النفوذ الفعلى فى مصر.(٧)

وكان أغلب الظن أن يكون احتلال إنجلترا لمصر احتلالاً مؤقتاً إلى أن يطمئن الخديو توفيق على العرش، كما أعلنت ذلك، ولكن الحوادث التى ترادفت على البلاد بعد إخماد الثورة العرابية، واستقرار الخديو على عرشه، دلت على أن إنجلترا إنما كانت ترمى بتدخلها العسكرى إلى جعل احتلالها دائماً. وبسط سيطرتها الحربية والإدارية

---

(٦) د. محمد حسين هيكل:مذكرات فى السياسة المصرية– الجزء الأول (١٩١٢: ١٩٣٧) من الحماية إلى معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية – دار المعارف– القاهرة – ١٩٧٧ – ص ١١.

(٧) د. عمر عبد العزيز عمر: تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٥١٧ – ١٩٢٢) – دار المعرفة الجامعية – ٢٠٠٠ – ص ٣١٥. وكذلك د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: تاريخ مصر السياسى من الاحتلال إلى المعاهدة – مكتبة سعيد رأفت – ١٩٦٧ – ص ٨.

والمالية على البلاد. فكانت السنوات الأولى للاحتلال هى سنوات رسوخ قدمها فى مصر، وأول عمل لها فى هذا السبيل إلغاء الجيش الوطنى بحجة مناصرته للعرابيين، وإنشاء جيش جديد هزيل يرأسه سردار إنجليزى ويتولى قيادته ضباط من البريطانيين، ثم وضعت يدها على البوليس بتعيين قومندان بريطانى له. وبذلك تمت لها السيطرة على الجيش والبوليس قبل أن يمضى على الاحتلال أربعة أشهر.(٨)

وامتد الضعف إلى جميع مراكز القوى المصرية: القصر، الوزراء، ومجلس النواب، والجيش. وأصبح على بريطانيا التى هزمت عرابى أن تملأ الفراغ الذى نجم عن هذا الضعف، أو تعثر على دولة أخرى، كتركيا أن تقوم بهذا الدور. وازداد الموقف السياسى تفاقماً بثورة المهدى ضد الحكم المصرى فى السودان. ولم تكن مصر بعد تسريح جيشها وتطهيره وإعادة تنظيمه، قادرة على قمع الثورة دون معونة بريطانيا.(٩)

وفى عام ١٨٨٤ طلبت فرنسا من إنجلترا سحب قواتها من مصر فوعدتها إنجلترا على لسان وزير خارجيتها بأن الانسحاب سيتم فى أوائل عام ١٨٨٨م. ثم دخلت إنجلترا فى مفاوضات مع تركيا عام ١٨٨٦ من أجل الجلاء عن مصر واستمرت المفاوضات عاماً كاملاً ثم عقدت اتفاقية نصت على جلاء القوات البريطانية خلال ثلاثة أعوام ولكن إنجلترا اشترطت أن يتاح لها تأخير الجلاء إذا حدث خطر خارجى أو داخلى يهدد أمن مصر، وأن يتاح لها إعادة احتلال مصر فى حالة حدوث خطر خارجى أو داخلى أيضاً، ولكن السلطان العثمانى اعترض على موقف إنجلترا، ومن ثم لم يتم التوقيع على الاتفاقية وبقيت قوات الاحتلال البريطانى فى مصر مع بقاء مصر ولاية عثمانية.

واستمر الإنجليز يعلنون أنهم عازمون على الجلاء من مصر إلا أن أعمالهم

---

(٨) عبد الرحمن الرافعى: مصر (الثورة العرابية) – دراسات قومية " العدد الثالث " – مطابع الشروق – القاهرة – ١٩٧٩ – ص ٢٢٤.

(٩) أرثر إدوارد جولد شميت (الابن): الحزب الوطنى المصرى (مصطفى كامل – محمد فريد) – ترجمة: فؤاد دوارة – تقديم وتعليق: فتحى رضوان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٣ – ص ٥٨.

كانت تؤكد رغبتهم فى البقاء بمصر، وبعد عام ١٨٨٧ طرحت فرنسا وتركيا مراراً قضية الجلاء عن مصر وظلت إنجلترا تماطل بمختلف أنواع التأكيدات الشفهية بعزمها على الجلاء إلا أنها واصلت البقاء فى مصر.(١٠)

لقد أخذت بريطانيا تعمل بعد ذلك على الحد من تدخل الدول الأوربية فى الإدارة المصرية، وإحلال الإنجليز محلها وتهيئة المناخ الدولى لمواجهة المنافسة البحرية الألمانية التى بدأت تشكل خطراً عليها فى ذلك الوقت، فحسنت علاقاتها مع ألمانيا، وتراجعت عن موقفها بشأن المشروعات الاستعمارية فى غرب أفريقيا حتى لا تعارضها فى مصر، وفى الوقت نفسه حرصت إنجلترا على تهدئة الوضع مع فرنسا بعد مرحلة التوتر التى حدثت بينهما بسبب إلغاء المراقبة الثنائية. وسرعان ما هدأت الأمور بينهما أمام الخطر الألمانى، وفى ٨ أبريل ١٩٠٤ نجحت إنجلترا فى عقد اتفاق ودى بينها وبين فرنسا نص على أن تترك فرنسا لإنجلترا حرية العمل فى مصر ولن تطلب منها تحديد أجل معين للاحتلال الإنجليزى لمصر مقابل حصول فرنسا على حرية احتلال مراكش. وقد كان للاتفاق أثره السيئ فى نفوس المصريين، فبعد أن كانت فرنسا العدو الأول لإنجلترا أصبحت تؤيد الوجود البريطانى فى مصر. وبذلك أصبحت إنجلترا من خلال هذا الاتفاق مطمئنة على مركزها ووجودها فى مصر.(١١)

وبذلك نجحت إنجلترا فى تثبيت أقدامها فى مصر، وسيطرت على كل شئ فألغت مجلس النواب، وعطلت العمل بالدستور، وأنشأت بدلاً منه نظاماً صورياً قوامه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، وهما هيئتان محرومتان من كل سلطة ونفوذ، وبهذا عانت الأمة من نظام استبدادى خاضع للسيطرة الأجنبية، كان مظهره الاستبداد والاحتلال معاً، وهو أسوأ نظام تدار به الأمم.

---

(١٠) د. رؤوف عباس: مذكرات محمد فريد – القسم الأول (تاريخ مصر ابتداء من سنة ١٨٩١ مسيحية) – القاهرة – ١٩٧٥ – ص ٣١.

(١١) أحمد شفيق باشا: مذكراتى فى نصف قرن – الجزء الثالث – القسم الثانى – (من يناير ١٩٠٣: ١٩١٤) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٨ – ص ٤٢. وكذلك (د. رؤوف عباس: مرجع سبق ذكره – ص ٣٢).

لم تجد سياسة إنجلترا معارضة من الشعب، وخلت البلاد من روح المقاومة، وركنت الأمة إلى الاستكانة والخضوع، وإظهار الولاء للاحتلال، وخيم على البلاد جو من اليأس والقنوط وحرمت البلاد إلى وقت طويل من زعماء للمقاومة الوطنية يبعثون فيها روح الأمل لرفض الاحتلال، وظلت الأمة فى هذا الانحلال الوطنى مما أتاح الفرصة لقوات الاحتلال للسيطرة على البلاد.(١٢)

وبالإضافة إلى ذلك حرص الاستعمار البريطانى على عزل مصر عن سائر البلاد العربية وعمل جاداً على تحطيمها بأساليبه، وكانت خطته تنحصر فى ميادين مختلفة.

من الناحية التعليمية:

كان التعليم حتى عام ١٨٨٢ مجانياً فى أقسامه الثلاثة: الابتدائى. والثانوى. والعالى، وكانت العلوم تدرس باللغة العربية، إلا فى مدرسة الحقوق، التى كان التعليم فيها بالفرنسية، أما فى عهد الاحتلال فقد ألغيت المجانية تدريجياً، ووقفت حركة إنشاء المدارس. وأغلق بعضها، ثم تقرر جعل تعليم العلوم باللغة الإنجليزية. ابتداء من السنة الثالثة من القسم الابتدائى، وحل المدرسون الإنجليز محل المصريين.(١٣)

ولم تؤد سياسة التعليم إلى تخريج كفاءات مهمة لسد حاجة البلاد، فإهمال كرومر للتعليم كان من أهم مظاهر حكمه ومن مميزات إدارته كلها... وما يدل على ذلك أنه لم يكن بمصر فى عام ١٩١٤ سوى ٦٨ مدرسة ابتدائية وثانوية تنفق عليها الحكومة، فى حين كان يوجد ٧٣٩ مدرسة خاصة يتردد عليها ٩٩.٠٠٠ تلميذاً و ٣٢٨ مدرسة من مدارس الإرساليات وغيرها تضم ٤٨.٠٠٠ تلميذاً. ولم يقتصر إهمال التعليم على عدد المدارس بل أن المدارس تحولت إلى معامل تخرج موظفى الحكومة وأصبحت إلى حد بعيد أداة لنجلزة المصريين.

---

(١٢) محمود أمين سويلم: حسين رشدى ودوره فى السياسة المصرية – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب – جامعة الزقازيق – ١٩٩٩ – ص٧.

(١٣) عبد الرحمن الرافعى: مصر (البعث الوطنى) – دراسات قومية " العدد الخامس " – مطابع الشروق – القاهرة – ١٩٧٩ – ص ١٩.

ولما شعر كرومر فى أواخر عهده بالاهتمام بالتعليم العالى والرغبة فى إنشاء جامعة مصرية. حاول القضاء على تلك الفكرة... وشرع فى الاستكثار من الكتاتيب حتى يوقف سيل التبرعات للجامعة وترتب على ذلك أن أبناء الأثرياء وحدهم هم الذين كان فى إمكانهم تلقى التعليم الفنى والعالى بالسفر إلى الخارج. وبالإضافة إلى كل هذه المساوئ، قام بإسناد وظائف التدريس إلى الإنجليز دون المصريين.[١٤]

كما سعى إلى إهمال مواد التاريخ القومى والتربية القومية وملأ المناهج بالمواد التى تعظم الاستعمار. وحصر التعليم فى الثقافة القديمة الدينية واللغوية لتجهيل المصريين واستسلامهم للقوة البريطانية.[١٥]

من الناحية الاقتصادية:

كان أساس سياسة الاحتلال الاقتصادية هو تخصيص مصر للزراعة، وجعلها بلداً زراعياً فحسب، وتركيز ثروتها الزراعية فى القطن، وإهمال الزراعات الأخرى، ثم تشجيع الأجانب على استثمار رؤوس أموالهم، ونشاطهم، فى الإقراض وفى المشروعات الزراعية والصناعية والتجارية.

وقد نجم عن هذه السياسة القضاء على الحياة الصناعية فى البلاد، وجعلها عالة على إنجلترا وعلى الدول الأوربية عامة فى حياتها الاقتصادية، إذ أن القطن لا ينتج ثمره إلا إذا استوردته البلاد الصناعية، ما دامت البلاد محرومة من المصانع لغزله ونسجه، فهذه السياسة جعلت مصر فى حالة تبعية اقتصادية للدول الأجنبية تجر فى ذيولها تبعية سياسية للبلاد التى تستورد قطنها، وبخاصة إنجلترا، التى كانت أكبر مستورد لهذا القطن، ولو أن الحكومة عنيت بتنويع الزراعات، ودعمت حياة البلاد الزراعية بحياة صناعية، وقرنت زراعة القطن بإنشاء مصانع لغزله ونسجه، لتوفر لها استقلالها الاقتصادى، وهنالك تصبح بمنجاة من العبودية الاقتصادية التى تفرعت عن

---

(١٤) د. عمر عبد العزيز عمر: مرجع سبق ذكره – ص ٣٢٢.

(١٥) نبيه بيومى عبد الله: تطور فكرة القومية العربية فى مصر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٥– ص ٢٥.

حاجتها الدائمة إلى بيع قطنها للخارج.[١٦]

لقد كان هدف الاحتلال من سياسته الاقتصادية بمصر، هو السيطرة الاقتصادية عليها مع استغلال مواردها واحتكار أسواقها. وأخيراً فصل مصر عن سائر البلاد العربية. فقد حصرت بريطانيا تعامل مصر التجاري معها بنسبة ٦٠% تقريباً – وما بقى مع الدول الغربية – ونسبه ضئيلة مع بلاد الوطن العربي.

كذلك أصدر اللورد كرومر أوامره بإغلاق عدد من مؤسسات الدولة كمعمل الورق فى بولاق وبيت المال ومعمل الأسلحة والذخيرة وكذلك ورشة بناء السفن بالإسكندرية وباع معامل النسج والأسطول للأجانب.

كما ربط العملة المصرية بالاسترلينى ومعنى ذلك أن تصبح التجارة بين مصر وبريطانيا كأنها داخل بلد واحد، أما مع البلاد العربية الأخرى فالعملات مختلفة مما يقف حجر عثرة أمام التبادل التجارى العربى. ويغلق المصانع وبالسيطرة على الاقتصاد المصرى ويتبعية النقد له – تخلف الاقتصاد المصرى وانحصر فى تصدير المواد الخام واستيراد المنتجات أو البضائع الإنجليزية الاستهلاكية وتركزت التجارة مع بريطانيا والدول الغربية وضعفت مع العالم العربى لعدم سهولة المواصلات بين دوله وعدم توحيد العملة وإقامة العراقيل والحواجز الجمركية.[١٧]

من الناحية العسكرية:

وفى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ أصدر الخديو توفيق مرسوماً بإلغاء الجيش المصرى، بحجة مناصرته للعرابيين، وفى ٢٤ أكتوبر ١٨٨٢ صدر مرسوم آخر بتجريد جميع الضباط الذين اشتركوا فى الثورة العرابية وحرمانهم أى حق فى المعاش أو مرتب الاستيداع، وحوكم زعماء الضباط وحكم عليهم بتهمة العصيان.

وعهد الخديو إلى أحد الضباط البريطانيين بتنظيم جيش جديد يكون خاضعاً للسيادة الإنجليزية وتحت رئاسة سردار (قائد) إنجليزى. وبتعيين سردار إنجليزى

---

(١٦) عبد الرحمن الرافعى: مصر (البعث الوطنى) – مرجع سابق – ص ٢١.
(١٧) نبيه بيومىعبد الله: مرجع سبق ذكره – ص ٢٦، ٢٧.

للجيش المصرى صار الجيش فى قبضة الاحتلال فانحلت روحه المعنوية.

ويدخل فى هذا السياق تقرير البدل النقدى للإعفاء من التجنيد، فقد وضع هذا النظام المعيب فى ٩ يونيه ١٨٨٦، وأدى إلى امتهان الجيش واعتبار الجندية تكليفاً تختص به الطبقات الفقيرة التى لا يستطيع أفرادها أن يفتدوا أنفسهم بدفع البدل العسكرى.

وانحط مستوى الجيش عامة فى أوائل عهد الاحتلال، وأغلق كثير من المدارس الحربية، وانحط مستوى التعليم فى المدرسة الوحيدة التى أبقاها الاحتلال وهى المدرسة الحربية بالقبة.(١٨)

وقرر اللورد دوفرين أن لا يزيد عدد الجيش المصرى عن ٦ آلاف جندى فى مجموعة، وفى سنة ١٨٨٦ طبقاً لمشروع دوفرين أُنقص من عدد الجيش ما لا يقل عن ٣ آلاف جندى على أن يبقى الجيش الاحتياطى ١٢ ألف وقد تحول بعض هذا العدد إلى الاشتغال فى البوليس بوظيفة كنستبلات.

وفى عام ١٨٨٨ أصبح عدد الجيش ٩٦٣١ جندياً(١٩)، ووضع ضباط من الإنجليز على رأس الجيش البالغ عددهم ٧٥ ضابطاً. وأقصى الضباط الوطنيون عن قلم المخابرات وعن إدارات الجيش الهامة(٢٠)، وعُطلت المصانع الحربية التى أنشأها محمد على كما عُطل الأسطول ثم بُدِدَ وبعثرت قطعه.

وبهذا ضعفت القدرة العلمية لدى الضباط المصريين وأهمل تدريبه وتسليحه واحتقرت عساكره ووجه الجيش إلى إسكات الحركات الوطنية أو استغلاله لأغراض استعمارية. وأُبعدت عنه القيادات الوطنية الثائرة، وبهذا ضمن الاستعمار البريطانى خضوع مصر له.(٢١)

---

(١٨) عبد الرحمن الرافعى: مصر (البعث الوطنى) – مرجع سابق – ص ٦.

(١٩) د. محمد فهمى لهيطة: تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٤٤ – ص ٤٠٨.

(٢٠) عبد الرحمن الرافعى: نفسه – ص ٦، ٧.

(٢١) نبيه بيومى عبد الله: المرجع السابق – ص ٢٦.

من الناحية السياسية:

ظهر أثر الاحتلال فى نظام الحكم، فقد كانت مصر قبل الاحتلال دولة مستقلة استقلالاً يحده بعض القيود، ولها نظام دستورى، فصارت فى عهد الاحتلال دولة مغلوبة على أمرها، ضربت عليها حماية مقنعة تملى إرادتها على الحكومة الأهلية، وتضطرها إلى إتباع " النصائح " التى يفرضها عليها الاحتلال. وفقدت البلاد استقلالها ودستورها فى وقت واحد، وفقد الناس الطمأنينة على حياتهم وحريتهم، إذ مُلِئَت السجون فى أعقاب الاحتلال بالأبرياء، بحجة أنهم كانوا من أنصار الثورة العرابية، فساد البلاد جو من الإرهاب أضعف النفوس وأفسدها، ورزحت الأمة تحت نظام حكم استبدادى خاضع للسيطرة الأجنبية، فاجتمع عليها الاستبداد والاحتلال الأجنبى معاً.[٢٢]

بالإضافة إلى ذلك عمل الاستعمار بشكل غير مباشر فى عزل مصر عن الدول العربية. وذلك بانشغالها وإنهاكها فى قضية الجلاء والاستقلال. ومحاولة ربطها بأحلاف استعمارية تربطها بالغرب الاستعمارى.[٢٣]

من الناحية الاجتماعية:

أهمل الاحتلال الإصلاح الاجتماعى. ولم ينفق من الإيرادات العامة شيئاً على هذا الإصلاح. فتدهورت الحالة الاجتماعية تدهوراً بالغاً. ولا شك فى أنه هو المسئول عن عدم توجيه سياسة الحكومة نحو هذا الهدف، لأنها كانت خاضعة لسلطانه المطلق، فهو مسئول من الناحية الاجتماعية عن سوء حالة طبقات الشعب.

فالطبقة الخاصة من الأغنياء والكبراء وفئة المثقفين، قد اتجهت فى مجموعها وجهة الولاء للاحتلال والحياة النفعية، فخلت الحياة الاجتماعية من المفاخر والعظائم، وصارت هذه الطبقة (فى مجموعها) عنوان الانحلال فى الوطنية والأخلاق، وأداة للاستغلال الأجنبى فى البلاد، وانفصمت الروابط بين الطبقات، لانصراف أفرادها إلى المنافع الشخصية.

---

(٢٢) عبد الرحمن الرافعى: مصر (البعث الوطنى) – مرجع سبق ذكره – ص ١٨.

(٢٣) نبيه بيومى عبد الله: المرجع السابق – ص ٢٧.

أما الطبقة المتوسطة، فانصرفت إلى الحياة النفعية تبتغى بلوغ مراتب الطبقة الخاصة. ومحاكاتها فى مظاهر الأبهة والبذخ، فلم يعد على البلاد من جهودها أية فائدة.

والطبقة الفقيرة من الفلاحين والعمال، وهم أغلبية الشعب، قد ساءت حالتهم فى عهد الاحتلال، فالاحتلال هو المسئول عن انتشار الجهل والأمية بينهم، فهو بسياسته التعليمية قد حال دون تعليمهم وتهذيبهم وتثقيفهم، فحرموا نور العلم والتربية الأخلاقية والدينية، وساءت حالتهم المادية والمعنوية، وفقدوا مع الزمن خصال الصدق والوفاء، وحب الخير والبر والإحسان، وأهمل الاحتلال حالتهم المادية والصحية والمعنوية، وانتشرت فيهم الأمراض.

واجتمعت إلى ذلك رعاية الحكومة للآفات الاجتماعية التى جاءت من أوربا. ورعاها الاحتلال وحماها – كالربا وشرب الخمر والميسر – فعمت طبقات الشعب على السواء، كبيرها ومتوسطها وصغيرها.

لم تتقدم إذن حالة الشعب الاجتماعية فى عهد الاحتلال، بل ساءت وصارت وبالاً وزادته هذه الآفات بؤساً وانحلالاً.

خلاصة القول.. أن السنوات الأولى للاحتلال تؤلف فى تاريخ مصر القومى فترة انحلال وطنى عام: انحلال فى الوطنية، وفى الأخلاق، وفى حالة الشعب الاقتصادية والاجتماعية، وقد بقى هذا الانحلال مخيماً على البلاد فترة طويلة، إلى أن جاءت فترة البعث الوطنى على يد مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية.[٢٤]

القصر والاحتلال البريطانى:

بعد عزل إسماعيل تولى الحكم توفيق أكبر أنجاله. وقد تلقى توفيق تعليمه فى مصر وتقلد عدة مناصب حكومية حتى أصبح رئيساً لمجلس النظار، وقد أكسبه ذلك خبرة بأحوال البلاد.

تقلد توفيق الحكم فى ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ ومصر فى حالة مالية دقيقة كما

---

(٢٤) عبد الرحمن الرافعى: مصر (البعث القومى) – مرجع سابق – ص ٢٨، ٣٠.

أنها كانت فى حالة سياسية أدق، فقد كان الشعب يئن من عبء الضرائب ومظالم القسوة وفداحة المصروفات، وكانت الأمة المصرية تتطلع إلى حكم جديد يخفف عنها آلامها ويقلل من التدخل الأجنبى فى أحوال بلادها، كما كانت تأمل أن يقوم الخديو توفيق بمعالجة الارتباك المالى ويقر النظم الدستورية.

وبعد أن احتلت إنجلترا مصر، سارت بخطى واسعة فى تحقيق أغراضها الاستعمارية، وأساسها استدامة احتلالها، وبسط حمايتها المقنعة على مصر، والتدخل فى شئونها، وتقطيع أوصال الدولة المصرية التى امتدت على طول مجرى النيل وواديه.

اطمأنت إنجلترا على وضعها فى مصر، ورأت أنه لا بد وأن تحدد شكل العلاقة بينها وبين الخديو توفيق بما يجعلها سيدة الموقف، فإنجلترا هى التى أنقذت الخديو ومكنته من استعادة سلطانه وتصدت للحركات الوطنية، واعتبرت نفسها مسئولة عن نظام الحكم ورأت من واجبها أن تقدم للخديو الخطة السياسية التى يجب أن يسير عليها. لذلك كان من الطبيعى أن يرتمى الخديو فى أحضانها ويصبح طوع أمرها.[٢٥]

من هذا يتبين أن حكم توفيق كان حكماً مسالماً للنفوذ الإنجليزى ذلك النفوذ الذى بدأ يطغى على الحكم المصرى فى جميع النواحى الإدارية والاقتصادية، فبدأت بذلك الوزارات المصرية تحكم، لا طبقاً لرغبات الخديو ونفوذه وإرادته، بل طبقاً لرغبات السلطة البريطانية، وإذا كان من الوزراء المصريين من أراد أن يحافظ على حقوق مصر للمصريين فإن مآلهم كان غير مأمون العاقبة. فمثلاً شريف باشا عندما تمسك بآرائه كان مصيره الاستقالة وترك خدمة الحكومة المصرية، أما رياض باشا فقد ساير الإنجليز كما سايرهم نوبار باشا ومصطفى فهمى باشا، وبذلك كانوا تحت طوع السلطة البريطانية فى مصر، وبذلك خضعت الحكومة المصرية للمستشارين الإنجليز.[٢٦]

لقد كان الخديو توفيق شديد الخوف على نفسه، وعرشه، وكان من الطبيعى أن يستغل اللورد كرومر هذا الخوف ليكون وسيلة ضغط على توفيق كلما استدعت الظروف

---

(٢٥) محمد فهمى لهيطة: مرجع سبق ذكره – ص ٣٦٩، ٣٨٩، ٤٠٥.

(٢٦) محمد فهمى لهيطة: نفسه – ص ٤٠٢.

ذلك. ولا شك أن المخاوف التى انتابت توفيق من المخاطر الداخلية، والخارجية، وكانت دائماً مصدر تهديد لعرشه، دفعته إلى توجيه اهتمامه الأول إلى إصدار " أمراً كريماً " لتنظيم وتأمين وراثة العرش لأكبر أبنائه، ثم أكبر أبناء هذا الابن، تحسباً لأى صراعات قد تنشأ فى المستقبل، وساعده على ذلك ما أبدته إنجلترا من اهتمام بتلك المسألة.

وانتهى عهد توفيق بوفاته فى يناير ١٨٩٢ ليخلفه ابنه الأكبر " الخديو عباس حلمى الثانى "[٢٧]

كانت علاقة الخديو عباس حلمى بالوجود البريطانى فى مصر مترديه منذ بداية عهده – وعزمت بريطانيا على عزله فى أكثر من مناسبة[٢٨]، وبدأت العلاقات المصرية البريطانية تدخل فى مرحله نزاع بين الخديو الشاب والمعتمد البريطانى – فالأول وقع تحت تأثير مستشاريه الذين زينوا له التمتع بالسلطة كاملة وتخطى إرادة المعتمد الإنجليزى على اعتبار أن فرنسا – ومن ورائها روسيا – تساندان استقلال مصر الذاتى، إضافة إلى أنه أراد أن يكون هو سيد البلاد الفعلى والشرعى لكن إرادته هذه اصطدمت بالسيد الفعلى للبلاد " كرومر " – ودخل الطرفان فى اختباراً للقوى أثبت فيه كرومر أن عباس حلمى – لا يستطيع أن يفعل شيئاً إزاء سلطه المعتمد البريطانى.

لقد كان عباس جريئاً واسع الأمل " مصرياً بحتاً " كما حكم عليه كرومر منذ لقائهما الأول، فنفخ فى مصر روحاً جديدةً أذكت نار الوطنية الخامدة، وجرأت المصريين على مناهضة الاحتلال. فمن أعماله الأولى تغيير الحاشية التى كانت محيطه بوالده ممن استشف تواطئهم مع المحتل، ومبادرته بالتودد إلى الشعب، وبثه فى قلوب المصريين روح الكراهية للإنجليز. ولقد أحبه المصريون واستبشروا به خيراً، حتى أن كرومر

---

(٢٧) سامى أبو النور: دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر ١٩٢٢-١٩٣٦ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٥ – ص ٩.

(٢٨) د. عبد الوهاب بكر: العلاقات السرية بين الملك فؤاد والخديو عباس حلمى – (بحث مستخرج من المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع والثلاثون، سنة ١٩٨٧) – الجمعية المصرية للدراسات التاريخية – ص ١٦٢.

اعتقد أن المبادئ العرابية قد عادت إلى الظهور تحت اسم جديد هو لقب الخديوية، وأن الحالة قد أصبحت كثيرة الشبه بما كانت عليه حين بدء ثوره ١٨٨١ – ١٨٨٢، مع الاختلاف الذى تضمنته قياده الخديو للحركة هذه المرة. وتنبه كرومر إلى خطورة الموقف بعد أن تولى عباس، وأعد العدة لمعركة يختار هو توقيتها، هدفها إعطاء عباس درساً يفهمه حقيقة الموقف فى مصر ومن أين تهب رياح السلطة. ووجد فرصته فى أواخر عام ١٨٩٢ حين أقال الخديو عباس، مصطفى فهمى من رئاسة الوزارة دون استشارته وولى مكانه حسين فخرى باشا. ولم يصر كرومر على إبقاء مصطفى فهمى فى مركزه (رغم أنه عاد إليه بعد بضعه شهور) ولكنه ألح فى طلب تنحيه فخرى وتولية رياض. وكان له ما أراد – مضافاً إليه استغلاله الحادثة فى استصدار نصيحة من الحكومة البريطانية لعباس بألا يجرى تعديلاً وزارياً دون استشاره المعتمد البريطانى.(٢٩)

ومع هذا الإنذار تقدم كرومر بإنذار شفوى بأنه فى حاله عدم استجابة عباس للنصيحة البريطانية فإن الموقف سيأخذ طابعاً خطيراً ومعقداً.

وقد وصف عباس الرسالة الإنجليزية بأنها كانت برنامجاً مفروضاً.

وكان لابد من حل... ففى عصر نفس يوم تقديم الإنذار – ١٧ يناير– جرت مناقشات طويلة بين بطرس غالى وتيجران ممثلين للخديو وبين المعتمد البريطانى تم فى نهايتها التوصل إلى حل الأزمة.

وقد تضمن هذا الحل الذى تم التوصل إليه أربعة قرارات:

١– ألا يعود " مصطفى فهمى " إلى رئاسة النظارة استجابة لطلب الخديو وحفاظاً لماء وجهه.

٢– أن يستقيل حسين فخرى باشا من رئاسة النظارة وفى الحال استجابة لطلب كرومر ونزولاً على " الإنذار البريطانى ".

---

(٢٩) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره – ص ١٩، ٢٠. وكذلك (د. عبد الوهاب بكر: تاريخ مصر الحديث " العهد العثمانى الثانى ١٧٩٨ – ١٩١٤ " مجموعة محاضرات ألقيت بكلية الآداب جامعة الزقازيق – ١٩٩٥ – ص ١٣٨).

٣- أن يقدم الخديو لكرومر بلاغاً رسمياً وضعه المعتمد البريطانى بنفسه وجاء فيه أنه يرغب رغبة شديدة فى أن يوجه عنايته لإيجاد أصدق العلاقات الودية مع إنجلترا وأنه يسير بكل رضاء بموجب نصيحة الحكومة الإنجليزية فى كل المسائل الهامة فى المستقبل.

٤- تعيين " رياض باشا " رئيساً للنظار، وقد وافق كرومر على اختيار الرجل لأنه يتمتع بسمعة طيبة " كمسلم متعصب " – على حد تعبيره – مما يضمن معه تأييد المسلمين لتغيير فخرى باشا.

وبدلاً من أن ينهى الحل الوسط الذى تم التوصل إليه الأزمة فإن الموقف الذى وقفه الخديو الشاب فى مواجهة الوجود البريطانى بغض النظر عما انتهى إليه قد أثر تأثيراً بالغاً فى رأى عام مصرى متلهف بعد أكثر من عشر سنوات عجاف من الاستسلام الكامل للمحتلين مما أثار موجة وطنية جارفة تردد صداها فى طول البلاد وعرضها.

من ناحية أخرى قامت المظاهرات فى القاهرة احتجاجاً على بريطانيا، ومن وسط هذه المظاهرات ظهر الحزب الوطنى الذى قاد حركة النضال فى تلك المرحلة من مراحل التاريخ المصرى.(٣٠)

لم يدع عباس حلمى فرصة للاتصال بالشعب إلا اقتنصها، ولذلك مدحه الشعراء ومجدوا فيه وطنيته الصادقة وكانت شيئاً جديداً من جانب أسرة محمد على التى عاملت المصريين من قبل بكثير من الترفع والاحتقار. ولقد دفع الشعراء إلى مدحه خلال الفترة الأولى من حياته شعور وطنى خالص. وحاول عبد الله النديم أن يجمع المصريين حوله عن طريق صحيفته " الأستاذ " واستأنف جهاده الذى بدأه مع عرابى برغم ما ذاق فى سنى اختفائه العشر من آلام. ووجد عباس فى مصطفى كامل (١٨٧٤-١٩٠٨) الزعيم الوطنى الشاب الذى استطاع فى حداثة سنه أن يحمل علم الجهاد منذ عام ١٨٩٠ عندما كان طالباً بالمدرسة الثانوية. وقد تلقى مصطفى كامل دروسه الأولى فى الوطنية وفى

---

(٣٠) د. يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ – ١٩٥٣ – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام – وحدة الوثائق والبحوث التاريخية – مطابع الشروق – القاهرة – ١٩٧٥ – ص ١٣٧، ١٣٩.

السياسة على يد عبد الله النديم منذ عودته من منفاه، وعرف منه كثيراً من أسرار الثورة العرابية ودسائس السياسة الإنجليزية، وحاول قدر استطاعته أن يجعل من الشعب والقصر قوة واحدة تواجه الاستعمار. وجاهر مصطفى كامل فى أول حديث له نشر فى جريدة الأهرام فى ٢٨ يناير عام ١٨٩٥ بالمطالبة بالجلاء. وهكذا كان عباس محور الحياة السياسية والوطنية فى ذلك الوقت. وسعى للاستناد على المثقفين فى نضاله لأن طبقة كبار مُلاك الأراضى من المصريين قد ترددت بين الولاء للخديوية أو الاحتلال الذى حاول فى سياسته الداخلية كسبهم بجانبه بأن عين منهم نواباً فى الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين. واتفق مع مصطفى كامل على تشكيل لجنة سرية من بعض الشبان المتميزين بالوطنية ممن بلغوا التعليم العالى فى مصر وفى الخارج.(٣١)

أخذ نفوذ مصطفى كامل يقوى فى مصر – من ناحية بفضل ما اجتمعت فيه من صفات الزعامة والجرأة – وبفضل تشجع الخديو عباس له – وقد كان هذا التشجيع لاستخدامه ضد الإنجليز الذين سلبوه سلطاته وليس حباً فى آرائه – فانضم إلى مصطفى كامل المثقفون وأعيان البلاد ووجهائها – وشرع يقاوم الاحتلال بخطبه ومقالاته ودعاياته.(٣٢) وكان عليه فى كفاحه السياسى أن يتجه إلى الرأى العام العالمى وإلى أبناء البلاد. ووجهه ذلك إلى ضرورة النزول إلى ميدان الإعلام والصحافة... كما ساعدته دراسة القانون فى فرنسا على الاتصال بالآراء المتحررة وبرجال الصحافة والنواب الفرنسيين. فقد نشر العديد من المقالات والأحاديث فى الجرائد الفرنسية، ودرس المسألة المصرية من جذورها وخاصة الأسس القانونية الدولية، كما درس المسالة الشرقية وعلاقة الدولة العثمانية بالدول الغربية.(٣٣)

وفى ذلك الوقت أيضاً كان لتقدم الشعور بالحرية ونمو الروح القومية فى أوربا وآسيا وفى الدولة العثمانية بوجه خاص أثر كبير على مصر التى تملك ناصية الشرق والغرب. وميز الجزء الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ظهور

---

(٣١) د. عمر عبد العزيز عمر: مرجع سبق ذكره – ص ٣٣٢.

(٣٢) د. عبد الوهاب بكر: (تاريخ مصر الحديث...) – المرجع السابق – ص ١٣٩.

(٣٣) د. جلال يحيى: مرجع سبق ذكره – ص ٣٠٤.

القوميات المتوثبة فى ألمانيا وإيطاليا وروسيا واليابان والصين، ومن ثم تأثرت مصر بهذا التيار إذ لم يكن من المعقول أن تعيش عن العالم بمعزل أو أن تنسى مجدها القديم أو استقلالها. ولم يكن الحكم البريطانى مهما تشدق الاستعماريون بقوته ونزاهته سوى حكم أجنبى ديكتاتورى لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يمثل أمانى الشعب المصرى أو يعمل على تحقيقها. حقيقة أن سلطات الاحتلال فى مصر قد اكتسبت إلى جانبها العُمد والمشايخ وكبار المُلاك الزراعيين وبعض العناصر الأخرى ولكنها فشلت فى اجتذاب رجال الطبقة الوسطى من سكان المدن المثقفين والبرجوازيين الذين لم يمتلكوا أرضاً ولم يتأثروا بسياسة الاحتلال الزراعية. وعلى ذلك لم يمت الشعور القومى فى مصر بل قام شباب الجيل الجديد أو الطليعة المثقفة الناشئة من المحامين والأطباء والمهندسين والصحفيين والمعلمين وغيرهم ينادون بحقوقهم السياسية. فكانوا يتوقون إلى أن يلعبوا دورهم فى الحياة السياسية، ويحملون الأوتوقراطية الخديوية مسئولية الكوارث التى حلت بمصر، ويتجهون إلى تحديد السلطة الخديوية باعتبار ذلك وسيلة للتخلص من التدخل الأجنبى.

تزعم مصطفى كامل إذن الحركة الوطنية بعد الاحتلال، وذَكَرَ المصريين بماضيهم وجلال تاريخهم، وخصص كل جهوده لإثارة عاطفة الوطنيين وتمجيدها.

بدأ مصطفى كامل فترة جديدة من كفاح مصر القومى تختلف فى تفاصيلها عن الفترة السابقة: ففى حين اعتمدت الثورة العرابية على قواها المحلية وحدها، استندت حركة مصطفى كامل فى البداية إلى كل من الخديو وفرنسا والدولة العثمانية. وكان الاستقلال الذى نادى به مصطفى كامل هو استقلال مصر الذاتى كما تقرر فى معاهدة لندن فى عام ١٨٤٠، فنفر بعض المصريين إذ رأوا فى الدعوة استبدالاً لتبعية بأخرى. ولكن فهم مصطفى كامل للظروف الدولية هو الذى دفعه إلى الاتجاه نحو الدولة العثمانية، إذ أنه أيقن أن انقطاع العلاقة يؤدى إلى سقوط مصر فى يد الإنجليز. ومن ثم رأى مصطفى كامل أن جلاء إنجلترا عن مصر هو الرمز للاستقلال، أما السيادة العثمانية فإن التخلص منها من أيسر الأمور بعد التخلص من الاحتلال. كما دفعه هذا الفهم للظروف الدولية المحيطة بالقضية المصرية أيضاً إلى اللجوء إلى الدول الأوربية وبخاصة فرنسا لإكراه إنجلترا على الجلاء عن مصر.

إلا أنه لم يلبث أن خاب أمله فى فرنسا، وصدمت الحركة الوطنية صدمتين: الصدمة الأولى بعد حادث فاشودة عام ١٨٩٨ الذى دل على أن فرنسا لا تنوى معارضة إنجلترا فى احتلال مصر، والصدمة الثانية بعد الاتفاق الودى عام ١٩٠٤. وبذلك ضعف أمل مصطفى كامل فى تدخل أوربا لإنقاذ مصر وانهار ركن من أركان سياسته.(٣٤)

زاد مصطفى كامل من نشاطه وجاءت حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦ لكى تزيد إشعال النار فى قلوب المصريين... فقام بكتابة المقالات عن هذه الحادثة واتصل بالرأى العام العالمى وثارت ضجة انتهت باستقالة اللورد كرومر واختيار بريطانيا للسير (الدون جورست) لكى ينفذ سياسة أكثر ليناً تجاه المصريين. لقد نجحت الحركة الوطنية فى حادثة دنشواى فى إبعاد كرومر الحاكم الفعلى لمصر منذ ربع قرن، وقوى ذلك فى ساعد الحركة الوطنية ورجالها الذين أصدروا نسختهم باللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية لجريدتهم اللواء العربية.(٣٥)

وأخيراً فقد انكشف الخديو عباس عندما غير الاحتلال سياسته بسحب كرومر المتشدد وتعيين الدون جورست عام ١٩٠٧ الذى تضامن مع عباس – وكانت نتيجة اتحاد الخديو وممثل بريطانيا – التضييق على الحركة الوطنية – فبدأت حملة اعتقالات وتفتيش للمنازل ومصادرة للصحف – وإصدار قوانين للصحافة والاجتماعات تحد من حرية العمل السياسى.

وفى ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ لقى مصطفى كامل ربه ليخلفه محمد فريد رئيساً للحزب الوطنى، فى وقت اشتد فيه نشاط الاحتلال البريطانى لمناهضة العمل المعارض لسياساته. فقد ركزت سلطات الاحتلال والسلطات المصرية المتعاونة معها كل جهودها

---

(٣٤) د. عبد العظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٦ – الطبعة الثانية – مكتبة مدبولى – القاهرة – ١٩٨٣ – ص ٣٣. وكذلك د. عمر عبد العزيز عمر: مرجع سبق ذكره – ص ٣٣٣، ٣٣٧.

(٣٥) د. جلال يحيى: المرجع السابق – ص ٣٠٨.

لخنق العمل السياسى المصرى الذى اتخذ فى عام ١٩٠٩ شكل الجمعيات السرية، التى اتخذت من العنف وسيلة، وانتهى الأمر بقيام " جمعية التضامن الأخوى " باغتيال رئيس

الـوزراء بطـرس غـالى فـى فبرايـر ١٩١٠ لتشـهد مصـر أول اغتيـال سياسـى فـى حياتهـا السياسية.

وقد بلـغ عنـف عمليات التنكيل البريطانى والحكومى لكل مظاهر العمل السياسى فى مصر خلال نهايات العقد الأول من القرن العشرين حداً دفع قيادات العمل السياسى (الحزب الوطنى بالتحديد) إلى هجر البلاد إلى الآستانة وأوربا، فخلت الساحة تماماً إلا من الوجود الإرهابى للمستعمر البريطانى وبعض المتعاونين معه.

وخلال السنوات التى خلت فيها الساحة من قيادات الحزب الوطنى، ساد البلاد سكون استسلامى زاده وجود كتشنر المعتمد البريطانى المتشدد سكوناً ووحشة.

ثـم أتـت الحـرب العظمـى ١٩١٤-١٩١٨ ليـزداد إطبـاق الاحـتلال البريطـانى علـى الحركـة الوطنيـة بـإعلان " الحمايـة " علـى مصـر فـى ١٨ ديسـمبر ١٩١٤، وخلـع الخـديو عبـاس فـى اليـوم التـالى، وتعيـين الأميـر حسـين كامـل ١٩١٤ – ١٩١٧ خلفـاً لـه بلقب سلطان، لتخرج مصر منذ ذلك الوقت عن التبعية للدولة العثمانية.(٣٦)

وما أن انتهت الحرب حتى تقدم قادة الحركة الوطنيـة وقتئذ "سـعد زغلـول ورفاقـه" إلى المعتمد البريطانى، طالبين التصريح لهم بالسفر إلى باريس لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح.

وأعقب ذلك رفض بريطانيا التصريح لهؤلاء الزعماء أو لممثلـى الحكومـة المصرية بذلك، فلما حاول سعد زغلـول تنبيـه الشـعب المصرى إلـى عدم شرعية الحمايـة البريطانيـة على مصر، وشرع فـى جمـع التوكيلات عن الأمـة المصرية بتوكيلـه كمطالـب باستقلالها، اعتقلتـه السـلطة البريطانيـة هو ورفاقـه ونفتـهم إلـى خـارج الـبلاد لتهب مصر بأسرها فـى التاسع من مارس سنة ١٩١٩ ثورة وطنية شاملة هى ثورة ١٩١٩.(٣٧)

---

(٣٦) د. عبد الوهاب بكر: صفحات من تاريخ مصر المعاصر – مجموعة محاضرات ألقيت بكلية الآداب جامعة الزقازيق – عام ١٩٩٤– ص ١٣، ١٤.

(٣٧) د. عبد الوهاب بكر: (تاريخ مصر الحديث...) – مرجع سبق ذكره – ص ١٤٣.

رأينـا فيمـا سـبق كيـف استسـلمت مصـر للاحـتلال البريطـانى، وكيـف عـم اليـأس والقنوط، وحرمت البلاد إلى وقت طويل من وجود زعامات وطنية تبعث فى الشعب المصرى

روح الأمل من جديد، فلم يكن هناك ثمة مظهر من مظاهر المقاومة أو الحياة.. فلا دعوة للجهاد، ولا جماعات سياسية، ولا اجتماعات، ولا خطب، ولا معارضة. وظلت الأمة سنين عديدة تتردى فى هوة الانحلال الوطنى.

لقد كان الاحتلال كما سلف القول بداية فترة من التراجع الوطنى، استمر ما يقرب من عشر سنوات انتهت بوفاة الخديو توفيق ليخلفه ابنه الأكبر الخديو عباس فى يناير ١٨٩٢. الذى أخذ يتودد إلى الشعب، وبث فى قلوب المصريين روح الكراهية للإنجليز، وبدأت تظهر بمصر روحاً جديدة أشعلت نار الوطنية مرة أخرى، فتجمع الشعب المصرى حوله بعد أن سعى للاستناد على طبقة المثقفين، وبدأ فى مقاومة التدخل الإنجليزى، ومد يد المساعدة إلى مصطفى كامل وبدأت البلاد مرحلة جديدة من مراحل البعث الوطنى على يد مصطفى كامل.

ساعد هذا على ظهور شباب وطنى مثقف يعى ما تطلبه بلده من المستعمر، وعلى خلق مناخ وطنى قوى ازدهرت فيه الحركة الوطنية وبدأت تحارب الاستعمار.

وفى هذه الفترة ولد عبد الرحمن عزام، وقد واكب ميلاده حقبة تاريخية هامة شهدت ميلاد الشرق الأوسط الحديث، فقد كانت مصر فى ذلك الوقت ولاية تابعة للدولة العثمانية. وبلداً يناضل من أجل استرداد حريته واستقلاله السياسى من مستعمر بغيض خيم عليه بظلاله، وفرض عليه الحماية منذ أن وطئت قدمه هذه البلاد.

لقد نشأ عبد الرحمن عزام متأثراً بأفكار الحزب الوطنى وبزعيمه مصطفى كامل، فحفظ الكثير مما كان يردده هذا الزعيم فى خطبه ومقالاته. مما كان له أكبر الأثر فى تكوين شخصيته. وهذا ما سنراه فيما يلى.

الفصل الثانى
نشأة عبد الرحمن عزام وتكوينه

الفصل الثانى

نشأة عبد الرحمن عزام وتكوينه

أصل عائلة عزام:

يذهب البعض إلى أن أصل عائلة عزام يرجع إلى قبيلة الشرارات، والشرارات من بنى كلب، وبنى كلب من العرب القحطانية. وهذا يؤكد أنهم من أصل عربى، ويذهب آخرون إلى أن أصولهم ترجع إلى قبيلة قضاعة، وقضاعة من قريش، أى أن الثابت أنهم ينحدرون من أصول عربية.[١]

كما يذكر فريق ثالث أن أصل عائلة عزام ينحدر من بلدة بير السبع والتى تقع بصحراء النقب.[٢] وهى اسم لأقدم الأماكن في فلسطين وتقع في الجزء الجنوبى من تلك البلاد. بين بيت المقدس والكرك، وتبعد عن الخليل وعن غزة حوالى خمسين كيلو متراً تقريباً. وإليها يتنسب آل عزام في الجيزة بمصر.[٣]

أما المؤكد أن الجد الأكبر عزام استوطن في " عينون " و " أقيان " وهما من أعمال الحجاز، وهناك تزوج من فتاة من أهلها. ولما مات خلَّف وراءه ستة أولاد هم سرحان، ومحمد، وفرحان، وسعيده، وأشتيه، ونصره.

ثم هجر الأخوة معاً تلك الديار وهبطوا أرض سيناء والقسم الجنوبى من فلسطين فاستوطنوا الأراضى المجاورة للشلال، وكثرت ذريتهم. فخلف سرحان السراحين والزربة، وخلف محمد المحمديين، وخلف فرحان الفراحين والمريعات، وخلف أشتيه المسعوديين والسواخنة والطبايعة " أي الصبحيين " وخلف سعيد العصيات والزيادين والصبيحات، ولم يخلف نصره أحداً إذ أنه قُتِل قبل أن يتزوج.

---

(١) عارف العارف: تاريخ بير السبع وقبائلها- مطبعة بيت المقدس- سنة ١٩٣٤م- ص٩٤.

(٢) د. ممدوح عزام: من حديث بمنزله بالمعادى - يوم ٥ مايو ٢٠٠٠.

(٣) عارف العارف: المرجع السابق- ص١٤، ٩٤.

وعندما استقروا في هذه الأراضى هاجمتهم قبائل الجبارات من جهة والتياها من جهة أخرى، ومناوشات بين الفريقين حروب إضطر العزازمة على أثرها لمغادرة البلاد والرحيل إلى العريش... ولكنهم لم ينفكوا عن مناوشة خصومهم وشن الغارات عليهم من حين إلى حين حتى تمكنوا من الرجوع إلى الأراضى التى إحتلوها قبلاً من أطراف "الشلال" و "البحيرات" و "القرين" و "العراقيب" وغيرها.

ثم جرت مواجهات بينهم وبين الترابين وعندما حمى وطيسُها واشتد لهيبُها. اضطروا إلى الانسحاب نحو الجبال والأراضى الوعرة. فنزلوا "المشاش" و "الشريف" و "الضاهرية" وغيرها وظلوا في حرب وقتال متواصلين حتى تأسست مدينة السبع الجديدة ووطد العثمانيون دعائم حكمهم في هذه البلاد.[٤]

خرج بعض العزازمة من هذه البلاد وظلوا يتنقلون من مكان إلى آخر حتى وصلوا إلى مديرية الجيزة واستقروا بمركز العياط، وأطلقوا على المكان الذي استقروا به اسم الشويك، وكانوا كلما ستقروا بمكان- طيلة رحلتهم من فلسطين إلى الجيزة- أطلقوا عليه اسم الشويك.[٥]

أصل الشويك:

أما قرية الشويك الغربى أو ما تعرف بشويك الجيزة، فهى من القرى العديدة في مصر التى تحمل اسم الشويك، وكما يصفها على باشا مبارك في الخطط التوفيقية فإنها " تقع على الشاطئ الغربى للبحر الأعظم (نهر النيل) في الشمال الشرقى لدهشور بنحو أربعة آلاف وخمسمائة متر وأغلب مبانيها بالطوب اللبن وبها زاوية للصلاة وبدائرها نخيل وكانت قديماً في البر الشرقى فأكلها البحر فانتقلت إلى البر الغربى ولها أطيان في البر الغربى ولها أيضاً جزيرة تجاهها في وسط البحر صالحة للزرع ويسكنها بعض

---

(٤) عارف العارف: مرجع سبق ذكره- ص٩٥.

(٥) د. ممدوح عزام: من حديث بمنزله بالمعادى في ٥ مايو ٢٠٠٠.

الأهالى والعرب وكثيراً ما كان يحصل منهم ومن غيرهم الإفساد فى البلاد ".[٦]

وهذه القرية تقع بمركز العياط بمديرية الجيزة، وتبعد حوالى ثمانية عشر ميلاً جنوب مدينة حلوان. وأراضى هذه القرية تقع على جانبى النهر، الجزء الأكبر يقع على الضفة الشرقية.

وفى عام ١٩٠٠ انقسمت أراضى الشويك إلى قسمين- الشويك الشرقى والشويك الغربى- طبقاً لموقعهم على النهر. وفى وقت ميلاد عبد الرحمن عزام كان عدد سكان كلتا القريتين حوالى ثلاثة آلاف شخص تقريباً. أغلبهم من الفلاحين.

ومن أشهر القبائل التى سكنت الشويك قبيلة العطيات. وتذكر بعض المراجع أن هذه القبيلة قامت في القرن الثامن عشر بتمرد ضد العثمانيين. وقد عُرِف الكثير عن هذه الثورة من الحكايات التى كانت كبار نساء القرية يسلين بها أطفالهن، وكن يصفن لهم النزاع بين العطيات والعثمانيين.[٧]

الشويك الغربى وآل عزام:

ارتبط اسم عائلة عزام بقرية الشويك ومديرية الجيزة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث كان الشيخ على عزام شيخاً للشويك، ثم أصبح بعد ذلك كاشفاً لإقليم الجيزة.[٨] وكان يحكم ثلاث عشرة أو أربع عشرة قرية، ثم كان إبنه سالم على

---

(٦) على باشا مبارك: الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة – الجزء ١٢ – الطبعة الأولى – المطبعة الكبرى الأميرية – ببولاق مصر المحمية، سنة ١٣٠٥هـ، ص١٤٤.

(7) Ralph M.Coury: (the making of an Egyptian Arab Nationalist- the Early years of Azzam Basha 1893-1936) London First Edition-1998. p.231.

(٨) كان لقب (الكاشف) في النظام الإدارى المملوكى يُطلق على بعض الموظفين القضائيين والضباط العسكريين- وخاصة أولئك الذين أداروا أكثر من مقاطعة ريفية واحدة في نفس المنطقة. وبعد بداية القرن السابع عشر حل الملتزمون محل الكشاف. وأطلق المصطلح عندئذ على فئتين من الموظفين.

(أ) حكام الأقاليم الصغيرة الذين كانوا يعينون من بين ضباط الدرجة الثانية من النظام المملوكى والذين كانوا يعطون في بعض الأوقات رتبة (طوخ) واحد.

عزام حاكماً لإقليم الجيزة، وواحداً ممن حافظوا على مكانة العائلة، فقد تزايدت في عهده حيازة الأسرة من الأرض الزراعية، وقد سيطرت العائلة على المكانة الدينية في بعض القرى والمراكز المحيطة بهم فى مديرية الجيزة، وظلت عمدية الشويك الغربى والشويك الشرقى في عائلة عزام لفترة طويلة، وإستطاع سالم عزام أن يحافظ على هذا الوضع إلى أن توفى وتسلمه خلفاً له إبنه حسن سالم على عزام – والد عبد الرحمن عزام–.(٩) وكان رجلاً يتمتع بكثير من الإحترام لتكامل شخصيته وبساطة حياته.

فهو مسلم متحمس ينتمى إلى واحدة من الطوائف المؤثرة في الإسلام.(١٠) وكان يلعب دوراً بارزاً ونشطاً في ثلاث هيئات حاكمة بالجيزة وهى (مجلس المديرية)– (الجمعية العمومية)– المجلس التشريعي (مجلس شورى القوانين).(١١)

(ب) وكلاء ذو رواتب محدودة يديرون القرى في مصر العليا التى تشكل إيراداتها (أي هذه القرى) جزء من موارد (الوالى)– وكانت هذه القرى خارجة لهذا السبب عن الخضوع لنظام الالتزام الزراعى. ... راجع: د. عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر في النصف الثانى من القرن الثامن عشر، دار المعارف– الطبعة الأولى– ١٩٨٢– ص١٦٢.

(9) Ralph. M.Cour: Ibid., p.15.

وتذكر بعض المراجع أن بريطانيا عندما إحتلت مصر قامت بنفى سالم على عزام إلى السودان وتوفى ودفن بمدينة الخرطوم "أنظر

(Biographical Dictionary of Modern Egypt- Arthur coldschmidi Jr.) (American university in cairo- 2000)

وكذلك: جامعة الدول العربية (خمسون عاماً) ١٩٤٥– ١٩٩٥– إصدار جامعة الدول العربية ص٣١٤.

(10) F.O 371/8988, (confidential note.) April, 27, 1923.

(11) Ralph. Coury: Op. Cit., p.15.

.. وهذا ما يظهر الوضع الإجتماعى للعائلة فمجلس شورى القوانين كان يتألف من ثلاثين عضواً، يعين الخديو من بينهم أربعة عشر عضواً يكون الرئيس واحداً منهم وكذلك أحد الوكيلين ويطلق على هؤلاء الأربعة عشر عضواً، الأعضاء الدائمون. نظراً لعضويتهم الدائمة. بينما ينتخب الأعضاء الباقون بإعتبارهم أعضاء مندوبين عن طريق مجالس المديريات ولمدة ست سنوات كما يجوز إعادة إنتخابهم على الدوام. ويكون من بينهم الوكيل الثانى للمجلس بعد موافقة الخديو عليه– ويعتبر هذا المجلس مجرد هيئة إستشارية للحكومة... كما كانت الجمعية العمومية تتألف من النظار وأعضاء مجلس شورى القوانين ثم من الأعيان المندوبين، وعددهم ستة وأربعون عضواً وفقاً للتقسيمات الإدارية===

وإستطاع حسن بك عزام أن يزيد من حيازة الأرض الزراعية بعد وفاة والده حيث امتلك ما يقرب من ١٢٠ إلى ١٧٠ فداناً مما جعله ضمن كبار الملاك – وليس الاقطاعيين – والذين كانوا يمثلون حوالى ١.٣% من ملاك الأرض الزراعية المصريين.

كل ذلك جعل عائلة عزام تقف على قدم المساواة مع بعض العائلات مثل فراج، غريب، جابرى، أبو داود، وأبو نصر والتى كانت تمثل طبقة الأغنياء بالبلدة وأيضاً بالمنطقة المحيطة بهم.(١٢)

أما والدة عبد الرحمن عزام هى نبيهه خلف السعودى وهى أيضاً تنحدر من إحدى العائلات البارزة، فوالدها خلف السعودى يعد من كبار ملاك الأرض وكبير قرية المحرقة التى تقع في الجنوب الغربى من الشويك، وخالها هو مراد السعودى وهو فى نفس الوقت ابن عم أبيها. وقد لعب دوراً كبيراً في الحياة البرلمانية في عهد الخديو إسماعيل، كما كان أحد الأتباع المخلصين للزعيم القومى عرابى الذي قاوم الهيمنة الأوروبية والإحتلال البريطانى في عام ١٨٨٢.(١٣)

=== للدولة ولمدة ست سنوات ويجوز إعادة إنتخابهم أيضاً على الدوام... وكانت الجمعية تنعقد مرة على الأقل كل سنتين بأمر من الخديو. ولقد إقتصرت العضوية في هاتين الهيئتين وفقاً للقانون، على الأعيان ومعظمهم من فئة كبار الملاك الوطنيين، فالعضو بالجمعية العمومية اشترط أن يكون مؤدياً لخراج الآستانة منذ خمس سنوات على الأقل، أو مالاً مقرراً على عقار، أو أطيان قدرها ألفا قرش (عشرون جنيهاً) سنوياً. أما العضو بمجلس الشورى فاشترط أن يكون من الملاك الذين يدفعون ضرائب قيمتها خمسون جنيهاً سنوياً. ومنذ وقوع مصر تحت الإحتلال البريطانى في عام ١٨٨٢ إقتصر أمر هاتين الهيئتين على شكل نيابى باهت، وسرعان ما أنشأت بدلاً منهما الجمعية التشريعية في عام ١٩١٣ والتى لم تمارس أعمالها إلا خمسة شهور حيث قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، وأعلنت بريطانيا حمايتها على مصر.

لمزيد من التفاصيل أنظر (د. عبد الخالق لاشين: سعد زغلول (دوره في السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤) – تقديم د. أحمد عبد الرحيم مصطفى– دار المعارف المصرية– ص١٦٠، ١٦١) وكذلك (جريدة الأهرام العدد ٤١٧٧٠– ١٧أبريل ٢٠٠١– مقال بعنوان أشهر الدساتير المصرية– د. لطيفة محمد سالم– ص١٢)

(12) Ralph. M. Coury: Op. Cit., p. 24.
(13) Ralph. M. Coury: Op. Cit., p.16.

مولد عبد الرحمن عزام:

مما لا شك فيه أن سيرة الإنسان ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمان والمكان،" فهى نتاج مكان معين وهو ما ندعوه بالبيئة، وهى صنع زمن بعينه يؤثر فيها وتؤثر فيه". ومن هنا جاءت أهمية دراسة ماضى الإنسان، فالظروف الإجتماعية والثقافية والسياسية المحيطة به هى التى تكون شخصيته وتنعكس على تصرفاته في بقية مراحل حياته.(١٤)

ولد عبد الرحمن عزام في ٨ مارس عام ١٨٩٣ وهو الطفل الثامن من بين أثنى عشر طفلاً ولدوا في الشوبك الغربى.(١٥) وهو المولود الخامس لحسن بك عزام.(١٦) والإبن الأصغر له.(١٧)

يقول عزام: " أنا فلاح ابن فلاح من مديرية الجيزة التى أصبحت الآن محافظة. وصحيح أن شهادة ميلادى تقول أننى ولدت في ٨ مارس ١٨٩٣ ولكن أحداً لم يكن يهتم في الماضى بتسجيل المواليد في نفس اليوم. وكان عليهم أن ينتظروا حتى يذهب حلاق الصحة إلى البندر لتسجيل المولود الجديد في مكتب الصحة. ولذلك يحتمل كثيراً أن أكون قد ولدت قبل ذلك التاريخ الذي تحمله شهادة ميلادى الرسمية بأسبوع.. أو بعشرة أيام "(١٨)

ورغم إتفاق معظم المراجع على أن عبد الرحمن عزام ولد في ٨ مارس ١٨٩٣ إلا أن ملف خدمته يؤكد غير ذلك حيث ذكر فيه أنه من مواليد أول أبريل ١٨٩٣.(١٩)

---

(١٤) محمد عبد اللطيف عبد الحفيظ: إسماعيل صدقى ودوره في الحياة السياسية المصرية- رسالة دكتوراه غير منشورة- ١٩٩٤- كلية الآداب - جامعة الزقازيق - ص٢.

(15) Ralph. M. Coury: Ibid, p.15.

(١٦) وحيد الدالى: أسرار الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام- مكتبة روز اليوسف - يناير- ١٩٨٢- ص١٧.

(17) F.O 371/8988, (confidential note.) May, 29, 1923.

(١٨) جميل عارف: صفحات من المذكرات السياسية لأول أمين عام للجامعة العربية " عبد الرحمن عزام " - جـ١- المكتب المصرى الحديث - ص٣٩.

(١٩) دار المحفوظات العمومية: ملف خدمة عبد الرحمن عزام، مسلسل- ٢١٧٧ - محفظة- ١٥٤٢ - عين- ١٩٦ - مخزن٤٢.

وقد وُلد عبد الرحمن عزام في ذلك البيت الذي بناه جده سالم على عزام في النصف الأول من القرن التاسع عشر وقد تميز في بنائه حيث طوق هذا البيت بحديقة إنتهت ببوابة حديدية. الطابق السفلى كان مطلاً على شرفة كبيرة واحتوى على صالون، وغرفتى نوم، وبهو، ومطبخ وبالإضافة إلى غرفة أخرى أعدت لإدارة كافة الأشغال سواء أكانت خاصة أو عامة، ونظراً لأن عمدة الشوبك كان يختار من بين أفراد عائلة عزام فقد إحتوت هذه الغرفة على آلة التلغراف الحكومى والتى كانت عادة ما توجد في منازل العمد في ذلك الوقت حتى تسهل الاتصال السريع بالسلطات المركزية.

أما الطابق الثانى فقد احتوى على العديد من الغرف الخاصة حيث إحتوى على أجنحة للنوم بها غرف خاصة للنساء وأخرى للرجال. واتسمت تلك الغرف باتساعها واحتوت على مساند وكسيت أراضيها بالسجاد... وبميلاد عبد الرحمن عزام تم تزويد المنزل بسرير صغير وشبكة حامية من البعوض (ناموسية).

وكان حسن بك يستقبل أصدقاءه ومعظمهم من وجهاء القرية وأعيانها فى صالونه، وقد تشكلت ثقافاتهم الأدبية والدينية بالأزهر الشريف، وبعد تناول الغداء كانوا يلعبون الشطرنج أو السيجا، بينما يناقش آخرون تفسير الأحاديث والفتاوى. وكان إلقاء الشعر والأدب هو وسيلتهم للتسلية، كما كانوا يتمتعون بسماع السير الشعبية مثل سيرة عنترة وأبو زيد الهلالى...وتميز هذا البيت بالكرم والوقار.[٢٠]

كانت هذه هى البيئة التى نشأ بها عبد الرحمن عزام، ولقد أمضى العشر سنوات الأولى من عمره فى تلك القرية حيث تعلم كيف يقرأ ويكتب على يد شيخ القرية. وعندما أكمل حفظه للقرآن أقيمت له إحتفالية بالقرية حيث ركب على حصان وطاف به كل أنحاء القرية.

وهنا قرر والده أن يرسله إلى الأزهر الشريف لمواصلة تعليمه هناك حيث سيكون تحت إشراف ومراقبة الشيخ صادق وهو أخ غير شقيق وأكبر سناً من عبد الرحمن.

---

(20) Ralph. Coury: Ibid, p.15, 25.

وعلى أيـة حـال – فبعد أسابيع قليلـة غير حسن بك رأيـه وعاد بولـده إلـى القريـة لكونـه لم يتجاوز السادسة من عمره وألحقه بكتاب القرية الذى كان كمدرسة صغيره، وظل به إلى أن إنتقلت الأسرة إلى حلوان فى خريف ١٩٠٣.(٢١)

يقول عبد الرحمن عزام " إنتقلنا إلـى حلـوان لنعيش فـى البيت الـذى إشـتراه والـدى من أحد الباشوات حتى نكون قريبين من المدرسة الإبتدائية التى ألحقت بها... ولم تنقطـع صلتى بالقرية، فقد كنت أذهب إليها فى أيام الأجازات الأسبوعية، وفى فترة الصيف ".(٢٢)

وفى عام ١٩٠٤ حصل عبد الرحمن علـى الشـهادة الإبتدائيـة مـن مدرسـة حلـوان الإبتدائية.(٢٣)

فى ذلك الوقت بدأ شعوره السياسى ينمو عندما سمع لأول مرة فى حياتـه عن مصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى وكان عمره آنذاك لم يتجاوز الثانيـة عشر... وحفظ وهو طفل صغير الكثير مما كان الزعيم الشاب يقوله فى خطبه ومقالاته.

يقـول عبـد الـرحمن " وأعجبتنـى كلمـات مصـطفى كامـل وهـو يقـول: لا يـأس مـع الحيـاة.. ولا حيـاة مـع اليـأس.. بالدرجـة التـى جعلتنـى أردد تلـك الكلمـات المـأثورة علـى لسانى.. ولا أظننى تركت فى تلك الأيام حائطاً واحداً فى قرية الشويك الغربى أو فى مدينـة حلوان، دون أن أكتب عليه بالطباشير بعض كلمات الزعيم الوطنى ".

وهكذا مارس وهو تلميذ بالمدرسة الإبتدائية كتابـة المنشورات على حوائط بيوت قريته وفى مدينة حلوان.. ولكن بالطباشير.(٢٤)

---

(21) Ralph. Coury: Ibid, p. 28.

(٢٢) جميل عارف: مرجع سبق ذكره – ص ٣٩.

(٢٣) لـواء. فـاروق رجـب: عظمـاء ومشـاهير السـعيدية " مدرسـة الـوزراء "– الطبعـة الأولـى – ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م– مؤسسة فيج بوكس البريطانية للنشر– مطابع الأهرام– ص٨٧.

(٢٤) جميل عارف: مرجع سابق – ص ٤٠، ٤١.

لقد تعلم أخوة عبد الرحمن عزام الأربعة الأولون فى الأزهر الشريف حيث حاز إثنان منهم بعض التميز... أما الإثنان الآخران فقد تركا الجامعة فى مرحلة مبكرة لمباشرة أملاك العائلة ولإدارة شئون القرية.

يُعَد عبد الرحمن هو الأول فى عائلته الذى تلقى فيما يسمى فى مصر تعليماً ليبرالياً (أى التعليم الحكومى).[٢٥]

ومع مرور الأيام أخذت أفكار الحزب الوطنى تتغلغل فى نفسه وتثير فى قلبه الحماس والحمية الوطنية.[٢٦] وفى عام ١٩٠٨ التحق بالمدرسة السعيدية الثانوية.[٢٧] وهناك أنشأ هو ومجموعة من زملائه بالمدرسة جمعية أسماها " الرابطة الإسلامية " وكانت هذه الجمعية تنادى بأفكار الحزب الوطنى الذى كان يتزعمه مصطفى كامل.[٢٨]

وكان خلال فترة الدراسة يقضى أوقات الفراغ ممتطياً صهوة جواده فكان يخرج مع رجال الصحراء للصيد والقتال، وقد أفادته هذه الرياضة فى تقوية جسده كما زادته حدة فى الذكاء.[٢٩]

وعندما بلغ الخامسة عشر من عمره، وأثناء دراسته بالمدرسة السعيدية الثانوية تُوفِّىَ والدُه، فكان نصيبه من تركته لا يزيد على قطعة أرض زراعية فى زمام الشوبك الغربى، ومنزل فى حلوان بالإضافة إلى بعض النقود السائلة التى كان والده يحتفظ بها فى بيته كعادة أهل الريف فى هذه الأيام.

يقول عبد الرحمن عزام " ... وصحيح أن عائلتنا فى قرية الشوبك الغربى كبيرة، وتربطها بعائلات كثيرة فى المنطقة التى حولها صلات النسب والمصاهرة إلا أننا لم نكن فى يوم من الأيام من الإقطاعيين.. كنا من هؤلاء الذين يمكن

---

(25) F.O 371/8988, (confidential note.) May, 29, 1923.

(٢٦) جميل عارف: مرجع سابق – ص ٤١.

(٢٧) لواء فاروق رجب: مرجع سبق ذكره – ص ٨٧.

(٢٨) موسوعة وكالة أنباء الشرق الأوسط: أعلام مصر فى القرن العشرين – رئيس التحرير مصطفى نجيب – الطبعة الأولى – فبراير ١٩٩٦ – ص ٣٠٠.

(٢٩) روز اليوسف: العدد – ٩١١ – ٢٩ نوفمبر ١٩٤٥ – ص ١٣.

أن ينطبق عليهم القول: مستورين والحمد لله ".[٣٠]

عبد الرحمن عزام... وجمعية أبو الهول:

ظل عبد الرحمن مواظباً على دراسته بعد وفاة والده حتى حصل على الشهادة الثانوية في عام ١٩١٢، ونظراً لعدم إكتفائه بالتعليم في القصر العينى فقد طلب من أهله السفر لدراسة الطب في كلية " سان توماس الإنجليزية "[٣١] وحاول البعض إقناعه بالعدول عن رأيه، لكنه أصر بشدة فاضطر الأهل للموافقة على سفره إلى لندن.

وكان عزام يحلم بأن يكون له دوره في الكفاح ضد قوى الإحتلال الإنجليزي وأعوانه، كما كان يحلم بإنقاذ بلده من أعدائها الثلاثة وهم الفقر، والجهل، والمرض.

يقول عزام " كنت أريد أن أفعل شيئاً من أجل مصر، وقد إستقر رأيي على دراسة الطب إيماناً منى بأن هذه الدراسة واجب وطنى في معركة نضال الشعب المصرى ضد الإحتلال الإنجليزي ".[٣٢]

سافر عزام إلى لندن للإلتحاق بسان توماس وكان شاباً صغيراً بلا خبرة بالحياة... وبلا تجارب، وأثناء الدراسة أبدى قدراً كبيراً من الكفاءة.. لقد عاش في إنجلترا حياة سهلة نظيفة... وقد حاز على إعجاب وإحترام الكثير من الإنجليز وذلك لتواضعه وإستقامته وجاذبية شخصيته.[٣٣]

وفى تلك الأثناء أسس عزام وزملاؤه في لندن "جمعية أبو الهول" والتى هاجم من خلالها بريطانيا، وأفصح عن عدائه لها.[٣٤] وطالب باستقلال مصر والدعوة لقضيتها وإختير رئيساً لهذه الجمعية.[٣٥]

---

(٣٠) جميل عارف: نفسه – ص ٤٢.

(31) F.O. 371/8883, 19/2/1923

(٣٢) جميل عارف: نفسه – ص٤٣.

(33) F.O. 371/8883, 19/2/1923.

(34) A Group of Friends of the Arab League: Abd al Rahman Azzam the first Secretary-General of the Arap league- 1945-1952- p.4.

(٣٥) الهيئة العامة للاستعلامات: موسوعة الشخصيات المصرية " عبد الرحمن عزام "– بدون تاريخ – بدون جهة طبع، ص٣.

وفى عام ١٩١٣ اندلعت نيران الحرب في البلقان[٣٦]، وأعلن البلقانيون الحرب على الدولة العثمانية، فقرر عزام أن يترك دراسته للطب، وأن يسافر إلى البلقان للتطوع في صفوف المسلمين في الحرب ضد هؤلاء الطغاة[٣٧]، ونصحه بعض زملائه بأن يتريث حتى ينتهى من تأدية إمتحانات آخر السنة، خصوصاً وأنه لم يبق على موعد الإمتحانات أكثر من عدة أسابيع، ووافق على مضض، فقد كانت الفظائع التى ترتكب ضد المسلمين تثير فى نفسه القلق... وإنتهت السنة الدراسية[٣٨]، وقبل أن يغادر لندن ساعده أحد أصدقائه من الإنجليز في الحصول على خطاب يقدمه لكل من يهمه الأمر، على أنه مراسل لجريدة عمالية إسمها "الديلى ستيزن" وهذه الجريدة - كما يصفها عزام - لم تكن معروفة، ولم يكن يقرأها إلا عددً محدودً من العمال.

---

(٣٦) دول البلقان هى دول (اليونان- بلغاريا- صربيا- الجبل الأسود) أنظر وكالة أنباء الشرق الأوسط ١٩٩٦. وحروب البلقان حربان قامتا في عامى ١٩١٢/١٩١٣حول ترتيب أراضى الإمبراطورية العثمانية السابقة في البلقان، دعمت روسيا جهود بلغاريا والصرب في عام ١٩١١ لإقامة تحالف يوقف زحف إمبراطورية النمسا والمجر جنوباً في البلقان وبعد إنقلاب (جمعية الاتحاد والترقى) في استانبول عام ١٩٠٨ أصبحت هاتان الدولتان الصغيرتان معنيتين بتقسيم الأراضى العثمانية الباقية تحت سيطرتها في أوروبا، وخاصة مقدونيا. وفى ١٣ مارس وقعت بلغاريا وصربيا معاهدة التعاون المتبادل. أنضمت اليونان إلى بلغاريا في حلف في ٢٩مايو ١٩١٢، وفى أواخر سبتمبر رتبت الجبل الأسود إجراءات مع بلغاريا والصرب، مع إنشغال الدولة العثمانية في الحرب الطرابلسية ورغم إحتجاجات القوى العظمى فإن عصبة البلقان هذه بدأت حربها ضد الدولة العثمانية في ٨ أكتوبر ١٩١٢ وكان المثير للدهشة هو تحقيق هذا التحالف إنتصارات حاسمة على الإمبراطورية العثمانية. أجبرت (معاهدة لندن- ٣ مايو ١٩١٣) الدولة العثمانية على التنازل عن كل أراضيها المتبقية في أوروبا. فيما عدا المنطقة المواجهة مباشرة (للآستانة) – لدول البلقان وكانت هذه حرب البلقان الأولى. أما عن الحرب الثانية فقد قامت نتيجة للنزاع على تقسيم هذه الأراضى العثمانية السابقة بين الدول البلقانية المتحالفة.(للمزيد أنظر (*Biographical Dictionary of Modern Egypt-Arthur...........*) ، أوراق محمد فريد (مذكراتى بعد الهجرة.... ص٩٩).

(٣٧) جميل عارف: مرجع سابق – من ص ٤٨.

(٣٨) مجلة نصف الدنيا: العدد ٥٨٧ – ١٣ مايو ٢٠٠١م – مؤسسة الأهرام – ص ٥٤.

وفى تلك الأيام كان حزب العمال البريطانى من الأحزاب المغمورة، فلم تكن لـه أيـة قيمة سياسية. ولم يكن يمثله في مجلس العموم البريطانى سوى نائب واحد.

ترك عزام لندن ووصل إلى مدينة تريستا ومنها إلى ميناء "كترو" المطل على بحر الأدرياتيك ومنه إلى مدينة ستنجة ثم إلى مدينة شقودرا، وفى هذه المدينة إلتقى بكثير من الوطنيين والمجاهدين وإشترك معهم في الكتابة بإحدى جرائدهم والتى كانت تسمى "هدى الله".

ثم خرج بعد ذلك من مدينة شقودرا حتى وصل إلى برنديزى بإيطاليا – ومن برنديزى سافر إلى إستانبول.

وفى أثناء إقامته بإستانبول قرر أن يلتحق بجامعة إستانبول حتى يكمل دراسته للطب هناك .. ولكن لم تسنح له الفرصة بذلك.

كما قابل الشيخ عبد العزيز جاويش أحد رجال الحزب الوطنى المصرى، والذى أكرم وفادته وقدمه إلى كثير من الشخصيات العربية والعثمانية، وأعطاه خطاب توصية إلى أنور باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش العثمانى في هذه الأيام.

وأنضم عزام إلى عدد من الضباط العرب الذين كانوا يعملون في الجيش العثمانى واستطاعوا استعادة أدرنة.[٣٩]

وقد كتبت جريدة الشعب أكبر جرائد الحزب الوطنى في مصر في أكتوبر ١٩١٣ عن وطنية عبد الرحمن عزام ومغامراته في حرب البلقان سواء في ألبانيا أو أدرنة.

---

(٣٩) جميل عارف: مرجع سابق – من ص ٤٩: ٦١.

وأدرنة: هو إسم يطلق على ولاية عثمانية أوربية، كما يطلق على عاصمتها وتقع بالقرب من الحدود البلغارية، وكان سقوطها في أيدى الصرب والبلغار في مارس ١٩١٣ من أهم أحداث حروب البلقان، ولكن لم تلبث الدولة العثمانية أن استعادتها في يوليو من نفس العام وهى من أكبر المدن العثمانية بعد إستانبول (للمزيد من التفاصيل أنظر أحمد عطية الله: (القاموس السياسى– دار النهضة العربية – الطبعة٣– ١٩٦٨– ص٣٣).

وقد ألف عبد الرحمن عزام – في ذلك الوقت – كتاباً طبع ونشر في إستانبول باللغة العربية قبل الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ عن حرب البلقان، وهو في سن العشرين.(٤٠)

عاد عزام إلى لندن بعد ذلك واستمر النشاط الوطنى لجمعية أبو الهول فوجهت الدعوة إلى الزعيم الوطنى محمد فريد وكان يعيش في سويسرا.(٤١) لحضور مؤتمر الأجناس المضطهدة والمستعبدة والذى سيعقد في يومى ١٦، ١٧ فبراير عام ١٩١٤.

ووصل محمد فريد إلى لندن ووجد إستقبالاً حاراً من الطلبة المصريين هناك الممثلين لجمعية أبو الهول، وطلبوا منه أن يكون ضيفهم مدة إقامته.

وفى ٢١ فبراير ١٩١٤ أقيم لفريد حفل شاى دعى إليه كثير من رجال الصحافة، وبعض أعضاء البرلمان وحضره كثير من الطلبة المصريين في لندن وأرسل طلبة أكسفورد وطلبة كامبردج وفوداً تنوب عنهم، وأرسل طلبة أدمبرج ودبلين وليفربول وغيرها تلغرافات تحية وإعتذار، وأفتتحت الحفلة بكلمتين.. ثم خطب كثير من الطلبة خطباً حماسية كانت إحداها بالإنجليزية وهى التى ألقاها عزام أفندى وباقيها بالعربية ألقاها السيد أفندى دسوقى وعبد الرؤوف رشدى ... وكانوا يخطبون بكل شجاعة وبدون إحتراس في إبداء أفكارهم بكل صراحة مع تأكدهم من وجود جواسيس بين الحاضرين.(٤٢)

ومنذ ذلك الحين تعرف عزام على محمد فريد ونشأت بينهما علاقة صداقة ومودة وأخوة وهدف ومصير واحد ألا وهو العمل على تحرير مصر من أيدى الإنجليز.(٤٣)

---

(٤٠) عبد الرحمن عزام:خطاب منه إلى ولده عصام ومرفق بالملاحق/بيروت ١٨فبراير١٩٦٨– ص١، ٢.

(٤١) جميل عارف: المرجع السابق– ص٤٧.

(٤٢) محمد فريد: أوراق محمد فريد – (مذكراتى بعد الهجرة، ١٩٠٤–١٩١٩) – المجلد الأول–٢٠٠٢– الهيئة المصرية العامة للكتاب – ص١٣٩ وما بعدها.

(٤٣) د. عمر عبد الرحمن عزام: حديث بمنزله بالمعادى في ٥ مايو ٢٠٠٠.

وفى أواخر يوليو عام ١٩١٤ وجه عزام الدعوة للطلبة المصريين ممن كانوا يدرسون في مختلف دول أوروبا.(٤٤) لعقد مؤتمر عام في جنيف أطلق عليه إسم "مؤتمر

الشبيبة المصرية" وقد أُختير عزام مع أربعة من زملائه في إنجلترا لحضور هذا المؤتمر وهم الدكتور عبد الحليم حلمى، الدكتور عبد الرؤوف رشدى ومصطفى عمر بك والأستاذ زيدان القصبى.

وعقد أول إجتماع في جنيف وإشترك فيه حوالى ٢٠٠ طالباً جاءوا إلى سويسرا من مختلف دول أوروبا.. كما إشترك فيه محمد فريد بك وأمين الرافعى(٤٥) والدكتور منصور رفعت وإسماعيل بك لبيب.وكانت مباحثات المؤتمر كلها في مناهضة الإحتلال والمطالبة بالإستقلال.(٤٦) وقد إنتخب محمد فريد بك رئيس شرف المؤتمر.

وقد تحدث عبد الرحمن عزام عن طلبة لندن في موضوع " ضرورة الحكم الدستورى بمصر " وقد تعرض " لإستبداد كتشنر في مصر " وقد إنتهى المؤتمر بإرسال برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية بالاحتجاج على وجود الإحتلال والمطالبة بالجلاء، كما قرر المؤتمر مطالبة الجمعية التشريعية في مصر بوضع قانون يجعل التعليم الإبتدائى إجبارياً ومجانياً للبنين، وإلغاء القوانين الإستثنائية وقانون المطبوعات، وتقرر أيضاً أن يعقد المؤتمر الثانى في لندن في عيد الفصح، غير أنه لم يعقد بسبب قيام الحرب العالمية الأولى.(٤٧)

---

(٤٤) ويشير أحد التقارير أن عدد المصريين الذين كانوا يدرسون في معاهد أوروبا ٧٢٤ طالباً، من بينهم ٤٤٠ بإنجلترا، ١٨٦ بفرنسا، ٣٥ بسويسرا، ٢٢ بالإمبراطورية العثمانية، ٢٠ بألمانيا، ٩ ببلجيكا، ٨ بإيطاليا، ٤ في النمسا والمجر. ومعظمهم كانوا يدرسون على نفقة أهاليهم. ومن ثَمّ لا يخضعون لأى توجيه رسمى، فكانت لهم حرية الإرتباط بالعمل الوطنى إذا شاءوا. (لمزيد من التفاصيل أنظر أرثر إدوارد جولد شميث (الإبن): الحزب الوطنى (مصطفى كامل – محمد فريد) ترجمة فؤاد دواره- الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٣ – ص٢٤٩.

(٤٥) جميل عارف: مرجع سبق ذكره – ص٧٠.

(٤٦) المصور: العدد ٧٨٩- ١٩٣٩/١١/٢٤- ص٢.

(٤٧) أوراق محمد فريد: مرجع سابق – ص١٥٨.

وفى ذلك الوقت إنقطعت المواصلات، ولم يستطع الطلبة المصريون مغادرة الأراضى السويسرية، وإضطر غالبية أعضاء المؤتمر إلى البقاء في جنيف على أمل أن

تصل إليهم نقود من عائلاتهم في مصر. وإنقطعت المراسلات وتوقفت البنوك عن العمل ولم يستطع أىً طالب من الطلبة المصريين الذين جاءوا إلى سويسرا للإشتراك فى أعمال مؤتمر الشبيبة المصرية أن يفعل شيئاً.(٤٨)

يقول عزام " ساءت أحوالنا وقرر زملائى أن أعود إلى مصر للعمل على إنقاذهم. فركبت القطار من محطة جنيف وفى جيبى يومئذ خمسة جنيهات وكان مجلسى في الدرجة الثالثة حتى وصلت برنديزى، وهى ميناء على بحر الأدرياتيك.(٤٩)

وفى برنديزى إشتريت تذكرة للركوب على سطح إحدى البواخر المسافرة إلى بيريه في اليونان ثم إلى الإسكندرية على ظهر سفينة يونانية " وهناك نزل ضيفاً على محمود فهمى باشا صديق والده وكان رئيس مجلس شورى القوانين.(٥٠)

وفى مصر أخذ البوليس يراقب عبد الرحمن عزام مراقبة شديدة. وعندما أراد العودة إلى إنجلترا مرة أخرى لم تأذن له الحكومة المصرية. فإضطر إلى أن يواصل الدراسة في مستشفى القصر العينى.(٥١) ويادر بالإتصال برجال الحزب الوطنى وعلى رأسهم إسماعيل صدقى باشا، والدكتور سالم هنداوى وزكى على باشا وعبد المقصود متولى بك وغيرهم.

وعقدت الكثير من الإجتماعات التى تدارسوا فيها إحتمالات إشتراك تركيا في الحرب التى كانت دائرة في أوروبا.. فلما أعلنت تركيا الحرب ضد إنجلترا وفرنسا قرر عزام ورجال الحزب الوطنى، الاستعانة بالعثمانيين على تخليص مصر من نير الإحتلال البريطانى، ولكن الإنجليز كانوا أسرع، فقد بادروا بإعلان الحماية على مصر.(٥٢)

---

(٤٨) جميل عارف: مرجع سابق– ص٧٢.
(٤٩) المصور: العدد السابق– ص٢.
(٥٠) جميل عارف: نفسه – ص ٧٢، ٧٨.
(٥١) المصور: نفسه – ص٢.
(٥٢) د. عمر عزام: حديث تم في منزله بالمعادى في ٥ مايو ٢٠٠٠.

وقضى عبد الرحمن عزام معظم وقته فى إثارة زملائه الطلاب وتنظيم المظاهرات المعادية لبريطانيا. لدرجة أن المدير البريطانى للقصر العينى هدده بالفصل وإتهمه بأنه جرثومة الفساد بالمدرسة.(٥٣)

يقول عزام "وكان شعورى بعد إعلان الحماية على مصر بأننى مقيد، وأن بقائى فى مصر تحت ظل هذه الحماية عديم الفائدة، ولا طائل وراءه، ولذلك صممت على مغادرة مصر للإلتحاق بالجيش العثمانى، وللإشتراك فى الحرب ضد الإنجليز... وبقيت أنتظر فى صمت وصبر اللحظة المناسبة للخروج من مصر سراً حتى يتسنى لى التطوع مع العثمانيين فى الحرب... وعرفت أن مجموعة من الضباط العثمانيين قد سافروا إلى طرابلس فى ليبيا ومعهم نورى باشا شقيق أنور باشا وزير الحربية العثمانى، وأنهم يحملون معهم كميات من المؤن والذخائر، وأنه مكلف بأن يُعِد مع السنوسيين جيشاً على حدود مصر لغزوها من ناحية الغرب..

وكانت هذه المعلومات كافية لأن أتخذ أخطر قرار فى حياتى.. وهو الهرب من مصر عبر الصحراء الغربية للالتحاق بهذا الجيش ومحاولة الاستعانة به فى تحرير مصر من الاحتلال البريطانى...".(٥٤)

ليبيا والإستعمار الإيطالى:

كان خروج إيطاليا إلى الاستعمار متأخراً عن غيرها من الدول الأوروبية، وذلك بسبب تأخر وحدتها القومية، وضعف إمكانياتها، ومشكلاتها الداخلية المعقدة.. وليس معنى هذا أن إيطاليا لم يفكر أهلها فى إقامة مستعمرات لهم خارج حدودهم قبل الوحدة القومية إذ أن الإيطاليين كانوا يرجون قبل إتمام الوحدة القومية أن تستطيع مملكة نابولى الاضطلاع بمهمة هذا التوسع الخارجى، وكان كل ما يعنيهم مجرد التوسع لذاته فحسب سواء جرى هذا فى القارة الأوروبية ذاتها أو بعض جزر البحر الأبيض أو فى قطر من أقطار أفريقيا الشمالية.

---

(53) A Group of Friends of the Arab League: Op. Cit., p. 4.

(٥٤) جميل عارف: مرجع سبق ذكره – ص ٧٨، ٨٢.

ومن الدوافع التى جعلت إيطاليا تفكر فى غزو ليبيا، فشلها فى تحقيق الوحدة القومية وخروجها منها منهكة القوى ومحملة بأعباء ومشكلات داخلية كالفقر وكثرة عدد العاطلين عن العمل، إلى جانب الشعور بالنقص إزاء الدول الكبرى ذات المستعمرات،

بالإضافة إلى رغبة الإيطاليين فى استخدام رؤوس أموالهم واستثمارها فى مشروعات تعود عليهم بالنفع ويتدرب الشباب الإيطالي على الأعمال المنتجة.

ومما يجب ملاحظته أن اهتمام الإيطاليين بإقامة مستعمرات إنصب فى المقام الأول على تونس أولاً ثم طرابلس الغرب (ليبيا) ثانياً، لاسَّيما تونس فقد كانت تتمتع بميزة لا تضارعها فيها طرابلس وهى قربها من إيطاليا. هذا التقارب الذى أدى فى العصور القديمة إلى وجود علاقات اقتصادية وسياسية هامة بين هذا الجزء من شمال أفريقيا الذى كان يطلق عليه اسم قرطاجنة وبين إيطاليا. ومنذ ذلك الوقت أخذ كل من شمال أفريقيا وإيطاليا يؤثر فى الآخر ويتأثر به.

ولكن احتلال فرنسا لتونس عام ١٨٨١م قد وجه ضربة لأطماع إيطاليا فى تونس مما أساء العلاقة بين فرنسا وإيطاليا لدرجة جعلت الإيطاليين يتجهون صوب دول وسط أوروبا ويتناسون العداء التقليدي مع النمسا بل ويدخلون فى تحالف مع ألمانيا والنمسا كان الفضل فى إبرامه لبسمارك المستشار الألمانى الذى كان من المجندين لفرنسا لكى تحتل تونس فتنصرف عن التفكير فى إقليمي الألزاس واللورين، وقد كسب بسمارك إيطاليا إلى جانبه مع النمسا فى تحالف ثلاثى.

اتجه الإيطاليون إلى تحقيق مشروعات استعمارية فى شرق القارة الأفريقية بعد أن ضاع أملهم فى تونس ورغم ما صادفوه من نجاح فى أول الأمر باستيلائهم على إقليم أرتيريا إلا أن هزيمتهم على يد الأحباش قد جعلهم يعيدون التفكير فى امتلاك أراضى جديدة فى شمال أفريقيا وخصوصاً فى ولاية طرابلس الغرب، وهى الولاية الوحيدة التى بقيت خاضعة للدولة العثمانية فى شمال أفريقيا.(٥٥)

---

(٥٥) رأفت الشيخ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر – دار الثقافة والنشر والتوزيع – القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م – ص٣٢٣، ٣٢٤.

وفى أواخر القرن التاسع عشر أخذت إيطاليا تمهد لغزو ليبيا.. ومن ثمَّ قامت بفتح عدد من المدارس المجانية فيها، وأنشأت المستشفيات فى مختلف أرجائها.. كما أخذت فى إيفاد البعثات العلمية إلى الأراضى الليبية.

وكان الهدف الأساسى لهذه البعثات هو دراسة المنطقة، ورسم الخرائط العسكرية تمهيداً للغزو الذى كانت تعد له.

وعملت إيطاليا مع استعدادها لغزو الأراضى الليبية على التفاهم مع فرنسا لتضمن وقوفها على الحياد.. وكان أن اعترفت فى سنة ١٨٩٦ بالحماية الفرنسية على تونس كما عقدت معها أيضاً معاهدة لتنظيم الملاحة والتجارة فى البحر المتوسط.

وفى سنة ١٩٠٠ ازداد التفاهم بين الفرنسيين والإيطاليين، بعقد اتفاقيات تقضى صراحة بإطلاق يد إيطاليا فى ليبيا.. وقد جددت هذه الاتفاقيات فى سنة ١٩٠٢.

وفى عام ١٩٠٥ قامت إيطاليا بإنشاء بنك روما فى ليبيا.. وكانت مهمة هذا البنك كما رسمها له الاستعمار الإيطالى، هى اغتصاب الأراضى الزراعية من أصحابها، فقد كان هذا البنك يعمل على إقراض المزارعين ثم يقوم بسلب الأراضى منهم لحساب المستعمرين الإيطاليين.

وفى الوقت نفسه أخذت الصحافة الإيطالية تمهد للغزو الإيطالي لأراضى ليبيا، وكان أن امتلأت الصحف والمجلات بالمقالات التى تتحدث عن فشل الإدارة العثمانية، وعن ضرورة استغلال ثروات ليبيا المعدنية والزراعية.

والثابت أن إعلان الفرنسيين الحماية على تونس، كان بمثابة ناقوس الخطر الذى أثار انتباه الدولة العثمانية إلى أطماع الإيطاليين فى ليبيا.

فقامت الدولة العثمانية بتعزيز قواتها فى ليبيا، إلا أنها اضطرت إلى أن تعود لسحب هذه القوات لاستخدامها فى قمع ثورة اليمن التى نشبت فى تلك الأيام.

والثابت تاريخياً أن إيطاليا أخذت تتحرش بالدولة العثمانية.. وأعلنت الحرب عليها فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ احتجاجاً على تعزيز قواتها فى ليبيا.

كانت هذه حجة واهية أرادت بها إيطاليا أن تبرر غزوها العسكرى للأراضى الليبية. وفى أول الأمر اضطر الشعب الليبي أن يحمل على عاتقه عبء مقاومة الغزاة الإيطاليين فقد كانت الحماية العثمانية فى ليبيا فى تلك الأيام من الضعف والقلة بحيث لم يكن فى وسعها أن تفعل شيئاً.

وفى سنة ١٩١٢ إشتعلت الحرب البلقانية، مما اضطر الدولة العثمانية معه إلى عقد الصلح المعروف بصلح (أوشى) مع الإيطاليين. وكان ذلك فى شهر أكتوبر سنة ١٩١٢.

وفى هذا الصلح اعترفت الدولة العثمانية باستقلال الشعب الليبي استقلالاً داخلياً وقامت بتعيين نائب للسلطان العثمانى فى الأراضى الليبية. وكانت معروفة فى تلك الأيام باسم طرابلس الغرب.

ونصت هذه الاتفاقية على أن يتقاضى نائب السلطان العثمانى راتبه هو ومساعدوه من الموظفين من خزانة ليبيا. على أن يكون تعيينه لمدة خمس سنوات.

كما نصت على تعيين قاض شرعى يتقاضى راتبه من خزانة الدولة العثمانية فى استنبول.

لم تكن هذه الاتفاقية.. اتفاقية صلح ولكنها كانت اتفاقية لتسليم الأراضى الليبية للغزاة الإيطاليين وأرادت الدولة العثمانية أن تؤكد موقفها، فأوفدت وزير حربيتها أنور باشا إلى ليبيا حيث قام بزيارة السيد أحمد الشريف السنوسى فى مقره بواحة جغبوب وسلم إليه فرماناً عثمانياً بتعيينه نائباً للسلطان.

وكان هذا الفرمان كما يقول المؤرخون، لا يعنى إلا شيئاً واحداً.. هو أن الدولة العثمانية قد نفضت يدها تماماً من أمر ليبيا.

وكشف ملك إيطاليا فى تلك الأيام عن نية الإيطاليين الاستعمارية. وكان أن أصدر فى نفس الوقت الذى عقد فيه اتفاقية الصلح. منشور لأهل ليبيا أعلن فيه خضوعهم التام للسيادة الإيطالية.

وتضمن هذا المنشور وعداً بالمحافظة على الشعائر الدينية بما فى ذلك السماح للشعب الليبي بذكر اسم السلطان العثمانى فى خطبة الجمعة بالمساجد. بوصفه خليفة للمسلمين فى تلك الأيام.[٥٦]

إذن لم يكن الغزو الإيطالي لليبيا مفاجئاً لأن الأطماع الإيطالية فى ليبيا لم تكن خافية على الليبيين والعثمانيين. وقد بادر الليبيون منذ عام ١٩١٠م بالإبراق إلى الصدر

الأعظم إبراهيم حقى باشا يعلمونه بعزمهم على رد كل هجوم وطلبوا إرسال وسائل تحصينات طرابلس المهملة والذخائر الحربية والبحرية وأطعمه لمدة عام، وأنهم سيدافعون عن وطنهم حتى آخر نقطة من دمائهم. ولكن إبراهيم حقى لم يفعل شيئاً، ولعل موقفه هذا يفسره أنه كان يعمل سفيراً لبلاده فى إيطاليا وزوجته إيطالية، ومن ثم فهو متهم بالتواطؤ مع الطليان لتسليمهم الولاية.

وبالفعل حدث الغزو الإيطالي لليبيا فى سبتمبر ١٩١١م، ولكن الليبيين لم يستسلموا بل قاوموا حتى بعد أن اضطرت الدولة العثمانية المتهالكة إلى استجداء الصلح مع إيطاليا، والذى تم بوساطة إنجلترا فى لوزان بسويسرا فى أكتوبر سنة ١٩١٢، وإذا كانت القوات العثمانية قد شاركت فى صد الغزو فى أوله إلا أن هذه القوات كانت مبعثرة هنا وهناك وكانت تجهيزاتها الحربية وتدريباها العسكرية ضعيفة وقليلة بحيث حمل المواطنون العرب فى ليبيا عبء القتال وحدهم بمساعدات مادية ومعنوية من الدول العربية والإسلامية وعلى رأسها مصر وتونس.

ونتيجة لمعاهدة لوزان أصدر ملك إيطاليا منشوراً إلى الليبيين فى ذلك الوقت يذكر لهم فيه أن بلادهم خاضعة خضوعاً تاماً للسيادة الملكية الإيطالية، ويعفو فيه عن

---

(٥٦) جميل عارف: مرجع سابق – ص٢٩,٣٠.

الليبيين، ويعدهم بالمحافظة على الشعائر الدينية الإسلامية ويسمح لهم فيه بذكر اسم جلالة السلطان الأعظم بصفته خليفة المسلمين فى الصلوات العامة، بل وسرعان ما صار الإيطاليون يعتبرون المجاهدين الليبيين مجرد عصاة وثوار خارجين على الحكومة الشرعية – الحكومة الإيطالية – فى مقاومتهم، يستحقون لذلك الإعدام شنقاً أو رمياً بالرصاص إذا ما وقعوا فى أيديهم.

ولكن الليبيين لم يرهبهم ما حدث لهم من مذابح دموية أو إحراق مساكنهم و مزارعهم ومواشيهم ومن ثم استمر كفاحهم ضد قوات الغزو الإيطالي الغاشم رغم انسحاب القوات العثمانية، وتحمل السنوسيون عبء النضال فى برقة بأسلوب حرب العصابات.(٥٧)

وكانت معارك حامية أوقع فيها الليبيون خسائر فادحة بالإيطاليين مما قلب مخططاتهم الاستعمارية رأساً على عقب.

ولم يستسلم الشعب الليبي. وظل يقاوم الإيطاليين بشجاعة وقوة. وقد اعترف بذلك المؤرخون الإيطاليون أنفسهم. وقد روى بعضهم كيف كان فى تقدير الإيطاليين أن تتم عملية السيطرة على الأراضى الليبية فى أسابيع. إلا أنهم لم يتمكنوا من ضبط قبضتهم على البلاد إلا بعد فترة طويلة بسبب خسائرهم الفادحة.

وحاولت إيطاليا لكثرة هذه الخسائر أن تعقد الصلح مع المجاهدين الليبيين، فلجأت إلى بعض أصدقاء السيد أحمد الشريف السنوسى لإقناعه بوقف القتال. وكان من هؤلاء الوسطاء الخديوي عباس حلمى الذى أرسل فى سنة ١٩١٣ وفداً من القاهرة إليه فى مقر قيادته بالجبل الأخضر فى تلك الأيام لمحاولة إقناعه بعقد الصلح مع الإيطاليين. ولم تفلح وساطة الخديوي عباس حلمى.(٥٨)

---

(٥٧) رأفت الشيخ: مرجع سبق ذكره – ص٣٢٦,٣٢٧.

(٥٨) جميل عارف: المرجع السابق – ص٣١.

عبد الرحمن عزام... وليبيا:

مع بداية عام ١٩١٥ اتصل عبد الرحمن عزام بأحد مشايخ العرب – وهو الشيخ عبد العزيز مصباح وكانت تربطه بعزام صلة نسب – لتسهيل عملية فراره عبر الصحراء الغربية إلى ليبيا والاستعانة بأحد أفراد البدو ممن لهم خبرة ودراية بمسالك الصحراء ودفع له مبلغاً لتكاليف هذه الرحلة، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل لأن هذا الشيخ اعتبر أن كلام عبد الرحمن عزام مجرد نزوة شباب.

وفى تلك الأثناء، كان قد وصل إلى مصر ضابط بالجيش العثمانى من أصل مصرى واسمه محمد شكرى، وكان قد جاء إلى مصر متخفياً للتجسس وللعمل على إشعال نيران الثورة ضد الإنجليز واتصل هذا الضابط بعدد من زعماء الحزب الوطنى وقد تعرف على عبد الرحمن عزام فقد كان هو الشخص المكلف بتهيئة إقامة هذا الضابط العثمانى وإخفائه وتهريبه من مكان إلى آخر واتفق مع هذا الضابط أن يواصل مهمته فى القاهرة على أن يحمل هو جميع المعلومات الهامة ويذهب بها إلى قيادة الجيش العثمانى فى ليبيا، وبالفعل حاول عزام مرة أخرى عبر الصحراء المصرية ومن بلد إلى آخر يرافقه بعض الأعراب والبدو إلى أن وصلوا إلى مرسى مطروح.(٥٩)

يقول عبد الرحمن عزام " وقطعنا الصحراء فى ١٤ يوماً حتى وصلنا إلى قوات نورى باشا فإذا هى مشتبكة مع الإنجليز وكانت هذه القوات تتألف من متطوعين من الأعراب والمصريين والطرابلسيين بقيادة ضباط عثمانيين. وظللت أحارب مع المحاربين إلى أوائل عام ١٩١٦ دون أن يعرف أهلى مكانى، حتى ظنوا أننى فارقت الحياة...

ولكن هذا الاشتباك لم يلبث أن انتهى بهزيمتنا وإجلائنا عن مطروح، وتعقبتنا القوات الإنجليزية إلى داخل الحدود الطرابلسية حيث وقعت آخر معركة بيننا وبينهم حول بئر " سيدي عزيز "، فتفرقنا ولم يلتم شملنا بعد ذلك على مسافة ١٥٠كيلو متر غرب الحدود المصرية، بمكان يقال له عكرمة فى جنوب طبرق "(٦٠)

(59) Ralph. M. Coury: Op. Cit., p.p 100, 101.

(٦٠) المصور: العدد ٧٨٩ فى ٣٩/١١/٢٤ – ص ٢، ٣.

" وقد بقينا فى هذه المنطقة نحو أربعة أشهر كاملة وصلنا أثنائها إلى حالة مروعة من الفقر والجوع.(٦١) وكنا فى أسوأ حال.. فقد بليت ملابسنا وقل سلاحنا وافتقرنا. وكان أشهى طعام عندنا أرز بزيت. ذلك أننا حين كنا على حدود مصر الغربية كانت الغواصات تمدنا بالمال والأسلحة والملابس. فلما تقهقرنا إلى الداخل تعذر عليها أن تصل إلينا. وكان نورى باشا يدخر مالاً قليلاً فأنفقناه." (٦٢)

فى تلك الأيام تركزت الآمال فى أن تعاود الغواصات الألمانية إمداد القوات العثمانية بالمال والذخائر والسلاح حتى تتمكن من استئناف القتال، واستمر الحال عدة أشهر، وانتهز الإنجليز هذه الفرصة، وقاموا بالاتصال بإدريس السنوسى، وكان قد تولى الإشراف على الأحوال فى منطقة برقة نيابة عن السيد أحمد الشريف السنوسى، وأخبروه أنهم على استعداد لفتح أسواق السلوم للأعراب الطرابلسيين، ولكن بشرط أن يعمل على إبعاد نورى باشا والمقاتلين معه من منطقة الحدود المصرية الليبية.

ووافق السنوسى على تنفيذ رغبة الإنجليز، وبادر بالاتصال بنورى باشا وأرسل إليه وفداً مكوناً من عمر المختار وخالد الحمدى وإبراهيم المصراتى.

وتقابل هذا الوفد مع نورى باشا وعبد الرحمن عزام، وطلب أعضاء هذا الوفد من نورى باشا الرحيل للقاء السيد إدريس السنوسى فى المنطقة التى كان يعيش فيها ناحية "أجدابيه".

وبالفعل قرر نورى باشا وعبد الرحمن عزام وبعض الضباط والجنود الذهاب للقاء إدريس السنوسى، وقد وصلوا إلى أجدابيه بعد عدة أيام حيث طلب السنوسى من نورى باشا إصدار أوامره إلى قواته للتحرك من برقة إلى أجدابيه.(٦٣)

المهم.. عمل نورى باشا باقتراح السيد إدريس، وكان أن أصدر تعليماته إلى

---

(٦١) جميل عارف: مرجع سابق – ص١١٧.

(٦٢) المصور: العدد السابق – ص٣.

(٦٣) د. عمر عزام: حديث تم بمنزله فى المعادى فى ١٨ مايو ٢٠٠٣.

الضباط والجنود بالرحيل عن هذه المنطقة والتحرك غرباً للاستقرار فى منطقة أجدابية.

وعندما وصلت هذه القوات إلى المنطقة أقيم لها معسكر فى أقصى جنوب المنطقة الساحلية حتى يصبح فى معزل عن أكواخ الأهالى. وخصص أحد البيوت لإقامة نورى باشا وضباطه.

فى ذلك الوقت اشتدت المجاعة وكانت الأراضى الطرابلسية محاصرة تماماً فلم تكن طرق التجارة مفتوحة مع مصر من ناحية الشرق، ولا مع تونس من ناحية الغرب. فقد كان الإنجليز يسيطرون على مصر ويراقبون الحدود الشرقية.. وكان الفرنسيون يسيطرون على تونس ويراقبون الحدود الغربية... وكان الطريق البحرى غير مأمون، نتيجة للحصار الذى كانت تفرضه السفن الحربية الإيطالية على الشواطئ الليبية، وتوقفت فى تلك الأيام القوافل التجارية التى كانت تربط ليبيا بأفريقيا والسودان عبر الصحراء.(٦٤)

ومن وقت لآخر كانت بعض الغواصات الألمانية تظهر على حدود مصر الغربية تزود السنوسيين والجيش العثمانى بالأموال والسلاح ولكنها لم تكن تكفى... وفجأة وصل وفد إنجليزي إيطالي للتفاوض مع السنوسى من أجل تسليم نورى باشا ومن معه إلى القوات الإنجليزية فى السلوم، وكان من أعضاء هذا الوفد أحمد حسنين باشا الذى أصبح فيما بعد رئيساً للديوان الملكى فى مصر.(٦٥)

واستمرت المفاوضات بين السيد إدريس السنوسى وبين أعضاء هذا الوفد أياماً طويلة... وأثناء هذه المفاوضات قام عبد الرحمن عزام بزيارة "الزويتية" وهناك إلتقى بأحمد حسنين باشا وكانت تربطه به صلة قديمة...وأخذ أحمد حسنين باشا يطالبه بالعودة إلى دراسته للطب فى لندن، وأنه على استعداد لتذليل كل الصعاب... وسيحصل له على عفو من السلطات الإنجليزية. ولكنه رفض هذا الاقتراح مؤكداً له أنه جاء إلى

---

(٦٤) جميل عارف: مرجع سبق ذكره – ص ١٢٩,١٢٨

(٦٥) مجلة نصف الدنيا: العدد ٥٨٩ فى ٢٠٠١/٥/٢٧، ص ١٠٦.

ليبيا من أجل الجهاد وأملاً فى طرد الإنجليز من مصر.(٦٦)

رفض السنوسى تسليم نورى باشا ومن معه للإنجليز، ولكنه أراد أن يشتتهم، فأخذ يكلف كل منهم بمهمة بعيدة، فكلف نورى باشا بالإشراف على إنشاء خط للتليفون فى قلب الصحراء.. وكان عزام هو الوحيد الذى لم تسند إليه أية مهمة، فقد كلفه ببعض الأعمال الكتابية... ثم بالسفر بعد ذلك بصحبة بارون ألمانى إلى واحة "جالو" للبحث عن مكان مناسب لإقامة محطة لاسلكية ألمانية فى قلب الصحراء.[٦٧]

مهمة أخرى قام بها عبد الرحمن عزام، فعندما نشبت ثورة ١٩١٥ فى طرابلس، استطاع الثوار العرب أن يسيطروا على مساحات شاسعة من الأراضى... وأن يستولوا على كميات هائلة من البنادق والمدافع، كما تمكنوا من أسر أعداد كبيرة من الجنود الإيطاليين.

ومع هذه الثورة.. ظهر فى كل ركن من أركان طرابلس زعيم، وسرعان ما اختلف هؤلاء الزعماء فيما بينهم.. وامتدت يد كل منهم إلى مناطق نفوذ غيره وكان من بينهم السيد صفى الدين السنوسى ورمضان السويحلى[٦٨] زعيم مصراته الذى استطاع أن يتغلب على صفى الدين السنوسى وأن يسيطر على المنطقة الساحلية من الخمس إلى سرت. وأضطر السيد صفى الدين السنوسى لأن يخرج من البلاد.

وفى مصراته قام رمضان السويحلى بشنق بعض السنوسيين... مما كان سبباً

---

(٦٦) د. عمر عزام: حديث تم بمنزلة بالمعادى فى ١٨ مايو ٢٠٠٣.

(٦٧) مجلة نصف الدنيا: العدد السابق – ص١٠٦.

(٦٨) رمضان السويحلى هو رمضان بن الشتيوى، غلب عليه لقب السويحلى وبه اشتهر وهو من قبيلة مصراته، وقد تمكن من إجلاء الطليان عن مصراته فى ١٥ أغسطس ١٩١٥ وشكل فيها حكومة وطنية برئاسته، وعندما أسست الجمهورية الطرابلسية عام ١٩١٨ كان أحد أعضائها (لمزيد من التفاصيل أنظر طاهر أحمد الزاوى (الطرابلسى) – أعلام ليبيا – الطبعة الأولى – ١٣٨١هـ /١٩٦١م – نشر وتوزيع مكتبة الفرجانى بطرابلس (ليبيا) – طبع بدار إحياء الكتب العربية – ص ١١٥، ١١٧.

فى الصدام بينه وبين عشائر طرهونة التى كانت تميل إلى السنوسيين.

فى ذلك الوقت ذهب عبد الرحمن عزام إلى السيد إدريس السنوسى واقترح عليه أن يتجه نورى باشا إلى الغرب ليتوسط فى وقف القتال بين رمضان السويحلى والسنوسى.

ووافق السيد إدريس السنوسى على اقتراحه وبعث فى نفس الوقت إلى قواده فى ناحية سرت يأمرهم بتلقى نصح نورى باشا وإرشاداته.

يقول عبد الرحمن عزام " قرر نورى باشا اصطحابى معه فى مهمته الجديدة كما وقع اختياره على ضابط عثمانى أسمه عاكف بك وعدد من الأعراب والخدم، وكان ذلك فى أوائل شتاء عام ١٩١٦،... وقد بادرنا بإعداد قافلة صغيرة تحركت بنا فى سهول برقة البيضاء حتى وصلنا إلى منطقة سرت حيث نزلنا ضيوفاً على قواد القوة السنوسية، وكانوا جميعاً من أصدقائنا ومعارفنا ".

كان على نورى باشا ورفاقه أن يلتقوا مع رمضان السويحلى للتفاهم معه على عقد الصلح بينه وبين السنوسيين، واضطروا للتوجه إليه عند الحدود التونسية أكثر من مرة.[٦٩]

وفى أغسطس ١٩١٧ ساءت حالة عبد الرحمن عزام الصحية من جراء حمى الملاريا وهزل صحياً من كثرة أسفاره، فصمم نورى باشا على أن يسافر للاستشفاء فى فيينا، وأعد نورى باشا ترتيبات سفره بسرعة، وقد حملته غواصة ألمانية من أمام شواطئ مصراته إلى النمسا.

وبعد أن تماثل عزام للشفاء، توجه إلى الآستانة، وكان يحمل معه خطاباً من نورى باشا يقدم فيه عزام إلى جمال باشا، وكان رأى عزام قد استقر فى ذلك الوقت على أن يلتحق بالجيش العثمانى المقاتل فى الشام، ولكنه عندما إلتقى مع جمال باشا

---

(٦٩) جميل عارف: المرجع السابق – ص ١٥٠: ١٥٩.

وجد منه حديثاً لم يعجبه، فقد هاجم جمال باشا المصريين، واتهمهم بأنهم لم يقوموا بواجبهم عندما هاجم الجيش العثمانى الإنجليز فى قناة السويس، وأنه كان يتوقع أن تنشب ثورة فى مصر عندما وصلت الجيوش العثمانية إلى شاطئ القناة، لأن مثل هذه الثورة كان يمكن أن تنقذ مصر من الإنجليز، وأخبره عزام أن المصريين قد قاموا بواجبهم وأدوا ما عليهم، ولكن العثمانيين جاءوا إلى مصر بدون سلاح وبقوات قليلة. ولم يُعجب عزام بشخصية جمال باشا وخرج من عنده وصمم على ألا يرى وجهه مرة أخرى.

وفجأة تغيرت الأوضاع، فقد استدعى أنور باشا وزير الحربية العثمانى عبد الرحمن عزام وكلفه بالسفر إلى برلين لحضور مؤتمر يعقده الاشتراكيون هناك للدفاع عن قضية طرابلس الغرب.(٧٠)

وكانت وزارة الحربية العثمانية قد اختارت مندوباً عن كل دولة إسلامية للاشتراك فى هذا المؤتمر الذى كان يهدف أساساً للدعاية ضد الحلفاء.

وكان من بين أعضاء الوفود التى كُلف بالسفر إلى برلين لحضور المؤتمر.. الشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور أحمد فؤاد من مصر، والأمير شكيب أرسلان عن سوريا والشيخ صالح الشريف التونسى عن تونس... وغيرهم.

وفى برلين.. جاءت بعض الأنباء التى تشير إلى احتمال تأجيل موعد انعقاد مؤتمر استكهولم، وكان عبد الرحمن عزام قد اجتمع هناك بعددٍ من المصريين وهم عبد الملك حمزة وإسماعيل كامل وعوض البحراوى ومحمد على المهندس وكانوا يصدرون مجلة يطلقون عليها اسم مجلة "العالم الإسلامى".

وأثناء وجود عبد الرحمن عزام فى ألمانيا طلب منه بعض رجال القسم الشرقى بوزارة الخارجية الألمانية كتابة رسالة عن أفريقيا، وبالفعل كتب عزام كتاباً كاملاً زوده

---

(٧٠) د. عمر عزام: حديث تم بمنزله بالمعادى فى ١٨ مايو ٢٠٠٣.

بالكثير من المعلومات عن المغرب العربى، وأرفق بهذا الكتاب الكثير من مشاهداته عن القبائل وعاداتها وأحوالها الاجتماعية... وقد طُبع هذا الكتاب بالألمانية وكان أول كتاب من نوعه يطبع باللغة الألمانية، وقد طُبع على نفقة وزارة الخارجية الألمانية.

وفى أوائل عام ١٩١٨ وصل إلى برلين وفد عثماني كان فى طريقه إلى ***Brest Litovsk*** (برست ليتوفسك) للدخول فى مباحثات ومفاوضات مع البلاشفة الروس. وكان من بين أعضاء هذا الوفد صديق قديم لعزام هو حسين رؤوف بك – الذى أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء بالدولة العثمانية – وقد ذهب عزام والأمير شكيب أرسلان ومعهم مجموعة من المصريين الذين كانوا يعيشون فى ألمانيا لإقناعه بإثارة قضية مصر أثناء اجتماعاته مع زعماء الثورة الروسية.

وقد كان عبد الرحمن عزام قلقاً خشية ألا يتمكن الوفد العثمانى فى (برست ليتوفسك) من إثارة قضية مصر أمام المؤتمر.[٧١]

وظل فى برلين ينتظر نتائج هذا المؤتمر، وتحققت هواجسه عندما علم أن الوفد العثمانى لم يتفوه بكلمة واحدة عن قضية مصر.

كما إلتقى عزام فى برلين بالزعيم محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى والدكتور منصور رفعت، وبادر هو ومن معه من المصريين بعقد اجتماع سرى قرروا فيه إرسال مذكرة إلى "لينين" يطلبون فيها باسم مبادئ الحرية التى كان يدعو إليها، تأييد روسيا لاستقلال مصر، وكانت هذه المذكرة أول اتصال بين الحركة الوطنية فى مصر والثورة البلشفية فى روسيا، وكانت المفاجأة عندما بادر الزعيم "لينين" بتلبية طلب هذه المذكرة، وأذاع بياناً على العالم كله من محطته اللاسلكية أعلن فيه أن الثورة البلشفية تعتبر استقلال مصر حقاً تعمل له ولا تعترف بغيره.

كان عزام ورفاقه فى ذلك الوقت فى أشد حالات السخط على سياسة الحكومة العثمانية بسبب عدم عرضهم قضية مصر فى مؤتمر (برست ليتوفسك)، وبالجرائم

---

(71) Ralph M. Coury: Ibid., p.p 126 – 127.

البشعة والمذابح التى أرتكبها جمال باشا فى الشام.

فى تلك الأثناء جاء ضابط من السفارة العثمانية فى برلين يخبر عزام بأن وزارة الحربية تطلب عودته إلى استانبول فوراً على أول قطار، وحاول أن يعتذر، وتباطأ فى تنفيذ الأمر بالسفر، فقد ظن أن العثمانيين علموا بمشاعره تجاههم الأمر الذى جعل الأمير شكيب أرسلان يذهب إلى السفير العثمانى فى برلين حقى باشا يستوضح منه الأمر... إلى أن وصلت برقية إلى السفارة العثمانية من نورى باشا يبلغهم فيها بأنه وصل إلى استانبول وطلب منهم إبلاغ عزام بأنه هو الذى يريده ويستطيع العودة متى أتم علاجه، ولم ينتظر عزام وبادر بالسفر فى أول قطار.(٧٢)

العودة إلى ليبيا:

وعندما وصل إلى استانبول إلتقى بنورى باشا، كما قابل أنور باشا وزير الحربية وكان قد وضع مشروعاً جديداً للتوسع الحربى فى بلاد القوقاز وفى شمال أفريقيا. فقد ألف جيشاً لذلك كان العثمانيون يطلقون عليه فى ذلك الوقت اسم "إسلام أوردوسى" أى "الجيش الإسلامى" وكان تحت قيادة أخيه نورى باشا وعمه خليل بك.(٧٣)

كما أعد أنور باشا خطة عمل كاملة بالنسبة للموقف فى طرابلس، وأخبر عبد الرحمن عزام بأنه قد اختار أميراً أخر يصلح للمغامرة فى أفريقيا، وهو الأمير عثمان فؤاد حفيد السلطان مراد، وعليه أن يقابله ويشجعه على السفر إلى طرابلس.

استطاع عزام ونورى باشا إقناع الأمير عثمان فؤاد بالقيام بالمغامرة المطلوبة منه فى ليبيا، ولما علم أنور باشا بذلك أمرهم بالاستعداد للسفر.

فى تلك الأثناء تلقى عبد الرحمن عزام مجموعة من الأوسمة والنياشين من

---

(٧٢) جميل عارف: مرجع سبق ذكره، ص ١٦٤، ١٦٥ – وكذلك مجلة نصف الدنيا: العدد ٥٨٩ فى ٢٧ مايو ٢٠٠١ – ص ١٠٧.

(٧٣) المصور: عدد سبق ذكره – ص ٣.

وزير الحربية العثمانى أنور باشا نتيجة لمجهوداته التى قام بها.. وهى وسام "الهلال الحديدى" (وهو من أكبر النياشين العثمانية) وقد مُنح له لشجاعته التى أبداها فى قتال الإنجليز، ونيشان "المجيدى الخامس" لمجهوداته فى الأعمال المدنية التى قام بها فى برقة، ونيشان "العثمانى الرابع" لما بذله من جهد فى عقد الصلح بين القبائل فى طرابلس.. ووسام "العثمانى الرابع المسيف" لمجهوداته العسكرية فى الحرب ضد الإيطاليين.[٧٤]

وأثناء وجود عبد الرحمن عزام فى الآستانة راودته فكرة خطبة فتاة من أحد البيوت العثمانية العريقة، وعرف صديقه الأمير شكيب أرسلان وذهب مع صديق لهم وهو محيى الدين بك للوساطة. وكانت المفاجأة.. فقد وافق أهل الفتاة ولكن على أن يتزوج من الأخت الكبرى لهذه الفتاة.. ولم ييأس عزام، وعندما كان مضطراً للسفر فقد كلف صديقيه أن يكررا المحاولة مرة أخرى وترك معهما مبلغاً من المال لشراء ما يلزم تقديمه كهدية للعروس أثناء غيابه.

وقبل سفره ذهب عزام بصحبة أحد أصدقائه إلى عراف يهودى وسأله هل سيتزوج هذه الفتاة؟ ولكن العراف أجاب عليه بالنفى لأن هناك صعوبات كثيرة تمنع هذا الزواج.

ركب عزام القطار من الآستانة ومعه الأمير فؤاد عثمان، والقائمقام عبد الرحمن نافذ بك، وكان منصب عبد الرحمن عزام مستشار قيادة القوات الأفريقية.

وبعد رحلة بالقطار إلى فيينا ومنها إلى برلين حملتهم غواصة ألمانية إلى ليبيا. وعند وصولهم إلى الشاطئ الليبى قرر الأمير فؤاد عثمان أن يتخذ من مصراته مقراً لقيادته.

أخذت الأمور تسير سيراً حسناً وكان تدريب القوات النظامية وتجهيزها على أشده وتوافد الكثير من المتطوعين للقتال.

---

(74) Ralph M. Coury: Ibid., p 130.

(وكذلك جميل عارف: مرجع سابق – ص ١٦٨)

كان نورى باشا قد أنشأ قبل عودته إلى الآستانة مدرسة لتدريب صف الضباط على استعمال المدافع والمدافع الرشاشة. وقذف القنابل. وغير ذلك من الأعمال والفنون العسكرية التى تحتاج إلى تدريب أرقى من التدريب العادى للمتطوعين.

ثم أخذت هذه المدرسة – وكان يطلق عليها اسم (مكتب صف الضباط) – فى تخريج الأفواج المتعاقبة من الشباب العرب المدربين للحرب. مما كان له أكبر الأثر فى عودة الروح من جديد إلى جبهات القتال فى ليبيا.

فى ذلك الوقت كانت الغارات الإيطالية والعمليات العسكرية على معسكرات القوات العثمانية مستمرة، واستطاع عزام ومن معه من المجاهدين أسر اثنين من الطيارين... أحدهما إنجليزى والآخر كندى، وقد ظلا إلى نهاية الحرب فى الأسر وكان تسريحهما بعد الهدنة عندما تقرر إطلاق سراحهما ليقوما بإبلاغ إنجلترا والعالم قرار إعلان أول جمهورية على الأرض العربية وهى الجمهورية الطرابلسية.[٧٥]

عزام والجمهورية الطرابلسية:

ترك نورى باشا قبل سفره إلى الآستانة اليوزباشى أركان حرب محمد نشأت لتولى قيادة جبهة مصراته وضواحيها بدلاً منه، كما أسند قيادة الجبهة الغربية إلى ضابط آخر، هو إسحاق باشا وكان يتخذ من الزاوية الغربية مركزاً لقيادته، وكانت هذه الجبهة تمتد من طرابلس حتى الحدود التونسية.

وفى أواخر عام ١٩١٨ بدأت تتردد أنباء عن سوء الأحوال فى الدولة العثمانية، كما ترددت أنباء أخرى كثيرة عن إنتشار المجاعة فى دول وسط أوربا.. وبدأت الطائرات الإيطالية بإلقاء المنشورات التى تؤكد قرب هزيمة الألمان، وتحذر الأهالى العرب من التورط مع هؤلاء الألمان وحلفائهم العثمانيين، وقد حدث وإنهارت المقاومة فى بلغاريا.. مما يعنى بداية النهاية للدولة العثمانية وأن الطريق قد أصبح مفتوحاً إلى الآستانة أمام قوات الحلفاء.

---

(٧٥) د. عمر عزام: حديث بمنزله فى ١٨ مايو ٢٠٠٣، وكذلك جميل عارف: مرجع سبق ذكره – ص ١٧٠، ١٧٢، ١٧٤.

على ضوء هذا أخذ عبد الرحمن عزام يفكر فى احتمالات الموقف، وكان لا بد من الاستعداد لمواجهة تطورات الأمور إذا ما تدهورت الحالة، واضطرت الدولة العثمانية للتخلى عن حلفائها العرب فى طرابلس.[٧٦]

وبعد بضعة أسابيع إنهارت مقاومة الجيوش العثمانية، وأعلنت الهدنة بين الدولة العثمانية والحلفاء.

بدأ عزام بالدعوة إلى اجتماع عاجل للتشاور فى الموقف. وفى هذا الاجتماع استقر الرأى على إقامة حكومة أهلية تسلم إليها مقاليد الأمور. وتم الاتفاق على أن يقوم العثمانيون بتسليم كل ما فى أيديهم من أموال وأسلحة وعتاد إلى هذه الحكومة. لعلها تستطيع أن تستمر فى المقاومة حتى يتسنى لها أن تعقد صلحاً يقى البلاد غائلة الفتح الاستعمارى والاستيلاء عليها بالقوة.

ومع الموافقة على إنشاء هذه الحكومة أقترح عبد الرحمن عزام أن تكون هذه الحكومة جمهورية، وأن تبادر بإعلان استقلال طرابلس.[٧٧]

يقول عبد الرحمن عزام "تركز الجهاد كله بالقرب من سرت أى (فى طرابلس) ووقع علىّ عندئذ حمل كبير نتيجة لثقة الزعماء على خلافهم وإجماعهم على قبولى وسيطاً وناصحاً. فلما سلمت الدولة العثمانية أقمنا جمهورية طرابلسية فى نوفمبر سنة ١٩١٨ مركزها (مسلاته)، وأصبحت مستشاراً لهذه الجمهورية بانتخاب مؤتمر وطنى من زعماء البلاد والعشائر.[٧٨]

"تم الاتفاق على أن تكون رئاسة الجمهورية لمجلس يطلق عليه اسم (مجلس الجمهورية) يتكون من أربعة: ويكون هو صاحب السلطة التنفيذية وعلى أن يقوم هذا

---

(٧٦) جميل عارف: مرجع سابق.. – ص ١٩٧.

(٧٧) د. ممدوح عزام: حديث تم بمنزله بالمعادى فى ١٥ مايو ٢٠٠٣.

(٧٨) عبد الرحمن عزام: خطاب منه إلى ولده عصام فى ١٨ فبراير سنة ١٩٦٨.

المجلس بتعيين قائد عام للجيش وآخر للشرطة.. وأن تكون له سلطة تعيين مديرى المصالح المختلفة وحكام الأقاليم.

وتم الاتفاق أيضاً على إنشاء مجلس آخر هو مجلس الشورى ليتولى السلطة التشريعية ويقوم بمساعدة المجلس الجمهورى فى عمله على أن يضم هذا المجلس ثلاثين عضواً يمثلون مختلف القبائل والعشائر.

وأن يتم إنتخاب المجلسين بواسطة مؤتمر كبير يضم كل من له نفوذ فى البلاد من أعيان وعلماء ورؤساء للقبائل والعشائر.

أعددنا النظام الأساسى للحكومة الجديدة. ثم أخذنا فى اختيار أسماء الرجال الذين رأينا ضرورة مشاركتهم فى العمل ضماناً للوحدة الوطنية. وحتى يتسنى للجمهورية الجديدة النجاح.

... المهم تم إعلان قيام الجمهورية الطرابلسية، ووقع اختيار الحاضرين على رمضان السويحلى والشيخ سليمان البارونى وأحمد المريض وعبد النبى بلخير ليتكون منهم المجلس الجمهورى، كما قاموا بإنتخاب الأعضاء الثلاثين فى مجلس الشورى. وكنت مستشار المجلس الجمهورى.

ولقد أثار إعلان الجمهورية الطرابلسية واستقلالها ضجة فى العالم آنذاك، لأن أحداً لم يكن يتصور أن تخرج هذه الجمهورية من هزيمة الدولة العثمانية فى الحرب لتؤكد إنتصار شعب ليبيا فى معركته ضد المستعمر الإيطالى .

ومع إعلان الجمهورية قام الأمير عثمان فؤاد بصرف مرتب سبعة أشهر مقدماً لكل ضابط من الضباط العثمانيين الذين كانوا معه من النقود التى كانت فى خزانته ثم سلم الخزانة بما تبقى فيها من أموال إلى حكومة الجمهورية الجديدة.

ومرت عدة أيام... وجاء مندوب من الدولة العثمانية فى مهمة لمقابلة الأمير عثمان فؤاد وزعماء البلاد.. وأخذ يحدثنى بصراحة عن مهمته والتعليمات التى يحملها بشأن تسليم الأمير عثمان فؤاد وجميع المنتسبين للدولة العثمانية إلى السلطات الإيطالية، كما تتضمن نصائح إلى الأهالى بعدم المقاومة.

وكـان أن اتفقنـا مـع الأميـر علـى أن يسـلم نفسـه ومـن معـه إلـى الفرنسـيين فـى تـونس، بـدلاً مـن الإيطـاليين فـى طرابلس... حفاظـاً علـى كرامتـه وهيبتـه كـأمير عثمـانى... ونشـرت هـذا الخبـر فـى صـحيفة كنـت أصـدرها أسـمها (الرجـل الحـر) وكانـت هـى اللسـان الرسمى للجمهورية"(٧٩)

فـى تلـك الأثنـاء نشـبت المعـارك، وقامـت الطـائرات الإيطاليـة بإلقـاء القنابـل وآلاف المنشـورات التـى ذكـروا فيهـا ضـعف مركـز الجمهوريـة فـى مواجهـة قـوة إيطاليـا ومركزهـا، واستعدادها للقضاء على أى مقاومة. كما كانت تتحدث عن رغبتها فـى حقن دمـاء الشـعب الليبى وتعمير بلاده.

وقد قامت القوات العربيـة بـالرد علـى هذه الغارات حيث نظمت بعض الفرق مـن المتطوعين والفدائيين للقيام بعدة عمليات تخريبية وراء خطوط الأعداء وداخل معسكراتهم، مما أثار الرعب والفزع فى قلوب الإيطاليين. ليس فى طرابلس فقط ولكن فى إيطاليا نفسـها مما جعلها تهتز بعنف لشدة الخسائر التى لحقت بقواتها.

كل هذا جعل إيطاليـا ترسل أحد اليهود إلـى رمضـان السـويحلى للبحث فـى شروط الصلح مع الجمهورية. وأخبره السويحلى بأن العرب لا يمـانعون فـى الصلح، ولكن بشرط أن تعترف إيطاليا بالجمهورية الطرابلسية.

ولم يوافق الإيطاليون على الاعتراف بالجمهوريـة، وبـدأت المناوشـات الحربيـة مـن جانب إيطاليا وعادت مرة أخرى إلى ضرب مواقـع المقاومـة بالطـائرات، وظلـت المقاومـة فـى القتال ضد القوات الإيطالية.. وتساقط عشرات الإيطاليين قتلـى برصـاص مـدافع المترليوز، واضطرت قواتهم للإنسحاب. ثم طلـب الإيطـاليون الـدخول فـى مباحثـات الصـلح مرة أخرى. وأثناء هذه المباحثات رفض الإيطاليون الاعتراف بالجمهورية، كمـا

---

(٧٩) جميل عارف: مرجع سابق – ص ٢١٣، ٢١٧، ٢٢١.

رفضوا الاعتراف بأى حق من حقوق العرب، وكان كل الذى عرضوه هو السماح للعرب بالاشتراك فى وظائف الإدارة.. والوعد بنشر التعليم والعمران ورد الأملاك المصادرة إلى أصحابها والعفو العام عن المجاهدين الذين شاركوا فى الحرب ضد الإيطاليين.[٨٠]

كانت حالة البلاد فى ذلك الوقت لا تسمح باستمرار القتال إلى ما لا نهاية فقد أوشكت مواردها أن تنضب شيئاً فشيئاً وعلى هذا الأساس تم قبول الصلح والمفاوضات وتم إعطاء العرب نوعاً من الاستقلال الذاتى وأن يكون لطرابلس مجلس نواب منتخب ومجلس حكومة من أعضاء يختارهم مجلس النواب ليشترك مع الوالى الذى تعينه إيطاليا فى حكم البلاد وقد أجمع الزعماء على قبول الصلح وتم التوقيع على وثيقة بين الزعماء العرب والإيطاليين فى ١٤ أبريل ١٩١٩. وقد تضمنت هذه الوثيقة أكثر من ٤٠ مادة نذكر منها:

١- تسمى الحكومة، حكومة القطر الطرابلسى.

٢- تشرف الحكومة على التعليم الأهلى.

٣- يدير أمور " قُطر طرابلس" مجلس حكومة مؤلف من ثمانية أعضاء وطنيين ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسى من بين أعضائه ومن عضوين إيطاليين ينتخبهما الحاكم العام.

٤- يرأس هذا المجلس حاكم عام بيده السلطتين الملكية والعسكرية على أن يعين من جانب ملك إيطاليا.. ويحدد القانون جنسية الحاكم فقد يكون عربياً. وقد يكون إيطالياً.

٥- ينظم من أبناء البلاد جيش وطنى بالتطوع حسبما تقتضيه الحاجة وقائده هو الحاكم العام.

---

(٨٠) مجلة نصف الدنيا: العدد ٥٩٠ فى ٣ يونيه ٢٠٠١، ص ١١٥، وكذلك جميل عارف: مرجع سابق – ص ٢٣٠.

٦- للوطنيين حق التوظيف فى الوظائف العالية ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها بالإمتحان.

٧- تُسن قوانين البلاد بواسطة مجلس نواب ينتخبه الأهالى ويجدد انتخابه كل أربع سنوات، ويختار مجلس الحكومة من بين أعضائه.

٨- لا يطبق من قوانين إيطاليا فى طرابلس إلا ما يقبله مجلس النواب الطرابلسى ويوافق عليه لمصلحة البلاد.

٩- احترام الشريعة، والعادات والتقاليد الوطنية.

١٠- حماية الحريات، وحقوق الملكية الفردية.

١١- الحرية الكاملة للطرابلسيين فى الوصول لجميع الأعمال. كما يحق للطرابلسيين الحائزين على الشهادات العليا مزاولة المهن الحرة كالطب والمحاماة وغيرهما فى إيطاليا كما فى طرابلس.

١٢- تكون الخدمة العسكرية غير إلزامية.

١٣- الأوقاف تدار بمعرفة هيئة إسلامية.

إلى آخر ما جاء فى الاتفاقية التى وقع عليها الشيخ سليمان البارونى عضو المجلس الجمهورى، عن الوفد العربى. ورئيس أركان حرب القوات الإيطالية، عن الوفد الإيطالى.. كما قام بالتوقيع بعد ذلك رمضان الشتيوى (السويحلى) وأحمد المريض بك عضو المجلس الجمهورى ثم بقية أعضاء وفد المفاوضات العربى والإيطالى. ورغم اشتراك عبد الرحمن عزام فى هذه المفاوضات إلا أنه لم يوقع على وثيقة الصلح، فقد كان يرى أن مهمته قد انتهت عند هذا الحد. وماعليه إلا مغادرة البلاد.[٨١]

ومع توقيع الاتفاقية ذهب وفد من العرب مكون من عبد الرحمن عزام ورمضان

---

(81) Ralph M. Coury: Ibid,. p 156
(وكذلك جميل عارف: مرجع سابق – ص ٢٣٤)

السويحلى والشيخ سليمان البارونى وأحمد المريض لمقابلة الحاكم العام الإيطالى فى دار الحكومة بمدينة طرابلس، واشترط رمضان السويحلى أن تكون مقابلته للحاكم العام الإيطالى مصحوبة بجميع زعماء طرابلس وبقوة مكونة من ١٥٠٠ فارساً على الأقل وبأسلحتهم.. وأضطر الإيطاليون للموافقة على هذا الشرط.

ذهب وفد الزعماء ومعه هذه القوة إلى طرابلس فاستقبلتهم المدينة استقبالاً تاريخياً يشبه استقبال جيوش الفاتحين – كما يذكر عزام – وظهرت الحيرة على وجوه الأجانب وخاصة الإيطاليين وهم يراقبون هذه القوات وهى تدخل المدينة.

وتمت مقابلة الحاكم العام الذى أعلن عن رغبة إيطاليا فى تعمير البلاد وترقيتها وكسب صداقة العرب ومعاونتهم. ورحب رمضان ومن معه من الأعيان معلنين ترحيبهم بالصداقة والتعاون.

وعلى ضوء ذلك ذهب بعض رجال الوفد ومعهم بعض أعيان مصراته للبحث فى موضوع تبادل الأسرى، وكان جميع الأسرى الإيطاليين فى يد رمضان وحده، أما الأسرى العرب عند الإيطاليين فقد كانت أعدادهم كبيرة جداً، وكان من بينهم أخوا رمضان السويحلى، وهما أحمد السويحلى ومحمد سعدون وبعض أقاربه وأصدقائه... وفريق من أعيان برقة. وتمت عملية تبادل الأسرى بلا عقبات. كما عاد بعض أهالى مصراته الذين كانت السلطات الإيطالية قد أجبرتهم على النزوح عنها أثناء عمليات الإنسحاب الأول من شاطئ مصراته.

ومع تنفيذ اتفاقية الصلح، أخذت تنكشف بعض الشروط الخطيرة، فقد كان من شروطها مثلاً أن يكون جمرك مصراته فى أيدى الإيطاليين، كما كان من شروطها أن يكون عندهم ضابط برتبة ميجور فى نفس مدينة مصراته.. وأن يكون مع هذا الضابط عشرة أنفار من أجل الإشراف على أجهزة التلغراف المركزية.. وأن يكون لهم أيضاً نقطة عسكرية فى مصراته تتكون من مائتى عسكرى ما بين نفر، وصف ضابط، وضابط.

كانت هذه الاتفاقية شأن أى اتفاقية تبرمها دولة صغيرة مع دولة مستعمرة قوية، ولكن ما كان يبعث الرضا عند المجاهدين هو بند آخر فى الاتفاقية يسمح بأن يكون

الجيش الوطنى كله من أنفار وضباط من أهل البلاد على أن تتحمل الحكومة الوطنية نفقات ملابس هذا الجيش ومرتبات ضباطه وجنوده.. وبشرط أن تتضمن تنظيمات الجيش ضابطاً واحداً إيطالياً برتبة كولونيل كمستشار عسكرى للجيش الوطنى.

وصحيح أن الحكومة الوطنية قد عملت على تنظيم الجيش الوطنى وكتائب المجاهدين إلا أنها لم تجد غضاضة فى الإبقاء على هذا الكولونيل الإيطالى، وبالرغم من أن رمضان السويحلى كان على يقين من أن هذا الضابط له مهمة أخرى وهى أن يكون جاسوساً على الجيش الوطنى.. إلا أنه لم يعترض على الإيطاليين أثناء المفاوضات عندما أصروا على تعيين هذا الضابط الجاسوس فى الجيش الوطنى.

كان رمضان يضمر فى نفسه شيئاً آخر لمواجهة إصرار الإيطاليين على تعيين هذا الضابط فقد استقبله بحفاوة وأنزله بأحد البيوت، وأمر اتباعه بتقديم كافة التسهيلات له، كما أمرهم بمحاصرة بيت هذا الضابط بالجواسيس والعيون من بين اتباعه، وكانت تعليماته واضحة بأن كل من يدخل على هذا الضابط الإيطالى أو يحاول الاتصال به يعاقب عقاباً شديداً.

ونتيجة لذلك وجد هذا الضابط نفسه أسيراً أو معتقلاً، وما كان منه إلا أن استغاث بحكومته لتنقذه من هذا الحصار.

واضطرت حكومة طرابلس لأن ترسل تعليماتها إليه بأن ينسحب من مصراته بعد أن يحمل آلة اللاسلكى التى كانت معه إلى منطقة قصر أحمد.

فى ذلك الوقت ظل عبد الرحمن عزام فى مدينة طرابلس ومعه بعض أعيان البلاد، والتف حولهم أهل المدينة وشبابها، وبادر بإصدار جريدة أطلق عليها اسم "اللواء الطرابلسى"، ولعل انتسابه للحزب الوطنى فى مصر هو الذى أوحى إليه باختيار هذا الاسم للجريدة الطرابلسية، فقد كان يريده قريباً من اسم جريدة اللواء التى أصدرها

الحزب الوطنى فى القاهرة وكانت لسان حاله.[٨٢]

نشـر العـدد الأول مـن هـذه الجريـدة فـى ٩ أكتـوبر ١٩١٩ واسـتمرت إلـى عـام ١٩٢٣، وكانـت صـحيفة متنوعـة فقـد اختصـت بـالأمور الاقتصـادية والسياسـية والأدبيـة والاجتماعية. وكانـت لسـان حـال حزب الإصـلاح وهو الحـزب الرسـمى (الحكومـى) فـى ذلـك الوقت. لذلك فقد كانت تتمتع بتمويل كبير، وكـان الشـيخ محمـد عبـد السـلام المصـراتى مـن أكبر الممولين لها وبصورة كبيرة. بينما كانت الاشتراكات والمساهمات متواضـعة مـن بلديـة طرابلس. واعتمد إنتاج هذه الجريدة على عدد من شباب المـدارس المـوالين للحـزب. وكـان مقـر هـذه الجريـدة فـى شـارع أبـو الخيـل بمدينـة طـرابلس، واعتمـدت عمليـة الطباعـة علـى مطبعـة جريـدة الترقـى القديمـة. فقـد كانـت عمليـة الطبـع تـتم بـالطرق اليدويـة، وذلـك لعـدم توافر الآلات أو الماكينات الأتوماتيكية الحديثة. أما عدد صفحات هذه الجريدة فقد احتوت على ١٦ صفحة.

وبالنسبة للأخبار والمقالات التى تضمنتها فقد اعتمدت علـى عـدد مـن المسـاهمين المنتظمـين فـى الكتابـة لهـا (الأعضـاء المسـتديمين). وانتشـر مراسـلوا الجريـدة فـى جميـع أنحـاء ليبيا فمثلاً كان محمد الأمين هو منـدوب الصـحيفة فـى طـرابلس، ساسـى بـن شـتوان فـى بنغـازى، أبـوبكر الصـديق فـى غـدامس، صـالح الصـقر فـى ترهونـه، سـيد بـن عمـر الفستاوى فى تونس. وبعض الكتاب الغير منتظمـين.(٨٣) وذلـك بالإضـافة إلـى عبـد الـرحمن عزام الذى أصبح من الكُتاب السياسيين الأكثر شيوعاً لـدى جريـدة اللـواء حيـث كـان يكتـب فيها عن الفكر العربى والإسلامى وعن العروبة والوحدة العربية.(٨٤)

أما بالنسبة لتوزيع الأبواب الثابتة على الكُتاب. نجد سليمان البارونى فى السياسة والإصلاح الاجتماعى، عبد الله المعازى للرد على الأسئلة الاجتماعية والعقائدية وأيضاً على النجار فى النواحى الدينية. كما كانت الجريدة مهتمة بالشعر لدرجـة أنـه

(٨٢) جميل عارف: مرجع سبق ذكره – ص ٢٣٥: ٢٤٢.

(83) Ralph M. Coury: Ibid,. p.p 163, 164.

(٨٤) مجلة الشباب: العدد ٣١١ فى يونيو ٢٠٠٣، ص ١٠.

أصبح يميزها عن غيرها. وأسـهم العديـد مـن المهتمـين بالشـعر بـالكثير مـن أعمـالهم أمثـال أحمد الشريف المعروف بشيخ شعراء طرابلس فى هذه الفترة، ومحمد السنوسـى بـن صـالح

– الذى فر هارباً إلى سوريا بعد الاحتلال الإيطالى – وكان يكتب قصائده هناك ويرسلها للجريدة فى ليبيا.

وبالإضافة إلى كل هؤلاء الكُتاب السابقين كان هناك عثمان الكيزانى الذى أشرف على تحرير الجريدة (محرر الجريدة) وكتب العديد من الافتتاحيات والمقالات الطويلة والتى كانت موقعة فى بعض الأحيان وغير موقعة فى البعض الآخر.(٨٥)

كما ساهم عبد الرحمن عزام فى تلك الفترة فى افتتاح مدرستين لتعليم الأهالى، حتى ينتشر التعليم ويتحرر الشعب الليبى من الذل والهوان الذى عاش فيه لسنوات طويلة.

وبالإضافة إلى ذلك اتخذ الإيطاليون بعض الخطوات لإنشاء مجلس النواب وتشكيل أول مجلس للحكومة الوطنية.(٨٦)

وكان آخر ما قام به عزام هو اقتراح تقدم به فى عام ١٩٢٢ عبارة عن وثيقة يعرض فيها على السيد إدريس السنوسى إمارة ليبيا كلها على أمل أن يشارك فى حرب الطليان الذى هادنهم بنصيحة الإنجليز منذ اتفاق الزويتية عام ١٩١٦.

والواقع أن هذه الوثيقة أو المضبطة – كما كان يسميها عزام – هى نتيجة لاقتناعة من أنه لا مفر من العمل لوحدة ليبيا ومن تغيير الدعوة للجمهورية لدوام الحرب وبدعوة السنوسيين للمشاركة فى الجهاد على أن تكون رئاسة الدولة المتحدة للسيد إدريس السنوسى بصفته أميراً لليبيا. فقبل السيد إدريس البيعة ولكنه لأسباب صحية وغيرها أراد السفر إلى مصر. وكان استقلال مصر قد أعلن فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢.(٨٧)

---

(85) Ralph M. Coury: Ibid,. p 164.

(٨٦) جميل عارف: مرجع سابق – ص ٢٤٢.

(٨٧) خطاب من عبد الرحمن عزام إلى ولده عصام – (ومرفق بالملاحق).

كانت ليبيا فى ذلك الوقت على فوهة بركان، فقد استخدم الإيطاليون سلاح المال والذهب لرشوة الأعيان فى الكثير من المدن الليبية، ولإفساد ذمم الضباط والجنود، وقد

نجحت بالفعل فى استخدام هذه الأسلحة لإثارة الفتنة والمنازعات بين الكثير من الأعيان وزعماء القبائل والعشائر الليبية، واستطاعت بأساليبها الاستعمارية أن تخلق النزاع فيما بينهم.

وأصبحت الحرب الأهلية وشيكة الاندلاع. وأصبح الاستعمار الإيطالى ينتظر انطلاق الشرارة الأولى بين بعض العشائر ليبادر بالقبض على عزام ومن معه من المجاهدين وإبعادهم عن مدينة طرابلس.

ساءت الحالة المعنوية للعرب فى ذلك الوقت، فقد نسوا أيام الجهاد بعد أن جنحوا للسلم، وتحطمت الجمهورية الطرابلسية وبسط الضباط الإيطاليون نفوذهم الكامل داخل ليبيا.(٨٨)

ولقد كانت المصالحة مع الإيطاليين من جانب بعض الليبيين، وسيلة للبحث عن المصالح الذاتية لهم مؤثرين الحياة السهلة بعد أن ملوا القتال.

فى تلك الأثناء كان عبد الرحمن عزام قد وصل الى إحدى القرى الليبية التى احتلها الإيطاليون. وهناك شعر بالمرارة والألم لما رآه،. مما كان له أكبر الأثر فى عزمه على الرحيل من ليبيا، فقد رأى بعض نساء القرية يقمن بخدمة أحد الضباط الإيطاليين ليلاً فى منزله، فكاد يفقد صوابه وتأكد أن الفساد والاستسلام بدأ ينتشر فى نفوس الليبيين، فصمم على ترك المدينة فى أقرب وقت.(٨٩)

كانت إيطاليا قد عقدت عدة اتفاقيات مع إدريس السنوسى فى برقة ليضمنوا وقوفه على الحياد إلا أنه خاف بطشهم بعد أن استتب لهم الأمر فى الأراضى الليبية، فبادر بالانسحاب عن طريق واحة جغبوب الى مصر فى ديسمبر ١٩٢٢.

---

(٨٨) جميل عارف: نفسه – ص ٢٤٤.

(٨٩) وحيد الدالى: مرجع سبق ذكره – ص ٢٤.

وفى إيطاليا كان الحزب الفاشستى قد تولى شئون الحكم، وعلى أثر انسحاب إدريس السنوسى الى مصر أعلن الحاكم الإيطالى على ليبيا فى أبريل عام ١٩٢٣ بطلان جميع الاتفاقيات التى كان الإيطاليون قد عقدوها مع السنوسيين.(٩٠)

عندئذ اضطر عزام الى الخروج من ليبيا وأصدر الإيطاليون حكماً غيابياً بإعدامه، وعاد الى مصر مهزوماً. ولكن كان مرفوع الرأس.(٩١)

عاد ومعه السيد إدريس السنوسى فى عام ١٩٢٣- بعد أن احتلت إيطاليا برقة وطرابلس، واحتلت فرنسا منطقة فزان – وصحبتهم قافلة كبيرة من اللاجئين الليبيين قوامها أكثر من عشرة آلاف ليبي باحثين عن الحياة الحرة والأمن والرعاية فى مصر، فأسكنتهم الحكومة المصرية فى محافظات مطروح والإسكندرية والبحيرة والفيوم ومدينة السلوم. وظلت الحكومات المتعاقبة بمختلف أحزابها السياسية وبجهود عبدالرحمن عزام ترعاهم، وتخصص معونات مالية كبيرة تدفعها لهم وزارة الأوقاف والأزهر الشريف والأمانة العامة لجامعة الدول العربية بعد أن تولى أمانتها عبد الرحمن عزام. كما أن الأزهر الشريف والمدارس والجامعات المصرية كانت تقبل أبناء الليبيين من المهاجرين بشروط ميسرة تشجيعاً لهم لإعداد جيل مثقف يتولى شئون بلاده المستقلة فيما بعد.

ولم تقتصر مساعدة مصر للمهاجرين الليبيين الأوائل على مد يد المساعدة المالية والثقافية والاجتماعية فحسب. بل ساعدت الحكومة المصرية المناضلين الذين أرادوا الاستمرار فى مقاومة الاستعمار الإيطالى فى ليبيا. فقد كان ضمن اللاجئين الليبيين الذين وصلوا الى مصر مع عزام البطل الشهيد عمر المختار، الذى حضر الى مصر وأقام فى منزل عزام بحلوان مدة عامين، وكان وقتئذ فى السبعين من عمره. إلا أن هذه الحياة السهلة لم ترق فى نفسه وتحركت فيه غريزة الكفاح فطلب من عبد الرحمن عزام أن يساعده فى مواصلة مقاومته للاستعمار الإيطالى فى طرابلس،

---

(٩٠) جميل عارف: نفسه – ص ٣٣.

(٩١) روز اليوسف: العدد ٩١١ – عدد سابق – ص١٣. ووحيد الدالى: مرجع سابق – ص١٧.

وطلب منه أن يزوده " بناقة " وبعض الأسلحة حتى يقضى بقية عمره مكافحاً للاستعمار الإيطالى.

وأشفق عزام على الرجل أن يعود للحرب مرة أخرى وهو فى هذه السن... لكنه صمم على العودة الى قبيلته فى ليبيا، فزوده بالناقة التى طلبها، واتصل بمحمد محمود باشا (٢٥ يونيو ١٩٢٨ – ٢ أكتوبر ١٩٢٩) رئيس الوزراء المصرى وقتئذ وأخبره بما اعتزمه عمر المختار، فما كان من رئيس الوزراء إلا أن أمر المختصين بإمداده بذخائر وأسلحة وأطعمة ومستلزمات أخرى وأوصلوه الى الحدود الليبية.

وكانت هذه الإمدادت سبباً لإشعال القتال والمقاومة فى بعض مناطق الصحراء الجنوبية فى ليبيا. وظلت مصر تمد هؤلاء الثوار بكل ما تستطيع من أسلحة وذخيرة بالرغم من وجود جيوش الاحتلال البريطانية فى مصر ومراقبتها للحدود المصرية الليبية تعاوناً مع المستعمر الإيطالى فى استمرار فرض الاحتلال على كل من مصر وليبيا. [٩٢]

المهم .. جاءت عودة عزام إلى مصر بعد صدور الدستور المصرى عام ١٩٢٣ بوقت قصير. وعندما أجريت انتخابات أول برلمان مصري بعد صدور الدستور رشحه الوفد لعضوية مجلس النواب عن دائرة العياط بمحافظة الجيزة. وفاز فى هذه الانتخابات بأغلبية ساحقة. ومنذ ذلك التاريخ أصبح عبد الرحمن عزام من أشهر نواب المجلس، وظل بالمجلس لعدة دورات ممثلاً لحزب الوفد.

حياته الاجتماعية:

فى عام ١٩٢٢ تزوج عبد الرحمن عزام من ابنة أحد زعماء العشائر (شيوخ القبائل) فى ناحية غريان بليبيا.[٩٣] وكان عزام قد ذهب إليه فى مهمة قبل أن تنشب الحرب بين المجاهدين العرب والمستعمر الإيطالى، وأراد هذا الشيخ تكريمه نظراً للدور

---

(٩٢) وحيد الدالى: مرجع سابق – ص ٢٥، ٨٢.

(93) Ralph M. Coury: Ibid, p. 195

الذى لعبه فى ليبيا وبالأخص فى قيام الجمهورية الطرابلسية، فعرض عليه أن يزوجه ابنته. فوافق عزام بلا تردد، وأقيم احتفال كبير اشترك فيه عدد من الأعيان وزعماء العشائر. وكان لهذا الزواج أثره الكبير فى اندفاع هذه القبيلة للجهاد مع المجاهدين العرب فى الحرب ضد الإيطاليين. ولقد استمر هذا الزواج لمدة ١٩يوماً، وبعدها اضطر عزام للخروج مع المجاهدين العرب للحرب وترك زوجته، ولم تسمح له الأقدار بالعودة الى زوجته مرة أخرى فى غريان.(٩٤)

أثمر هذا الزواج عن طفلة هى زينب وهى أكبر أبناء عبد الرحمن عزام، وقد توفيت والدتها بعد أن وضعتها، وقام أخوالها بتربيتها والعناية بها. بعد أن ظنوا أن والدها قد استشهد أثناء المعارك.(٩٥)

لم يعلم عزام بهذا الأمر الا فى عام ١٩٣٦، عندما جاءه أحد أخوالها وهو أحمد الغريانى إلى القاهرة مصطحباً معه زينب – وكان عبد الرحمن عزام يستعد للسفر الى بغداد فى ذلك الوقت كوزير مفوض – وكانت تبلغ من العمر ١٤ عاماً. فتركها عزام مع والدته لتعيش معها فى بيت العائلة بحلوان.

تزوجت زينب بعد ذلك من ابن عمها أبو بكر عزام وكان أحد ضباط خفر السواحل. ثم الحارس الخاص – فيما بعد – لأمين الجامعة العربية عبد الرحمن عزام.(٩٦)

وفى عام ١٩٢٩ تزوج عبد الرحمن عزام أثناء وجوده بتركيا من إحدى بنات الشيخ خالد القرقنى (أبو الوليد) – وكان لديه خمس بنات – وقد لعب مع عزام وبعض المجاهدين العرب دوراً كبيراً فى محاربة الاستعمار الإيطالى لليبيا ما يقرب من عشر سنوات، وقد أثمر هذا الزواج عن ثلاثة أبناء هم عمر، عصام، ومنى.

---

(٩٤) جميل عارف: مرجع سابق – ص ٢٤٧.

(٩٥) مجلة نصف الدنيا: العدد ٥٩٠ – فى ٣ يونيه ٢٠٠١.

(٩٦) د. عمر عزام: حديث تم بمنزله بالمعادى فى مايو ٢٠٠٠.

وخالد القرقنى كان من حكام الأندلس ومن الأمراء المحاربين الذين خرجوا الى الحرب ولكنهم هُزِموا، فذهب الى جزيرة (قرقنة) أمام تونس ثم بعد ذلك إلى طرابلس.

مثقف وملم بالعديد من اللغات كالفرنسية، الإيطالية والإنجليزية فهو من خريجى جامعة السربون بفرنسا.

بعد هزيمة الجمهورية الطرابلسية ذهب (أبو الوليد) إلى تركيا وظل بها إلى أن كتب شكيب أرسلان – وكان من الأصدقاء المقربين لخالد القرقنى – إلى الملك عبد العزيز آل سعود ينصحه بأن يضم الشيخ خالد إليه أثناء جهاده وتوحيده لشبه الجزيرة العربية، لما كان يتسم به من شجاعة وقوة بالإضافة لمعرفته للكثير من فنون القتال. فاستعان به، وأصبح من اكبر مستشاريه بجانب الشيخ يوسف ياسين، والشيخ حافظ وهبه، وبشير السعداوى. وقد أطلق عليه الملك عبد العزيز لقب (أبو الوليد) نسبة إلى خالد بن الوليد وذلك نظراً لشجاعته ومهارته فى القتال.

كل ذلك كان له أكبر الأثر فى تقوية علاقة عبد الرحمن عزام بالمملكة العربية السعودية وهذا ما سنراه فيما بعد.[٩٧]

مؤلفاته:

اهتم عبد الرحمن عزام بالصحافة منذ كان طالباً بكلية الطب فكتب فى جريدة الحزب الوطنى " اللواء " وهو الحزب الذى انتمى إليه منذ فجر شبابه حيث كان صديقاً لمحمد فريد زميل مصطفى كامل باشا فى الكفاح من أجل استقلال مصر. ثم من أشهر الكُتاب السياسيين فى جريدة "اللواء الطرابلسى" فى ليبيا. وبعد أن عاد إلى مصر وانضم إلى الوفد وسعد زغلول، توثقت علاقته بالصحافة الأجنبية نظراً لإجادته اللغة الإنجليزية، فكان سعد يصطحبه معه إلى لندن وباريس وجنيف أثناء المفاوضات التى أجريت هناك. ولما أنشئت جرائد الوفد المتعددة (الجهاد والضياء ومصر وكوكب الشرق والبلاغ) ثم المصرى كان عزام من أشهر كُتاب السياسة فى هذه الصحف. كما كان

(٩٧) د. عمرعزام: حديث تم بمنزله بالمعادى فى ٢٠ يوليه ٢٠٠٣.

يكتب العديد من المقالات الوطنية القومية فى جريدة الأهرام التى كانت فى ذلك الوقت من الجرائد المحايدة. وكثيراً ما كتب فيها مقالات تتناول العروبة ومستقبل العالم العربى، أو مقالاته التى توجه النقد إلى الاستعمار البريطانى الذى كان يجثم على أنفاس مصر والاستعمار الفرنسى المسيطر على سوريا ولبنان وشمال أفريقيا، أو الاستعمار الإيطالى المستبد فى ليبيا، وكانت هذه المقالات تتضمن أفكاراً تتناول ضرورة قيام الوحدة العربية حيث أن العرب لابد لهم أن يتحدوا ليستقلوا.

... لقد كان عبد الرحمن عزام يتمتع بحاسة صحفية مرهفة ساعدته بجانب سعة إطلاعه فى كافة الشئون السياسية والاقتصادية والعسكرية نتيجة لكثرة قراءاته ولإجادته اللغة العربية والإنجليزية والفرنسة والتركية، وإلمامه باللغة الإيطالية.[٩٨]

لم تكن الصحافة عنده هواية ولا احترافاً، إنما كانت للتعبير عن وجهة نظر مستقلة. لقد فكر عبد الرحمن عزام فى صحافة من لون جديد، لا هى تناصر هذا الفريق على ذاك ولا العكس، صحافة تعبر عن الروح القومية وحدها.[٩٩]

وعندما أنشأ أحمد عبود باشا رجل الأعمال المصرى المعروف جريدة تنطق بلسان حزب الوفد المصرى وأطلق عليها اسم " الكشاف "، وقع اختيار الحزب على عبد الرحمن عزام لرئاسة تحريرها، واشترط عزام لقبول هذا العمل فى الجريدة أن يكون له مطلق الحرية والتصرف فى اتجاهاتها السياسية دون أى تدخل من صاحبها فى أى أمر من أمور التحرير، فوافقوه على ذلك، فقبل رئاسة التحرير واختار نخبة من المحررين للجريدة.[١٠٠]

وصدرت الجريدة ونجحت وقدم عزام – لأول مرة – جريدة مصرية تتلخص سياستها فى "القومية العربية". وقد استمر فى إصدار الجريدة مدة ثلاثة أسابيع فقط،

---

(٩٨) وحيد الدالى : مرجع سبق ذكره – ص ٣٢، ٣٤.

(٩٩) جميل عارف: مرجع سابق – ص ٢١.

(١٠٠) وحيد الدالى: نفسه – ص ٣٣.

واختلف مع صاحبها الذى كان يرى أن تكون الجريدة معتدلة وعزام يصر أن تكون متطرفة. ورفض عزام أن يغير رأيه وترك الجريدة غير آسف مضحياً بمرتبها الضخم ولم تستمر الجريدة فى الصدور بعد ذلك غير أسابيع قليلة.

لقد وصفه الصحفيين أنه محدث ساحر يستطيع التأثير على سامعيه ببساطة، وذلك لاستعماله لغة المنطق البسيط والحجة المقنعة.

كل هذا كان له تأثير كبير على ثقافة عزام، فقد قام بعد ذلك بتأليف كتابين الأول كان فى عام ١٩٣٦ عندما وجهت محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية الدعوة إليه للتحدث على موجاتها وتركت له اختيار الموضوع، فتحدث عن بطل الأبطال (محمد بن عبد الله) صلى الله عليه وسلم حتى اضطر إلى الخروج من مصر سفيراً لها فى العديد من الأقطار الإسلامية.

وقد وجد البعض ضرورة جمع هذه الأحاديث لأنها جديرة بالجمع والنشر، فجمعت وطبعت فى كتاب سمى " بطل الأبطال أو أبرز صفات النبى محمد ".

ثم مضت عدة سنوات عاد بعدها عزام إلى مصر، ودعته الإذاعة لاستئناف أحاديثه بها فقدم فى ثلاثين محاضرة دعائم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآثارها وانتشارها وما يستطاع تقديمه لعلاج مشكلات العالم، ورأى بعد ذلك أن يجعلها أساساً للكتاب الثانى وهو "الرسالة الخالدة" وقد قام عزام بجمع هذه المحاضرات فى هذا الكتاب فى عام ١٩٤٦.[١٠١]

والخلاصة لقد أثرت نشأة عبد الرحمن عزام فى شخصيته وتكوينه وميوله السياسية، فقد نشأ فى أسرة يجرى فى عروقها دم العروبة، وكراهية الاستعمار بشتى ألوانه وأنواعه. ثم تأثر وهو فى مرحلة الطفولة بالزعيم مصطفى كامل لدرجة أنه حفظ الكثير مما كان يقوله فى خطبه ومقالاته. وأخذت أفكار الحزب الوطنى تتغلغل فى نفسه

---

(١٠١) عبدالرحمن عزام:الرسالة الخالدة– الطبعة الثانية–١٩٥٤– دار الكتاب العربى– ص١١، ١٢.

وتثير فى قلبه الحماس وحب الوطن لدرجة أنه أسس جمعية أثناء وجوده بمدرسة السعيدية الثانوية أطلق عليها اسم "الرابطة الإسلامية" وكانت تنادى بأفكار الحزب الوطنى، ثم أسس وهو فى لندن جمعية "أبو الهول" وكانت تهاجم إنجلترا وتطالب باستقلال مصر.

من ناحية أخرى نراه يترك دراسة الطب ويذهب إلى البلقان للتطوع فى صفوف المسلمين لمحاربة البلقانيين. ثم بعد ذلك إلى ليبيا لمحاربة الاستعمار الإيطالى هناك وأصبحت بينه وبين ليبيا علاقة وثيقة، فقد اشتهر بهذه العلاقة حتى ظن الكثيرون أنه من أصل ليبي، فقد التحق فى عام ١٩١٥ بالسيد أحمد الشريف السنوسى واشترك معه فى الحملة الموجهة ضد الإنجليز، وعندما لم يكتب لها النجاح ذهب إلى مصراته وانضم إلى رمضان السويحلى وأصبح له دوراً كبيراً معه، ثم عين بعد ذلك مستشاراً للجمهورية الطرابلسية فى ١٩ نوفمبر ١٩١٨، وظل يجاهد مع أعضاء مجلس شورى الجمهورية ضد الأطماع الإيطالية حتى تتحقق لليبيا ما تصبو إليه من سيادة واستقلال.

لقد كان لعزام دور كبير فى الجمهورية الطرابلسية وكذلك فى حكومة طرابلس، فقد أسس حزب الإصلاح الوطنى وجريدة اللواء الطرابلسى ينشر فيها آراءه وبرنامجه السياسي وظل يكافح طوال بقائه فى ليبيا حتى عودته لمصر سنة ١٩٢٢.

ولقد أثرت هذه الفترة التى قاربت على سبع سنوات والتى قضاها عزام متنقلاً بين ليبيا وأوربا على تكوين شخصيته العربية فباتصاله بالقبائل العربية عرف كثيراً من عاداتها وتقاليدها ولهجاتها وأنسابها وباتصاله بالعثمانيين والألمان والإنجليز أصبح خبيراً بالأساليب الغربية. أى أنه أصبح مزيجاً من الحضارة العربية بتراثها المتعدد الجوانب، والحضارة الأوروبية بتقدمها وتطورها.

كـان عـزام يـؤمن بإمكانيـة قيـام جمهوريـة عربيـة تحـت السـيادة الاسـمية للدولـة العثمانية والحصول على دعم مـادى منـها، لكن زياراتـه لاسـتانبول سرعان مـا أزالـت عنـده الـوهم، لـيس فقـط بالنسبـة لقـوة الدولـة العثمانيـة. ولكـن بالنسبـة لشخصـية حكامهـا أيضـاً وإخلاصهم للإسلام. ونظراً لإحباطه فى هذا الاتجاه ولسرعة معرفـة الحقـائق التـى تعارضـت مع أفكاره، ووجهات نظره فإنـه قد نظر إلى فكرة قيام اتحـاد كونفيـدرالى بـين القبائـل العربيـة تحت قيادة شيـخ قوى مثـل الشيـخ السنوسـى وهذا الاتحـاد كـان مـن وجهـة نظره يمكـن ان يعيش فى علاقة صداقة مع إيطاليا معترفاً بنفوذها ولكن ليس تحت سيادتـها.

ولا شــك فــى أن عبــد الــرحمن عــزام جاهــد بشــدة لتحقيــق مثــل هــذا الاتحــاد الكونفيدرالى، وأنـه فى وقت ما كان يظن أن الإيطاليين سيقبلون أفكاره بـود وصـداقة وكـانوا مسـتعدين للتعـاون معـه والـدخول فـى تحـالف مـع الـدول العربيـة الجديـدة. ومـع هـذا فـإن الإفاقة من الوهم سرعان ما أتت، وأثبت الإيطاليون بأعمالـهم أن ما يريدونـه كـان مسـتعمره وليس حليفاً.

لذلك نجد أن عزام قد اشمئز من ازدواجيتـهم وحول كل طاقاتـه ضدهم وركز جـهوده على تحقيق الوحدة بين القبائل العربية مقوياً ولائـهم للشيـخ السنوسـى ومشـجعاً مقـاومتـهم للايطاليين. وقد كان هذا بلا شك دوراً صعباً وخطيراً لعبه عزام فى ذلك الوقت.

الفصل الثالث

عبد الرحمن عزام نائباً فى البرلمان

الفصل الثالث

عبد الرحمن عزام.. نائباً فى البرلمان

الدستور والحياة النيابية:

تعتبر ثورة ١٩١٩ بداية مرحلة الثورة القومية المصرية.. فهى تمثل حلقة هامة من حلقات التطور السياسى والإجتماعى المصرى فقد كانت بمثابة بعث جديد للشعب المصرى، وظلت روحها تؤثر فى تطور الأحداث، وأفرزت نتائج هامة فى حياة مصر السياسية والإجتماعية.

ويمكن تحديد أهم إنجازات هذه الثورة من الناحية السياسية فى أنها أدت إلى إلغاء الحماية سنة ١٩٢٢ وإعلان الدستور وإقرار الحياة النيابية. وكان ذلك تتويجاً لكفاح طويل بدأ منذ قيام الثورة العرابية.

ونتيجة للثورة وتحت ضغوطها أعلنت الحكومة البريطانية فى بيان موجه إلى السلطان أحمد فؤاد أن الحماية قد أصبحت " علاقة غير مرضية "؛ ثم أعلنت إلغاءها فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى اعترفت فيه بأن " مصر دولة مستقلة ذات سيادة " فى إطار التحفظات الأربعة، وقد قام اللورد اللنبى بتبليغ هذا التصريح إلى السلطان فؤاد مع خطاب ورد فى أحد بنوده " أما إنشاء برلمان يتمتع بحق الإشراف على السياسة والإدارة فى حكومة مسئولة على الطريقة الدستورية فالأمر فيه يرجع إلى عظمتكم وإلى الشعب المصرى ".[١]

وفى أول مارس ١٩٢٢ تألفت وزارة عبد الخالق ثروت، وأخذت تعد العدة لإعلان دستور للدولة المصرية الجديدة.[٢]

---

(١) على الدين هلال: السياسة والحكم فى مصر (العهد البرلمانى ١٩٢٣-١٩٥٢) - مطبعة جامعة القاهرة - ١٩٧٧- ص٩٧، ٩٨.

(٢) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره - ص١٥٤.

وتألفت فى ٣ أبريل عام ١٩٢٢ لجنة لوضع مشروع الدستور وقانون الإنتخاب، تكونت من ثلاثين عضواً ضمت بعض رجال القانون (بعضهم من أعضاء الجمعية التشريعية) وبعض شباب الموظفين الممتازين وممثلين عن الأقباط إلى جانب أشخاص لاعلاقة لهم بالفقه الدستورى، ومنهم بطريرك الأقباط، ومفتى الديار المصرية وممثل عن البدو وجماعة من كبار الأعيان قُصِدَ بإختيارهم إرضاء "أصحاب المصالح الواسعة" فى البلاد، وإستطاع الملك فؤاد – بتدخله فى أعمال لجنة الثلاثين – أن يحرز لنفسه وللقصر قسطا وافراً من الصلاحيات التشريعية والتنفيذية، فقد مُنح حق إقالة الوزارة، وحل البرلمان وتعيين خُمس الشيوخ وإصدار مراسيم بقوانين خلال العطلة البرلمانية. وإختيار بعض كبار الموظفين.[٣]

والجدير بالذكر أن كلاً من الوفد المصرى والحزب الوطنى قد رفضا الإشتراك فى هذه اللجنة التى أطلق عليها سعد زغلول إسم " لجنة الأشقياء " استناداً إلى أن الدستور كان ينبغى أن يوضع بواسطة جمعية تأسيسية منتخبه وليس بواسطة لجنة حكومية. حتى لا يكون منحه يسهل التلاعب بها.[٤]

وفى ٢١ أكتوبر ١٩٢٢ أتمت اللجنة عملها ورَفعت مشروع الدستور وقانون الإنتخاب.. ونتيجة للصراعات التى نشأت بين ثروت باشا والملك فؤاد حول الدستور سارع عبد الخالق ثروت فى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ بتقديم إستقالته إلى الملك قبل أن تشتد هذه الصراعات.[٥]

وفى ٣٠ مارس ١٩٢٣ أفرجت الحكومة البريطانية عن سعد زغلول، وصدر

---

(٣) د. على شلبى، د.مصطفى النحاس جبر: الإنقلابات الدستورية فى مصر ١٩٢٣-١٩٣٦"- الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨١ – ص٧

(٤) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع السابق – ص ١٥٤.

(٥) د. على شلبى، د. مصطفى النحاس جبر: المرجع السابق – ص ١٣، ١٤.

قانون الإنتخاب مع الدستور فى أبريل سنة ١٩٢٣[٦] وجعل الإنتخاب لأعضاء مجلس النواب على درجتين واقتضى تنفيذه وقتا طويلاً وذلك لإعداد كشوف الناخبين فى جميع أنحاء البلاد، وحدد يوم ١٢ يناير ١٩٢٤ لإنتخاب النواب. وقد اهتمت الأمة بالإنتخابات إهتماماً عظيماً.[٧]

الإنتخابات والبرلمان سنة ١٩٢٤.

وفى ١٢ يناير سنة ١٩٢٤ وبعد حملة من الدعاية القوية التى شارك فيها جموع المرشحين فى أول إنتخابات برلمانية حقيقية تجرى فى مصر تمت عملية التصويت.[٨] وقد قامت وزارة يحيي إبراهيم باشا (١٥ مارس ١٩٢٣- ٢٧ يناير ١٩٢٤) بإجراء هذه الإنتخابات متوخية الحَيدة التى يدل عليها سقوط يحيي إبراهيم نفسه فى دائرته الإنتخابية. وفوز مرشح الوفد عليه. وكان سقوطه هذا شهادة قاطعة له بنزاهته ومحافظته على حرية الإنتخابات.[٩]

وإنتهت عملية الإنتخابات باكتساح وفدى، فقد بلغ عدد المقاعد التى نالها الوفد ١٩٥ مقعداً من مجموع مقاعد مجلس النواب البالغ عددها ٢١٤ مقعداً أى بنسبة تزيد على ٩٠%.[١٠] وكان بديهياً أن يعرض الملك على سعد زغلول تأليف الوزارة بإعتباره

---

(٦) عبد الرحمن الرافعى: " مصر بين ثورة ١٩١٩ وثورة يوليو ١٩٥٢" دراسات قومية – العدد السابع – مطابع الشروق– القاهرة – ص١٣.

(٧) د. على شلبى، ...: المرجع السابق – ص ١٨.

(٨) د. يونان لبيب رزق: "تاريخ الوزارات المصرية..." مرجع سبق ذكره – ص٢٦١

(٩) د. على شلبى،... المرجع السابق – ص ١٩.

(١٠) د. يونان لبيب رزق: المرجع السابق – ص٢٦١... (وقد ذكر د. أحمد عبد الرحيم مصطفى فى كتابه تاريخ مصر السياسى من الإحتلال إلى المعاهدة ص ١٥٩، جاكوب لاندو فى كتابه الحياة النيابية والأحزاب فى مصر من ١٨٦٦ إلى ١٩٥٢– ترجمة وتعليق سامى الليثى– مكتبة مدبولى، ص٧٣ (أن الوفديين حصلوا على ١٨٨ مقعداً، ولم يفز الدستوريون إلا بستة مقاعد، ولم يتعد ما حصل عليه الحزب الوطنى أربعة مقاعد).

زعيماً للأغلبية البرلمانية. فتقدم يحيى إبراهيم باستقالة وزارته إلى الملك... مؤثراَ إفساح المجال للأغلبية كى تمارس سلطاتها الدستورية. فقبل الملك الاستقالة فى ٢٧ يناير وعهد إلى سعد بتأليف الوزارة فى ٢٨ يناير ١٩٢٤، وأفتتح أول برلمان مصرى فى ١٥مارس ١٩٢٤.(١١)

عبد الرحمن عزام.. وبرلمان ١٩٢٤:

أسفرت الإنتخابات التى جرت فى١٢ يناير ١٩٢٤عن قيام أول مجلس نيابى فى مصر.. والذى كان ثمرة جهاد الشعب المصرى وثورته ضد الإحتلال البريطانى فى عام ١٩١٩.(١٢)

فى ذلك الوقت كان عبد الرحمن عزام قد عاد من ليبيا بعد صدور دستور عام ١٩٢٣ بوقت قصير(١٣) وفكر فى أن يواصل نشاطه السياسى حيث كانت الفرصة سانحة، فقد تزامن ذلك مع الصراع بين الوفد والقصر وبريطانيا على مضمون الدستور المصرى الجديد.(١٤)

إلتقى عبد الرحمن عزام بسعد زغلول زعيم الوفد. ولفت أنظار سعد ورفاقه من أعضاء الوفد بوطنيته وبطولته التى كانت تتردد أخبارها أثناء وجوده فى ليبيا.. ورأى سعد زغلول بفراسته أن هذا الشاب سيكون له مستقبل فى السياسة، فقربه إليه وجعله أحد معاونيه.

وعندما أجريت الإنتخابات رشح الوفد عبد الرحمن عزام لعضوية مجلس النواب

---

(١١) د. على شلبى، ...: مرجع سابق – ص١٩، ٢٢.

(١٢) مسئوله عطية على: "عبد الرحمن فهمى ودوره فى الحياة السياسية المصرية " – رسالة ماجستير غير منشوره – كلية البنات – جامعة عين شمس ١٩٩٢– ص ٢٨٢

(١٣) وحيد الدالى: " أسرار الجامعة العربية " مرجع سبق ذكره – ص٢٦.

(14) Ralph M. Coury: Ibid,. p: 231.

عن دائرة العياط بمحافظة الجيزة. وكان عمره فى ذلك الوقت أقل من الثلاثين عاماً المشروطة لخوض الإنتخابات، ولكنهم قدروا عمره بالتقويم الهجرى.

وفاز عزام فى هذه الإنتخابات بالرغم من صغر سنه.[١٥] فقد كان مجموع أصوات الناخبين فى هذه الدائرة (٤٠٥) صوتاً، وكان عدد أصوات الأغلبية المطلقة (٢٠٣) صوتاً، وقد حصل عبد الرحمن عزام على (٢٣٩) صوتاً.[١٦] وأصبح أصغر النواب سناً فى ذلك الوقت.[١٧] وتم إنتخابه سكرتيراً للجنة الحربية والبحرية والطيران فى ١٣ أبريل عام ١٩٢٤.[١٨]

ولقد كان عبد الرحمن عزام من أنشط النواب فى المجلس، ومضابط جلسات البرلمان المصرى زاخرة بتفصيلات المناقشات والإقتراحات والتقارير التى قدمها فى مختلف أنشطة الحياة المصرية من النواحي العسكرية والزراعية والإجتماعية وغيرها.[١٩]

ومن الإقتراحات التى تقدم بها عزام فى المجلس إقتراح " تنتمى بمقتضاه المعاهد الدينية إلى وزارة المعارف "فتصبح " وزارة المعارف والمعاهد الأزهرية "، فهذه المعاهد بالإضافة إلى أنها كانت تخرج أعدادا كبيرة من رجال الدين فقد كانت واسعة

(١٥) وحيد الدالى: المرجع السابق – ص ٢٦ – وهنا يذكر د. عمر عبد الرحمن عزام أن دائرة العياط كانت دائرة أخوال عبد الرحمن عزام. وهى الدائرة التى مثلها عزام باشا طيلة فترة وجوده بالبرلمان، فى حين كانت دائرة الصف وهى دائرته الأساسية من نصيب محمد بك عزام، وهو عم عبد الرحمن باشا عزام. (تم هذا الحديث بمنزل د. عمر عزام بالمعادى فى ٥ مايو عام ٢٠٠٠).

(١٦) مجلس النواب: القسم الرابع من تقرير لجنة فحص الطعون وتحقيق صحة النيابات – سنة ١٩٢٤ – جلسات سنة ١٩٢٤.

(١٧) وحيد الدالى: المرجع السابق – ص ٢٦

(١٨) مجلس النواب: مضبطة الجلسة السابعة عشر – فى ١٣ أبريل ١٩٢٤.

(١٩) وحيد الدالى: مرجع سابق – ص ٢٧.

ومنتشرة ومتشعبة ولها ميزانيه خاصة بها ومنها ما هو تابع للأوقاف، ومنها ما هو تابع للمالية ".[٢٠]

كما أثار موضوعا آخر يتعلق" ببعض الضباط وضباط الصف والجنود المصريين التابعين لمصلحة خفر السواحل الذين كانوا مقيمين بالساحل الغربى. فلما هجم السيد السنوسى على الحدود الغربية فى مبدأ الحرب العظمى سنة ١٩١٤، إختلط هؤلاء بجيوشه. ويقال أن بعضهم أسر وبعضهم هرب ولا يعرف لهم مقر. وتساءل عن الإجراءات التى إتخذتها الحكومة ليعلم هؤلاء المصريون أن عودتهم إلى وطنهم ممكنه كى يتمتعوا بالحقوق التى يكتسبها كل مصرى من تطبيق الدستور.

كما أوضح عزام أن أكثر هؤلاء الأشخاص توفوا والباقين منهم أحياء معلومة أماكنهم لذويهم وبعض أصحابهم فمنهم من هو موجود فى صحراء ليبيا يقاسى مرارة العيش وأشد الأهوال ويظن هذا الفريق أنه لا يمكنه العودة لبلاده، ومنهم من هو موجود فى تركيا ويخشون العودة خوفاً من المحاكمة وقد جرت العادة أنه بعد إنتهاء كل حرب يصدر عفو عام وكذلك عقب إلغاء الأحكام العرفية. وقد إنتهت الحرب العامة وزالت الأحكام العرفية ولم يصدر عفو عام حتى يتسنى لهؤلاء الأشخاص العودة إلى وطنهم وقد قصرت الوزارات السابقة فى إستصدار هذا العفو. ونأمل فى أن تنتهز هذه الوزارة (وزارة الشعب) أول فرصه لإعلان أن هؤلاء الأشخاص أحرار فى العودة إلى بلادهم بدون أدنى تعرض لمحاكمتهم أو إتخاذ إجراءات ضدهم".(٢١)

كما ثارت مناقشات بالمجلس حول تخفيض ضريبة القطن ورأى عبد الرحمن عزام " أنه من الخطأ تخفيض هذه الضريبة. فنظراً لما تمر به البلاد كان يجب أن يهب المجلس دفعة واحده إلى إقرار هذه الضريبة لأننا ما جئنا هنا لنخفف الضرائب عن أعناقنا، ولكن لنقدم للبلاد الإصلاح المنشود ولأجل أن نقوم بهذه الإصلاحات يجب أن

---

(٢٠) مجلس النواب: مضبطة الجلسة العاشرة – فى ٣٠ مارس ١٩٢٤.

(٢١) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثالثة والعشرين – فى ٢٧ أبريل ١٩٢٤.

نتحمل الضرائب وأثقالها وإذا كان من أول عمل لنا ونحن نطلب الإصلاح ونطلب نشر التعليم والدفاع عن البلاد وإنشاء مستشفيات للفقراء وملاجئ للأيتام أن نلغى ضريبة من الضرائب فإننا نكلف الحكومة الكثير ".

وقال " يجب علينا أن نصدق على الإيرادات كما هى وإذا أردنا الإصلاح فإنما نريده لهذا الفلاح الذى يحمل أعباء هذه الضرائب فقد نص الدستور على ضرورة نشر التعليم وجعله إجبارياً وهو الذى سيتعلم. فما لنا نطلب إصلاحاً للفلاح وفى الوقت نفسه نرغب فى رفع الضرائب عن كاهله ومع ذلك لو كان عبء هذه الضريبة واقعاً على الفلاح وحده لكنا نحن أول من يحتج عليها وإنما تقع على الممولين بصفة خاصة الذين يبيعون الأقطان بكثرة فى هذه البلاد، ولا أقول إنها تقع على هؤلاء فقط بل تتناول المستهلكين أيضا ويشاركهم فى ذلك أناس حتى فى إنجلترا نفسها. لذلك أطالب المجلس بالتصديق على هذه الضريبة وأن يقرها على حالها فإن البلاد تشكو من عدم الإصلاح لا من فداحة الضرائب "(٢٢) كما طالب فى أحد الجلسات" بإلغاء رسوم رخص من يشتغلون فى صناعة الجبس، لأن هذه الرخص كانت تعطى للمقتدر فقط فيستبد بالفقراء ويستنزف نقودهم، فيكسب هو المبالغ الكبيرة ولا تحصل الحكومة من عموم الرخص إلا على مبلغ ١٠٠٠ جنيه فقط. فعلى الحكومة إلغاء هذه الرسوم ".(٢٣)

كذلك فقد هاجم عزام المخصصات الملكية وتعرض لبذخ الملك وحاشيته، واعترض على ما يصرف على الحدائق والسرايات الملكية.(٢٤) وطالب بوقف هذا البذخ الذى كان على حساب حياة الفلاح المصرى المسكين، وكان يستجوب الحكومة فى هذه الأمور التى كانت تعتبر وقتئذ من الأمور التى لا يجوز مطلقا ذكرها فى المجالس الخاصة. فما باله وقد أعلنها أمام البرلمان وعلى مسمع من الشعب المصرى الذى كان يطالع جميع تفصيلاتها بالجرائد اليومية.(٢٥)

---

(٢٢) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثانية والأربعين – فى ٩ يونيه ١٩٢٤.
(٢٣) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثالثة والأربعين – فى ١٠ يونيه ١٩٢٤.
(٢٤) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الخامسة والأربعين – فى ١٢ يونيه ١٩٢٤.
(٢٥) وحيد الدالى: مرجع سابق – ص ٢٧.

ولقد أحرجت هذه الاستجوابات حكومة الوفد التى كان يرأسها سعد زغلول، فطلب منه سعد مرارا أن يخفف حملته على السراى والملك، إلا أنه كان يراوغ ولا يستجيب لهذا الطلب.. الأمر الذى جعل سعد يفكر فى إحراجه أمام النواب معتمداً على قوته وسيطرته على البرلمان. ومن هو عبد الرحمن عزام هذا، الشاب عضو الحزب، أصغر الأعضاء سناً، الذى يستطيع أن يبارى سعداً؟ وأين؟ فى مجلس النواب الذى يضم غالبيه ساحقه من الوفديين.

لقد بيت سعد النية لإحراج عبد الرحمن عزام فى أول مناسبة تطرأ، ليضعه فى حجمه الذى يتصوره وكان المجلس يناقش ميزانية الجيش المصرى، ولاحظ عزام أن الميزانية ضئيلة جداً بالنسبة لاحتياجات الجيش الذى يأمله عزام لمصر... فقال أن الجيش المصرى " هزيل " ويجب زيادة الميزانية حتى نستطيع بناء جيش قوى.. وإلتقط سعد زغلول كلمة " هزيل " وصاح بأعلى صوته، إنك تسب الجيش المصرى يا عزام! وخير لك أن تجلس!.

فصاح عبد الرحمن عزام: هذا ليس صحيحاً يا دولة الباشا.. إن رجل مثلى حارب بيده وعرف قيمة الجندية لا يستطيع أن يسب الجيش. إننى جندى. أما أنت يا دولة الباشا فرجل " باش بزق " – وهى كلمة تركية معناها الرجل الذى لم يدخل الجندية ولا يعرف تقاليدها – لا تعرف أهمية الجيش، ولذلك ترضى الحكومة بهذه الميزانية الهزيلة التى لا تساعد على بناء الجيش اللائق بمصر.

وعندما أطلق عبد الرحمن عزام هذا التصريح فى وجه سعد زغلول قامت قيامة النواب وعلا الصياح، وطلبوا من عزام أن يصمت.. وألا يقاطع رئيس الوزراء.. ولكن عزام إستمر فى الكلام، فإضطر النواب إلى السكوت.. ووقف سعد زغلول وقال " عبد الرحمن، تعجبنى فيك الجرأة والشجاعة " وقبله سعد زغلول وسط تصفيق أعضاء المجلس جميعاً.(٢٦)

---

(٢٦) وحيد الدالى: نفسه – ص ٢٨.

وقد إختاره سعد بعد ذلك لمرافقته كعضو فى الوفد البرلمانى المصرى عند سفره لمفاوضة الإنجليز فى عام ١٩٢٤[٢٧].

حل برلمان ١٩٢٤:

فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ أطلق الرصاص على سردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان، السير لى ستاك، فأودى بحياته.[٢٨] وكان لهذا الحادث أثره السيء على الأمة المصرية.[٢٩] حيث فوجئت الوزارة الشعبية بمقتل السردار – كما تقدم اللنبى – المندوب السامى البريطانى فى مصر – بإنذار إلى سعد زغلول يطلب من الحكومة المصرية بعض التنازلات (ومنها سحب الجيش المصرى من السودان – وأن تصدر خلال ٢٤ ساعة الأوامر بإرجاع الجيش المصرى من السودان وأن تقدم الحكومة المصرية اعتذاراً كافياً وافياً عن الجناية) وذلك بعد أن أحتلت القوات البريطانية جمرك الإسكندرية وأستولت على إيراده.[٣٠]

تباحث سعد فى شأن هذا الإنذار مع أعضاء وزارته، ثم مع الملك فؤاد، الذى لم يبد رأياً... وأقر رأى الوزارة على ألا تقبل من المطالب إلا ما كان له علاقة بالجريمة، ورفض ما دون ذلك. وتعنت اللنبى فألح سعد زغلول على الملك فؤاد فى قبول إستقالته – بعدما إنكشف عجز الحكومة المصرية – وكان سعد قد تقدم بإستقاله شفهيه فى يوم ٢٢ نوفمبر ثم كتابة فى ٢٣، وقد قبلها الملك فعلاً فى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤.[٣١]

وجاءت وزارة أحمد زيوار إلى الحكم للتسليم بكل مطالب الإنجليز، ولرغبتها فى عدم مواجهة البرلمان الوفدى إستصدرت مرسوماً فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٤ بتأجيل إنعقاد

---

(٢٧) لواء. فاروق رجب: " عظماء ومشاهير السعيدية " – مرجع سبق ذكره – ص ٨٩.

(٢٨) د. محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة... – جـ ١ – مرجع سابق – ص ١٧٥

(٢٩) مسئوله عطية على: مرجع سبق ذكره – ص ٢٨٤.

(٣٠) د. جاد محمد طه: بريطانيا والجيش المصرى (١٩٢٤ – ١٩٢٧) فى ضوء الوثائق البريطانية – ١٩٩٧ بدون دار نشر – ص ٢٦، ٢٧ وكذلك د.أحمد عبد الرحيم مصطفى:مرجع سابق– ص ١٦٤

(٣١) د. عبد العظيم رمضان: " تطور الحركة الوطنية فى مصر " – مرجع سابق – ص٤٧٦، ٤٧٩.

البرلمان لمدة شهر.[٣٢] وقبل أن ينتهى الشهر المحدد لتأجيل إنعقاد البرلمان بيوم واحد إستصدرت وزارة زيوار فى ٢٤ ديسمبر ١٩٢٤ مرسوماً يقضى بحل مجلس النواب، ودعوة المندوبين الناخبين لإجراء إنتخابات جديدة للنواب فى ٢٤ فبراير ١٩٢٥.[٣٣] وأن هذه الإنتخابات سوف تتم طبقا لأحكام قانون الإنتخاب رقم ١١ لسنة ١٩٢٣.[٣٤]

وكان الهدف من هذه الإجراءات هو إعطاء الحكومة مهله إضافية لإنجاح حملتها الإنتخابية.. وممارسة رقابه أكثر فاعليه على عمليات التصويت. وأخيراً ومن أجل تدعيم الوزارة الجديدة، قام أحد موظفى القصر وهو حسن نشأت باشا رئيس الديوان الملكى وبإيعاز من الملك بتأليف حزب سياسى جديد هو حزب الاتحاد.[٣٥]

ولم يكن للحزب مهمه غير مساعدة الملك على حكم مصر بقوانين ملكيه، بدلاً من حكم برلمان دستورى وكان وجود الحزب فى الحكم أمراً شاذاً.. فلم يترك أى أثر على الحياة السياسية فى مصر.[٣٦]

وهنا أرى – أن الملك فؤاد عندما كلف أحمد زيوار بتأليف هذه الوزارة قد عبث بالدستور لأنه لم يكن يملك أى سند يعطه هذا الحق. فوزارة من صنع الملك لابد وأن تكون موالية له ويستطيع من خلالها أن يطلق يده فى كثير من الأمور.

ثم أن هذه الوزارة لم تكن تحظى بتأييد شعبى، لأنها – كما قلنا – كانت بتكليف من الملك فهى لم تنتمِ إلى تنظيم سياسى أو حزب معروف له الأغلبية. بل العكس فقد كان الشعب كله تقريبا مع حزب الوفد أو مع سعد زغلول إن صح القول.

---

(٣٢) د. على شلبى،...: مرجع سابق – ص٣١ – وعلى الدين هلال – المرجع السابق – ص ١٢٣.
(٣٣) د. على شلبى،...: نفسه – ص٣٢.
(٣٤) مسئوله عطية على: مرجع سابق – ص٢٨٥.
(٣٥) مارسيل كولومب: تطور مصر ١٩٢٤– ١٩٥٠، ترجمة زهير الشايب، تقديم د. أحمد عبد الرحيم مصطفى – مكتبة مدبولى – ص٥٦.
(٣٦) جاكوب لاندو: " الحياة النيابية والأحزاب فى مصر " – مرجع سابق – ص١٧٥.

وهكذا تسلح " الملك " فى صراعه مع " الوفد " بحكومة تابعة له وحزب من صفه – وسرعان ما تحالف كل مُعادٍ للوفد ليشاركوا جميعا فى حمله هجومية على " الوفد " إستهدفت تحميله كل آثار حادث مصرع السردار – وكان هذا جزءاً من خطه مدبره من جانب القصر أيضا إلى هذا التحالف – ليدخلوا إنتخابات مارس ١٩٢٥ ضد " حزب الوفد ".(٣٧)

وقد أجريت الإنتخابات الجديدة، ودخلها الوفد والأحرار الدستوريين والحزب الوطنى وحزب الإتحاد الجديد، وتدخلت الإدارة جهد ما إستطاعت، فأغرت العمد ومأمورى البوليس ورجاله، ورجال الإدارة وهددتهم وفصلتهم، كما منعت الناخبين من دخول لجان الاقتراع، ووضعت فى جداول الناخبين أسماء لا وجود لها، وعدلت فى النتائج النهائية.

وعلى كل حال فلم تدع الوزارة وسيله ممكنه للوصول إلى غرضها المنشود إلا إصطنعتها، وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات وهذا العسف والتنكيل بالجماهير الشعبية فقد أظهرت نتيجة الإنتخابات أغلبية كبيرة للوفد، وإن كانت أقل مما حصل عليه عام ١٩٢٤، فقد حصل على (١١٦) مقعداً فى حين لم تحصل الأحزاب الأخرى إلا على (٨٧) مقعداً بعد كل هذا الجهد الجهيد فى تزييف الإنتخابات.(٣٨)

كان إكتساح الوفد لإنتخابات مارس ١٩٢٥ دافعاً كى تقوم وزارة "زيوار" بحل المجلس فى نفس يوم إنعقاده فى ٢٣مارس، ولم يكن قد عقد إلا جلسة واحده صباحية.

ولم تكتف حكومة " زيوار " بذلك، بل أصدرت مرسوماً بوقف عمليات الإنتخابات بدعوى أن قانون الإنتخابات القديم لا يكفل تمثيل الأمة تمثيلاً صحيحاً وإنها تضع

---

(٣٧) د. عبد الوهاب بكر: دراسات فى تاريخ مصر المعاصر – مجموعة محاضرات ألقيت بجامعة الزقازيق –١٩٨٧ – ص٧٥.

(٣٨) د. على شلبي، ...: المرجع السابق – ص٤١.

للإنتخابات قانوناً جديداً ينظم هذا التمثيل. وظلت الحياة النيابية معطلة حتى كانت دعوة " أمين الرافعى " رئيس تحرير الأخبار إلى ضرورة جمع الأحزاب فى إجتماع موسع لمواجهة تسلط الحكومة، فكان إجتماع الأحزاب بفندق الكونتيننتال فى ٢١ نوفمبر١٩٢٥، والذى كان بداية للائتلاف بين أحزاب الوفد والأحرار الدستوريين والحزب الوطنى وقد سمى هذا الإجتماع "بالمؤتمر الوطنى".

وقد أسفر هذا الإئتلاف عن توحيد الجهود ضد قانون الإنتخابات، الذى وضعته حكومة "زيوار" وأقرت الحكومة بعودة الإنتخابات على أساس القانون الذى أجريت على أساسه إنتخابات ١٩٢٤، والتعديل الذى أدخل عليه، وبناء على ذلك صدر المرسوم فى ٢١ مارس ١٩٢٦ بتحديد موعد الإنتخابات لمجلس النواب فى ٢٢ مايو ١٩٢٦.[٣٩]

برلمان سنة ١٩٢٦:

جرت الإنتخابات فى الموعد المحدد وفاز حزب الحكومة بأربعة مقاعد لا غير بينما فاز الوفد بـ (١٥٩) مقعداً فى مقابل (٣٣) مقعداً للحزبين الآخرين – (٢٨) للأحرار الدستوريين و (٥) للحزب الوطنى– وإنتهت بذلك الآمال الواهية التى تمسكت بها وزارة زيوار ولم يكن أمامها إلا أن ترحل، فتقدمت بإستقالتها فى ٧ يونيه ١٩٢٦. وكان آخر عهد الرجل بالمناصب الوزارية كما كان آخر عهد حزب الإتحاد بالإمساك بالسلطة.[٤٠] وعلى الرغم من أن الدستور نص على أن يتولى الحكم زعيم الأغلبية البرلمانية، إلا أن جورج لويد والحكومة البريطانية أصرا على عدم عودة سعد زغلول إلى الحكم مرة أخرى.

وقد دار صراع طويل حول هذه المسألة الدستورية، إستمر طوال الفترة الباقية من حكم زيوار إلى أن تدارك سعد الأمر بحكمته وآثر مصلحة الوطن، فتنازل عن حقه

---

(٣٩) د. حمادة إسماعيل: عبد الرحمن الرافعى – حياته وفكره – رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية البنات – جامعة عين شمس – ١٩٨٦– ص٤٧، ٤٨.

(٤٠) د. يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات... – مرجع سابق – ص٢٩٦.

فى تأليف الوزارة بعد أن كانت براءة أحمد ماهر والنقراشى فى قضية مقتل السردار دافعاً للتمسك بحقه الدستورى فى تأليفها. ومن الواضح أن الوفد فى ذلك الوقت قد سلك خطة الاعتدال والبعد عن التطرف والتهييج حتى يكفل عودة الدستور والحياة النيابية إلى البلاد وأن يقوى أواصر الإئتلاف القائم، فقبل أن يتولى عدلى يكن تأليف الوزارة، فألفها من الوفديين والأحرار الدستوريين ورفض الحزب الوطنى الإشتراك فيها.[٤١]

وفى الوقت نفسه إنتخب سعد زغلول رئيساً لمجلس النواب، ومصطفى النحاس باشا وويصا واصف بك وكيلين له، وفى أول جلسة ألغى المجلس كل التشريعات التى صدرت فى غيابه منذ ديسمبر ١٩٢٤، وقرر إيداع قدر كبير من أموال الحكومة فى بنك مصر دعماً لأعماله، وأصدر عفواً عاماً عن كل الجرائم السياسية التى أُرتكبت من ديسمبر ١٩٢٤ إلى أبريل ١٩٢٦.[٤٢]

وهكذا عادت الحياة النيابية إلى مصر، بعد أن ظلت معلقه منذ حل البرلمان الأول فى شهر نوفمبر ١٩٢٤ فلا يمكن بطبيعة الحال أن يحسب إنعقاد البرلمان فى ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥، وهو لم يدم أكثر من بضع ساعات صدر المرسوم الملكي بعدها بحله، عوداً لهذه الحياة النيابية.[٤٣]

عزام وبرلمان سنة ١٩٢٦

أسفرت الإنتخابات التي جرت في ٢٢ مايو ١٩٢٦عن فوز عبد الرحمن عزام بعضوية مجلس النواب عن دائرة العياط محافظة الجيزة، بأغلبية ساحقه، فقد كان مجموع أصوات الناخبين فى هذه الدائرة (٩٩٥٣) صوتاً، وكان عدد الأغلبية المطلقة (٤٩٧٧) صوتاً، وقد حصل عبد الرحمن عزام على (٧٨٠٤) صوتاً.[٤٤]

---

(٤١) د. على شلبي، ...: المرجع السابق – ص ٧٨.

(٤٢) على الدين هلال: مرجع سبق ذكره – ص ١٢٦.

(٤٣) د. محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة المصرية... – مرجع سابق – ص٢١٩.

(٤٤) مجلس النواب: مضبطة الجلسة السادسة عشر – فى ٢٤ يوليه ١٩٢٦.

وتم إنتخاب عزام عضواً بلجنة المالية، كما تم إنتخابه أيضاً عضواً بلجنة الحربية والبحرية والطيران والسودان، وكان لا يجوز لأي عضو أن يرشح نفسه فى أكثر من لجنتين بالمجلس.(٤٥)

وقد سجلت مضابط مجلس النواب الكثير من المناقشات والتقارير التي تقدم بها عبد الرحمن عزام فى شتى النواحي السياسية والإجتماعية والعسكرية... وغيرها.

فنراه يهاجم على ماهر وزير المعارف فى وزارة أحمد زيوار باشا الثانية (١٣ مارس ١٩٢٥ – ٧ يونيه ١٩٢٦) لتعديه حدود إختصاصه حيث كان يسير فى تغيير خطط التعليم بسرعة فائقة، مما أدى إلى إرتباك فى مناهج التعليم، كما تحملت الميزانية أعباءً ثقيلة نتيجة لذلك.

يقول عزام " أما لوم وزير المعارف السابق فأمر ضروري إلا أنني لأجد فى اللوم عقوبة كافية، لأن اللوم قد يقع وقعا سيئاً على وزير له شعور، وزير يراعى مصلحة بلده. أما أولئك الوزراء الذين عبثوا بمصالح البلاد، فأرى أن كل لوم يوجه إلى وزير منهم غير كافٍ ولابد للمجلس من أن يبحث عن عقوبة زاجرة... فلو تُرِكَ الأمر لي لأرسلته إلى السجن ".(٤٦)

" إننى أعتقد أن ذلك الشقى الذى يرسل إلى السجن إنما يجنى جناية جزئية بالنسبة إلى ما أرتكبه أولئك الذين إعتدوا على الدستور فانتهكوا حرمته واغتصبوا سلطة الأمة وبددوا أموالها التى جمعت من عرق الفلاح المسكين. ليس ذلك فقط بل فرطوا فى حقوق البلاد وكرامتها واعتدوا على حريات الأشخاص وحريات الأمة فلا تعجبوا إذا قلت أن مثل وزير المعارف السابق يجب أن يرسل إلى السجن لأنى لم أكن

---

(٤٥) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثانية – ١٢ يونيه سنة ١٩٢٦.

(٤٦) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الحادية عشر – فى ٣١ يوليه سنة ١٩٢٦.

مغالياً أو مبالغاً عندما أبديت هذا الرأى ".(٤٧)

كما نادى بتغيير نظام الخفر لأنـه نظام عتيق وُضِعَ منذ عشرات السنين وأصبح غير لائق بالمرة لأمـة متمدينـة لأن الخفراء الحـاليين ليسوا إلا مجموعة تشبه الهمـج فـى أخلاقهم وهم يعتبرون أنفسهم خدماً للعمد والموظفين والضباط.

لـذلك فقد اقتـرح أن " يقـام نظام جديـد للخفـر يكون علـى أسـاس التكليف لا علـى أساس التطوع أي أن يكلف الخفير بعد إنتهاء مدة الجندية بالخدمة فى الخفر مدة أخرى للمحافظة على الأمن العام.. لأن الرجل الذي تربى تربية عسكرية يـأبى عند تعيينـه خفيراً أن يكون آلة دنيئة فى يد العمد أو خادماً لغيره من الموظفين.

أي يقتبس النظام الجديد من نظم (الجندرمة فى الأمم الأوربية الراقيـة) لإيجـاد نظام يوحد بين قوتي البوليس والخفراء ". وقد وافقت حكومة عدلي يكن على هذا القـانون الجديد فى نفس الجلسة.(٤٨)

وفى إقتراح تقدم به للمجلس تعرض للمصروفات المخصصة لملك مصر، وطالب بأن تخفف هذه المصروفات لتوفر مبالغ يمكن صرفها على الكثير من المشروعات، وغير ذلك من الإصلاحات التي تتطلبها حالة البلاد بدلاً من صرف هذه المبالغ فى الكماليات خصوصـاً لـو قورنـت هـذه المصـروفات بمـا يصـرف فـى الـبلاد الأخـرى لاتضـح أن هـذه المصروفات أكثر من مصروفات دول أخرى أغنى بكثير.(٤٩)

كما أثار موضوعاً آخر يتعلق بسكن وزير مصر المفوض فى لندره (لندن) وهذا السكن يسمى " بيوت هاوس " وقد كلف الحكومة فوق المائه وخمسين ألف جنيه ثمناً

---

(٤٧) أحمد شفيق: حوليات مصر السياسية – الحولية الثالثة – سنة ١٩٢٦ – الطبعة الأولى – مطبعة حوليات مصر – القاهرة – سنة ١٩٢٦– ص ٤٦٦.

(٤٨) مجلس النواب: مضبطة الجلسة السابعة والعشرين – فى ٨ أغسطس سنة ١٩٢٦.

(٤٩) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثلاثين – فى ١١ أغسطس سنة ١٩٢٦.

وتصليحاً وأثاثاً.(٥٠) وقد هاجم أحمد زيوار رئيس الوزراء فى ١٩٢٥ والذي أسرع فى إتمام هذه الصفقة، بالرغم من أن وزير مصر المفوض فى لندره أخبره بأن المنزل المذكور غير صالح للسكنى، لأنه منزل قديم بنى منذ مائة سنة فضلاً عن أن ثمنه باهظ للغاية، ولكنه أصر على شرائه دون مراجعة الوزير المفوض فى لندره.

يقول عزام "هذا تصرف مثير للشبهات، وإلا ما سبب إهتمام زيوار باشا بهذه المسألة وإصراره على إتمام الصفقة؟ لقد كان جاداً فى نهوها على غير عادته لدرجة جعلته يفتح إعتماداً بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه بعد إستقالته وبعد إنتخابكم. قالوا – دفاعاً عن هذا التصرف الشاذ المعيب – إن هذا الاعتماد فتح لأن جلالة الملك كان ينوى زيارة لندره وكانت الضرورة تقضى بإنفاق هذا المبلغ لجعل (بيوت هاوس) صالحاً لنزول جلالته فيه."

" كنا نقبل هذا السبب عذراً لفتح هذا الاعتماد لو أن المنزل أصبح تاماً ولكنه لا يصلح للسكنى إلى الآن ونحن فى النصف الثاني من شهر أغسطس. إذن فالسبب الذى يعللون به فتح هذا الاعتماد باطل ".(٥١)

---

(٥٠) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثانية والثلاثين – فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٦.

"بلغ ثمن وإصلاح وتأثيث بيوت هاوس ١٦٠٠٠٠ جنيه مفصلة كالآتي:

٦٥٠٠٠	جنيه ثمن الدار	قرار مجلس الوزراء بتاريخ ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٥
٥٠٠٠	جنيه للسمسرة ومصروفات أخرى	
٤٠٠٠ جنيه		الترميمات والتعديلات والتحسينات
١٦٠٠٠	جنيه	قرار فى ٦ أكتوبر ١٩٢٥
١٠٠٠٠	جنيه	" " ١٤ فبراير ١٩٢٦
٢٥٠٠٠	جنيه	" " ٥ يونية ١٩٢٦
٥٥٠٠٠ جنيه		
٣٥٠٠٠	جنيه الأثاث	قرار فى ٣١ مارس ١٩٢٦

١٦٠٠٠٠ جنيه (للمزيد من التفاصيل أنظر محضر الجلسة الثانية والثلاثين لمجلس النواب فى ١٥ أغسطس ١٩٢٦)، وكذلك: أحمد شفيق: مرجع سبق ذكره – ص ٤٦٠، ٤٦١.

(٥١) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثالثة والثلاثين – فى ١٦ أغسطس ١٩٢٦.

كما تقدم بإقتراح يقضى بتأجيل اعتماد المبالغ المخصصة فى ميزانية وزارة المالية لمخصصات الجامع الأزهر وشيخ الأزهر إلي حين عرض تقرير لجنة الأوقاف والمعاهد الدينية عن الميزانية علي المجلس فوافق المجلس على إقتراحه.(٥٢)

وفي عام ١٩٢٧ طالب عبد الرحمن عزام بالمساواه فى الخدمة العسكرية بين جنود الحرس الملكي وجنود الجيش، فقد كان الجندي فى الحرس والركائب الملكية يقضي مدة سبع سنوات، بينما يقضى غيره فى باقي وحدات الجيش خمس سنوات.. بالرغم من أنهم قد يقترعون فى يوم واحد، ومكلفون بتكليف واحد فى عمل واحد، وطالب بتخفيض هذه المدة وجعلها خمس سنوات للجميع. وقد أيد أحمد خشبه بك وزير الحربية آنذاك هذا الرأي.(٥٣)

وحول إستجواب من أحد الأعضاء عن زيادة عدد الجيش المصري، أوضح عزام (مقرر لجنة الحربية) أن أساس القوة العسكرية فى أي جيش من الجيوش ليس عدد الأنفار فقط... وإنما قوته فى حسن قيادته ونظامه وتجهيزه. ويرى أن كل زيادة فى عدد الجيش لا تنتج إلا إنهاك الميزانية دون أن تستفيد منها البلاد أية فائدة.

وطالب بإصلاح الجيش بأقل ما يمكن من المصاريف نظراً للظروف التي تعيشها البلاد، وأن يرتكز هذا الإصلاح علي إصلاح المدرسة الحربية وإنشاء مدرسة للضباط.. وأن تصبح كل وحدات الجيش المصري مجهزه بما تحتاج إليه من الوسائل الفنية كالغازات الخانقة، والأسلحة المختلفة التي تملأ صفوف الجيوش.(٥٤)

أضف إلي ذلك أن أحمد خشبه وزير الحربية الوفدي أخذ فى تنفيذ سياسة واسعة تستهدف فى النهاية زيادة قوة وحجم الجيش المصري هذا من ناحية، ثم العمل علي سلب المفتش العام الإنجليزي لهذا الجيش "سبنكس باشا "من كافة سلطاته من ناحية أخرى.

---

(٥٢) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثالثة والأربعين – فى ٣٠ أغسطس ١٩٢٦.

(٥٣) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الحادية والعشرين – فى ٢٤ يناير ١٩٢٧.

(٥٤) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثلاثين – فى ١٦ فبراير ١٩٢٧.

ووصل الأمر فى هذه السياسة إلي حد إقتراح الوفد علي رئيس الحكومة "عدلي يكن " بشراء الأسلحة للجيش المصري من أي دولة أجنبية وعلى نحو سري.

وفي جلسة مجلس النواب المنعقدة فى ١٨ أبريل ١٩٢٧ وأثناء مناقشة الميزانية.[٥٥] اشتم عدلي يكن عدم ثقة المجلس فى وزارته، فتقدم بإستقالته وإتفق مع وزرائه علي ألا يرأس أحدهم الوزارة التالية أو يشترك فيها.[٥٦]

وبلغ الأمر سعد باشا، وكان ببلدة مسجد وصيف حيث توجد عزبته، فسارع عائداً إلي مصر ليعالج الأمر. ولم يطل به البحث ليعلم أن عدول عدلي يكن باشا عن إستقالته أمر صعب. كان سعد باشا يقدر أن لا حياة لهذا البرلمان ولا للحياة النيابية كلها إلا ببقاء الإئتلاف. وبقاء الإئتلاف يقتضي فى نظره أن يحل عبد الخالق ثروت محل عدلي باشا فى رئاسة الوزارة. لهذا وجه سعد همه الأول إلي إقناع كل من الرجلين عدلي وثروت بأن مصلحة البلاد تقتضي أن يؤلف ثروت باشا الوزارة. وأقتنع عدلي بهذا الرأي، وأحل بذلك ثروت وبقية الوزراء الذين كانوا متضامنين معه فى الوزارة. وألفَ عبد الخالق ثروت الوزارة الجديدة (٢٥ أبريل ١٩٢٧ – ١٦ مارس ١٩٢٨) من زملائه فى وزارة عدلي يكن باشا.[٥٧]

إستمرت الحياة النيابية، وواصل مجلس النواب جلساته، وفى إحدى هذه الجلسات تقدم عبد الرحمن عزام يطلب من الحكومة أن تسرع فى سن تشريع يكفل حماية الفلاحين من ضريبة "رسوم الخفر" فميزانية الدولة لا يصح أن تتضخم بأموال تعتصر من دماء هؤلاء الفلاحين.[٥٨] أيضاً فقد تعرض المجلس لشئون العلاقات المصرية – البريطانية وتتالت الاستجوابات فى كثير مما يتصل بهذه العلاقات.[٥٩]

---

(٥٥) د. يونان لبيب رزق: مرجع سابق – ص ٣٠٣.
(٥٦) د. على شلبى،... : مرجع سبق ذكره – ص ٨١.
(٥٧) د. محمد حسين هيكل: مرجع سبق ذكره – ص ٢٢٩.
(٥٨) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثانية والخمسين – فى ٣ مايو ١٩٢٧.
(٥٩) د. يونان لبيب رزق: مرجع سابق – ص ٣٠٨.

ففى ١٩ مايو تقدم عبد الرحمن عزام بإستجواب لرئيس الوزراء يسأل فيه عما إذا كان ممثل الدولة البريطانية فى مصر " المندوب السامى " قدم أوراق اعتماده إلى الملك بما يتفق مع إستقلال البلاد وكرامتها(٦٠) وإذا لم يكن قد قدمها فما هو السبب؟ وما الذى اتخذته الحكومة من إجراءات لتلافى هذا النقص؟.(٦١)

وتوالت الاستجوابات والمناقشات ضد الوجود البريطانى فى مصر. وإستمر المسلك العدائى للأغلبية الوفدية ضد حكومة عبد الخالق ثروت بقصد وضعها فى مواقف حرجه.

وخلال ذلك كانت بريطانيا ترتب لمصر أزمة جديدة. بدأت فى ٣١ مايو عام ١٩٢٧ عندما قدم" المندوب السامى البريطانى " اللورد جورج لويد مذكرة إلى رئيس الوزراء "عبد الخالق ثروت "يطلب فيها:

١- وجوب تمكين المفتش العام الإنجليزي من أن يؤدى فى حرية اختصاصه، كما كانت فى يناير ١٩٢٥ ومنحه رتبة " فريق " وعقد لمدة ثلاث سنوات.

٢- ألا يتأخر وزير الحربية المصرى عن رفع توصيات لجنة الضباط فيما يتعلق بالتعيينات والترتيبات إلى الملك.

٣- أن يعين ضابط بريطانى برتبة لواء فى وظيفة مساعد للمفتش العام الإنجليزي.

٤- أن تكون مصلحة الحدود وخفر السواحل تحت إشراف المفتش العام أو نائبه.

٥- أن تبقى المراكز التى يشغلها ضباط بريطانيون فى مصالح وزارة الحربية، ومصلحة خفر السواحل إذا أدمجت فى مصلحة الحدود فى أيد بريطانية.

وأتبع " المندوب السامى " طلباته هذه بطلب " قوة عسكرية بحرية لتتوجه إلى

---

(٦٠) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثانية والستين – فى ١٩ مايو ١٩٢٧.

(٦١) د. يونان لبيب رزق: المرجع السابق – ص ٣٠٨.

الإسكندرية كدليل على إنعقاد النية على إستخدام العنف ضد مصر – وقد سمى هذا الحادث فى تاريخ مصر المعاصر بإسم " أزمة الجيش ".

كانت هذه المطالب البريطانية – رداً على مسلك وزير الحربية الوفدى "أحمد خشبه باشا" الذى حاول فى وزارة عدلى يكن (٧ يونيه ١٩٢٦ – ٢١ أبريل ١٩٢٧) أن يسلك سياسة وطنية وفدية نحو الجيش، وكانت الإجراءات البريطانية هذه درساً للوطنيين المصريين يذكرهم "بالوجود البريطانى".[٦٢]

وبدلاً من أن تؤدى هذه الأزمة الأخيرة إلى قطيعة بين الحكومتين البريطانية والمصرية إذا بها تؤدى إلى جولة جديدة من المفاوضات بهدف إقرار العلاقات بين الطرفين، فقد رأى ثروت وسعد وجوب الإسراع فى ذلك حيث أن بقاء هذه العلاقات على ما هى عليه هو الذى يسمح بالتدخل البريطانى بين الحين والأخر على النحو الذى تم به خلال أزمة الجيش. وقد بدأت هذه المحادثات والتى عرفت بإسم محادثات ثروت – تشمبرلين فى يوليو عام ١٩٢٧.[٦٣]

وفى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ توفى سعد زغلول، فتركت وفاته فراغاً فى الحياة السياسية لم يتح لأحد من خلفائه أن يملأه. فطالما سعد على قيد الحياة لم يكن بإستطاعة الملك أن يحرز نجاحاً كبيراً فى تأكيد نزعاته الأوتوقراطية بسبب الشخصية التى كان يتمتع بها الزعيم الوفدى المستند إلى جهاز قوى وشعبية واسعة النطاق.[٦٤]

كان موت سعد زغلول، صدمة كبيرة للسياسة المصرية.. فقد كان موت الزعيم العنيد الذى ناضل من أجل الإستقلال بعد الحرب العالمية الأولى، خسارة حقيقية وكبيرة للقضية لا يختلف فيها المؤيدون والمعارضون.. وخسر البرلمان واحداً من أفصح

---

(٦٢) د. عبد الوهاب بكر: (دراسات فى تاريخ مصر المعاصر...) مرجع سبق ذكره – ص ٨٦، ٨٧.

(٦٣) د. يونان لبيب رزق: مرجع سابق – ص ٣٠٩.

(٦٤) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سابق – ص١٧٤، ١٧٥.

خطبائه، ومحارباً من أجل حقوقه.. وفقد الوفد محقق وجوده.. بينما خسر الشعب مثلاً أعلى.[٦٥]

على أن وفاة سعد زغلول ضاعفت الأمل لدى الإنجليز فى إمكان الوصول إلى إتفاق، فإستؤنفت المباحثات مع ثروت... ولكن ما لبثت أن فشلت هذه المفاوضات.[٦٦]

فتقدم عبد الخالق ثروت بإستقاله وزارته إلى الملك فى ٤ مارس ١٩٢٨، وفى أعقاب ذلك بدأت المظاهرات الشعبية تجتاح البلاد مؤيدة للدستور وللحزب الشعبى فى القاهرة وأسيوط وشبين الكوم وطنطا، إلى حد إضطر اللورد لويد إلى التنويه بخطورتها والإعراب عن مخاوفه من إتساعها.

وقد حقق ذلك الضغط الشعبى هدفه بمنع الفكرة التى راودت القصر والوجود الإحتلالى آنذاك بحل البرلمان وتعديل قانون الإنتخاب.

ثم إستدعى الملك فؤاد، النحاس باشا زعيم الأغلبية البرلمانية يشاوره فى شأن الوزارة الجديدة ثم تبع ذلك قبول الرجل لتأليفها على نفس النسق الإئتلافى الذى كان قائماً من قبل.. أى من الوفد والأحرار الدستوريين، وتألفت وزارة النحاس باشا الأولى (١٦ مارس ١٩٢٨ – ٢٥ يونيه ١٩٢٨).[٦٧]

واصل مجلس النواب جلساته، وواصل عبد الرحمن عزام إقتراحاته، ومناقشاته فنجده فى إحدى الجلسات يناقش نظام البدل العسكرى (بدل الخدمة العسكرية) ويطالب بإلغائه لأنه أدى إلى إيجاد طبقه مخصوصة تقوم بواجب الدفاع عن البلاد، وهذه الطبقة هى طبقة المعدمين والفقراء الذين لا يملكون شيئا. كما أن هذا النظام قد مكن كل مصرى – يستطيع أن يدخر بعض القروش كل عام – من إفتداء نفسه، والهرب من

(٦٥) جاكوب لاندو: مرجع سبق ذكره – ص ١٨٧.
(٦٦) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع السابق – ص ١٧٥.
(٦٧) د. يونان لبيب رزق: مرجع سبق ذكره – ص ٣١٣.

أداء الواجب العام، واجب الدفاع عن الوطن، وقد أدى نظام البدل العسكرى أيضاً إلى الحكم على كل مصرى فقير بالأشغال الشاقة مدة خمس سنين متى بلغ سن القرعة وعجز عن دفع البدل.

يقول عزام " إن إستمرار نظام البدل العسكرى – ولو أنه يعود على الخزانة بمبلغ ٢٠٠٠٠٠ جنيه – يضع بلادنا فى موضع المهانة، لأنه يعفى ٩٥% من سكانها من القيام بواجب مقدس، ويكلف الفقراء وحدهم عبء القيام بهذا الواجب، وهو الدفاع عن الوطن. ولهذا لا يجوز بحال من الأحوال إبقاء النظام المذكور. وهناك أحد أمرين: إما تقرير مبدأ الخدمة العسكرية الإجبارية، أو مبدأ التطوع الذى ينقلب إجبارياً كلما دعت الضرورة، كما هو الحال فى بلاد العالم المتمدينة."(٦٨)

وفى جلسة أخرى طالب وزارة الأوقاف بضرورة صرف أوقاف الحرمين الشريفين فى الإتجاه الذى أراده لها الواقفون. " لأن الإنفاق على الحرمين الشريفين هو من أكبر الدعايات لمصر فهو يضع بلادنا فى مقدمة البلاد الإسلامية... وإننى أرى من أول واجباتى أن أوجه نظر وزارة الأوقاف إلى أن توفى الحرمين الشريفين حقهم من إيراد أوقافهما أولاً وقبل كل شىء. ولها بعد ذلك أن تصرف ما يبقى على تلك الأعمال المتنوعة التى هى بعيده عن رغبة الواقف ".(٦٩)

وفى هذه الأثناء كانت وزارة النحاس باشا تواجه أزمة سبق أن أثارتها إنجلترا مع عبد الخالق ثروت حول العلاقات بينها وبين مصر، وقدمت دار المندوب السامى إنذاراً إلى الحكومة المصرية تطلب فيه منع مشروع قانون الإجتماعات المعروض على البرلمان من أن يصبح قانوناً.(٧٠)

وأمام هذا الإنذار البريطانى ردت الحكومة المصرية رداً طويلاً فى أول مايو ١٩٢٨

---

(٦٨) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الخامسة والأربعين – فى١٠ أبريل سنة ١٩٢٨.

(٦٩) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الرابعة والثمانين – فى ٢٣ يونيه سنة ١٩٢٨.

(٧٠) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره – ص ١٧٥.

تمسكت فيه بموقف الوفد من إنكار تصريح ٢٨ فبراير ورفضت تقديم التوكيد لكتابى المطلوب وإنثنت من ذلك لتبدى سياستها فى المسألة بأنها قد طلبت من مجلس الشيوخ تأجيل المناقشة فى مشروع القانون إلى دور الإنعقاد التالى.

وبالرغم من أن هذا الرد لم يكن مرضياً من وجه نظر اللورد لويد إلا أن الخارجية البريطانية قد رأت فيه الكفايه لاجتياز الأزمة. وكان إجتيازها نجاحاً محسوباً للنحاس باشا كما ارتآه عديدون وقتذاك منهم المندوب السامى البريطانى.[٧١]

وقد عزز هذا النجاح مركز مصطفى النحاس فى البلاد – إلا أن الأحرار الدستوريين لم يعجبهم تصرفه هذا فشنوا عليه حملة عنيفة واصفين موقفه من الأزمة بالضعف، وفى ٣ مايو سنة ١٩٢٨ تقدم محمد محمود وكيل حزب الأحرار الدستوريين ووزير المالية بإستقالته من الوزارة.[٧٢] ولكن الملك فؤاد إستطاع إقناعه بالعدول عنها. إلا أنه قدم إستقالته مرة أخرى فى ١٧ يونيه، ثم تلاه فى ذلك الوزير الدستورى الآخر جعفر ولى باشا فى ١٩ يونيه، ثم أحمد خشبة باشا وزير الحقانية الوفدى فى ٢٣ يونية، ثم لم يمض سوى يوم واحد حتى قدم إبراهيم فهمى بك وزير الأشغال العمومية (المستقل) إستقالته فى ٢٤ يونية ١٩٢٨.

وإستقالة أربعة وزراء من وزارة تضم عشرة أعضاء على هذا النحو المتتالى لا يدع مجالاً للشك حول طبيعة الإتفاق بين هؤلاء بعضهم وبعض من ناحيه وبينهم وبين القصر من ناحيه أخرى فيما تأكد من تعيينهم جميعاً فى الوزارة التالية.[٧٣]

وهكذا إتحد الطرفان " القصر وحزب الأحرار الدستوريين " لهدم النحاس ووزارته الإئتلافيه وبالفعل أقيل النحاس فى ٢٥ يونية ١٩٢٨.[٧٤]

---

(٧١) د. يونان لبيب رزق: مرجع سابق – ص ٣١٥.
(٧٢) د. عبد العظيم رمضان: مرجع سبق ذكره – ص ٦٧٤.
(٧٣) د. يونان لبيب رزق: مرجع سابق – ص ٣١٦، ٣١٧.
(٧٤) د. عبد الوهاب بكر: مرجع سبق ذكره – ص٩٣.

ألف محمد محمود باشا وزارته (٢٥ يونيه ١٩٢٨ – ٢ أكتوبر ١٩٢٩) يوم أُقيلت وزارة النحاس باشا وكان محمد محمود والذين تضامنوا معه فى الوزارة، يمثلون الأقلية فى برلمان الإئتلاف. فماذا عسى أن تكون سياستهم؟[٧٥] لقد إجتمع مجلس النواب فى مساء ٢٨ يونية برئاسة ويصا واصف... الذى قرأ المرسومين، الأول بتشكيل الوزارة والأخر بتأجيل إنعقاد البرلمان شهراً.. وأنهى الجلسة معلناً إنعقاد المجلس يوم السبت ٢٨ يوليه من تلقاء نفسه. وكان تأجيل إنعقاد البرلمان مقدمة لحل البرلمان وتعطيل أحكام الدستور وحكم البلاد بمراسيم ملكية لها قوة القوانين، فقبل إنقضاء الشهر الذى حدده مرسوم تأجيل إنعقاد البرلمان، إستصدرت الحكومة مرسوماً ملكياً آخر لحل البرلمان فى ١٩ يوليه ١٩٢٨، كما نص المرسوم على تعطيل الحياة النيابية لمدة ثلاث سنوات[٧٦].

ولم يكتف محمد محمود بذلك بل عطل العمل بالمواد ٨٩، ١٥٥، ١٥٧، والفقرة الأخيرة من المادة ١٥ – وهى مواد تتعلق بتحديد موعد الإنتخابات بعد حل البرلمان وعدم جواز تعطيل حكم من أحكام الدستور إلا فى زمن الحرب وعدم جواز تعطيل إنعقاد البرلمان وعدم جواز تعديل الدستور إلا بالقيود والشروط المبينة بالمادة الخاصة بذلك ومنع إنذار الصحف أو وقفها أو إلغائها بالطريق الإدارى.[٧٧] وأصبحت البلاد بذلك أشبه بسجن كبير.

كان رد الفعل المباشر لمنع الإجتماعات العامة وتكميم الصحف وإضطهاد الحريات، هو إنتشار الإجتماعات السرية وطبع المنشورات الثورية وإذاعتها... كما لجأ الوفد إلى وسيلة فعالة للنضال، وهى محاولة تنظيم مقاطعة البضائع الإنجليزية وتوزيع المنشورات على الناس بهذا المعنى. وكان مما دفع الوفد إلى هذه الخطة ما كان يؤمن به من مسئولية السلطات الإنجليزية عن الإنقلاب وعن بقاء محمد محمود باشا

---

(٧٥) د. محمد حسين هيكل: مرجع سابق – ص ٢٤١.

(٧٦) د. على شلبى،...: مرجع سبق ذكره – ص ٩٤، ٩٦.

(٧٧) د. عبد الوهاب بكر: المرجع السابق – ص ٩٦.

فى الحكم. على أن إيمانه بتأثير الإنجليز فى إسناد هذا الحكم، قد دفعه من جانب آخر إلى إيفاد سفارة له إلى لندن تتولى الدعاية ضد الحكم القائم وإنارة الرأى العام البريطانى بحقائق ما يجرى فى مصر. وكان يتولى هذه السفارة مكرم عبيد ويعاونه فيها الدكتور حامد محمود والأستاذ عبد الرحمن عزام. وقد كان لهذه السفارة أثر لا ينكر فى مجرى الحوادث التالية سواء بالنسبة للقضية الدستورية أو القضية الوطنية.

وفى ٤ أغسطس ١٩٢٨ وأثناء السفر إلى لندن توجه الوفد المصرى برئاسة مكرم عبيد إلى برلين لحضور " مؤتمر الإتحاد البرلمانى الدولى ". وكانت مصر قد قررت الإشتراك فى هذا المؤتمر قبل حدوث الإنقلاب، فقرر ممثلوا مجلس النواب المنحل ومجلس الشيوخ المعطل حضور هذا المؤتمر... حقيقة لم يأخذ المؤتمر بالإقتراحات المصرية، ولكن التشهير ببريطانيا قد وقع فعلاً فى مجال من أوسع المجالات السياسية.

وصل الوفد إلى لندن، وأخذ فى الإتصال بأعضاء مجلس العموم، والكتابة فى الصحف وإلقاء الخطب فى الإجتماعات والقيام بالمظاهرات المنظمة هناك.[٧٨]

وفى أوائل أكتوبر ١٩٢٨ أدلى عزام بحديث لصحيفة المانشستر جارديان رداً على ما قاله محمد محمود " أن أحد أسباب إلغائه للحياة النيابية هو تدخل النواب فى أعمال السلطة التنفيذية. والتوسط لدى الوزراء ومرؤسيهم معرقلين بذلك سير الإدارة ". فرد عزام قائلاً " إن السبب فى ذلك هو أن بيروقراطيى الحكومة المصرية الذين كانوا يخدمون بها من قبل مجىء الحكم البرلمانى، قد أزعجهم وهم الذين كانوا سادة فى عهد الحكم الأوتوقراطى، هذا التدخل الجديد فى شئونهم من جانب نواب الشعب، فأظهروا الإستياء لهذا الخطر على إختصاصاتهم. وقد بنت حكومة محمد محمود باشا على ذلك حقها فى تعطيل الحياة النيابية ".[٧٩]

وقد نجحت سفارة الوفد إلى أوربا نجاحاً كبيراً وحققت إنتصارات لصالح قضية

---

(٧٨) د. عبد العظيم رمضان: المرجع السابق – من ص ٦٩٢: ٦٩٤.

(٧٩) د. عبد العظيم رمضان: نفسه – ص ٦٩١.

الديمقراطية وصيانة الحياة البرلمانية.[٨٠]

وأشتد سخط الأمة على حكومة محمد محمود التى أدركت أن النظام الذى إصطنعته أخذ يتداعى... كما عانت الحكومة فى أواخر أيامها من ضعف شديد جعلها لا تستطيع مواجهة الحملة الشديدة التى شنها عليها الوفد ... وأدرك الأحرار الدستوريين أن كرامتهم أصبحت فى كفة الميزان، فقدم محمد محمود إستقالته فى ٢ أكتوبر ١٩٢٩. فقبلها الملك فى اليوم نفسه، وكان قد تردد أن الملك سيعهد إلى على ماهر بتأليف الوزارة، ولكنه عهد إلى عدلى يكن باشا فى اليوم التالى بتأليف الوزارة الجديدة لإجراء الإنتخابات وإعادة الحياة النيابية.[٨١]

برلمان عام ١٩٣٠:

ألف عدلى يكن وزارته الثالثة "الوزارة الانتقالية" (٣ أكتوبر ١٩٢٩- أول يناير ١٩٣٠) والتى سرعان ما شرعت بعد تأليفها بفترة قصيرة في تنفيذ مهمتها، فإستصدرت الأمر الملكى رقم ٧٢ لسنة ١٩٢٩ ونص "بعد الإطلاع على أمرنا رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ يوضع نظام دستورى للبلاد، وعلى أمرنا رقم ٤٦ الصادر في ١٩ يوليو ١٩٢٨، وعلى كتاب الوزارة المرفوع إلينا بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٩٢٩ – أمرنا بما هو آت:

مادة ١: يعمل بالمواد ١٥٧,١٥٥,٨٩,١٥ من الدستور.

مادة ٢: يحدد بمرسوم تاريخ دعوة الناخبين لإنتخاب أعضاء مجلس النواب، ويدعى إلى الإجتماع في ١١ يناير ١٩٣٠ مجلس النواب الذى أنتجه هذا الإنتخاب ومجلس الشيوخ الذى كان قائماً في تاريخ إصدار أمرنا رقم ٤٦ لسنة ١٩٢٨ المتقدم ذكره".[٨٢]

---

(٨٠) د. على شلبى،... : مرجع سبق ذكره – ص ١١١.

(٨١) د. على شلبى،... : نفسه – ص ١٢٤.

(٨٢) جريدة الوقائع المصرية: العدد ٩٧ "عدد غير إعتيادى – صادر في نوفمبر ١٩٢٩".

وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٩ أصدرت الوزارة اليكنية مرسوماً آخر بتحديد موعد الإنتخاب ودعوة البرلمان.

على أية حال.. فقد جرت الإنتخابات في موعدها المقرر ونال الوفد فيها أكثر من ٩٠% حيث نال (٢١٢) مقعداً من مجموع مقاعد مجلس النواب البالغة (٢٣٥). بينما نال الحزب الوطنى خمسة مقاعد والإتحاد ثلاثة، وشغل المستقلون بقية المقاعد.

وفى ٣١ ديسمبر ١٩٢٩- وبعد إجراء الإنتخابات بعشرة أيام – قدمت الوزارة اليكنية إستقالتها، بعد أن قضت أقل من ثلاثة شهور في الحكم، وأدت مهمتها على خير وجه.

وفى أول يناير عام ١٩٣٠ تألفت وزارة وفدية برياسة مصطفى النحاس وهى وزارة النحاس الثانية (أول يناير ١٩٣٠- ١٩ يونيه ١٩٣٠).[٨٣]

عبد الرحمن عزام وبرلمان ١٩٣٠:

أسفرت الإنتخابات التى جرت في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ عن فوز عبد الرحمن عزام بعضوية مجلس النواب عن دائرة العياط محافظة الجيزة، فقد كان مجموع الأصوات الصحيحة للناخبين في هذه الدائرة (٨٩٦١) صوتاً، وكان عدد الأغلبية المطلقة (٤٤٨١) صوتاً، وقد حصل عزام على (٥٢٨٦) صوتاً.[٨٤]

وفى أولى جلسات هذا المجلس شرع في إنتخاب السكرتيرين النائبين فحصل عزام ومعه محمد صبرى أبو علم، وأحمد عبد الباقى راضى، وأحمد عبد اللطيف مرزوق على سكرتارية المجلس.[٨٥]

---

(٨٣) د. يونان لبيب رزق: مرجع سابق – ص ٣٣٩، ٣٤٠.
(٨٤) مجلس النواب: مضبطة الجلسة العاشرة – في ١٠ فبراير ١٩٣٠.
(٨٥) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الأولى – في ١١ يناير ١٩٣٠.

كذلك إنتخب عزام عضواً في لجنة المالية والتجارة والصناعة، وعضواً في لجنة الطعون[٨٦]، ثم رئيساً للجنة الحربية والبحرية والطيران والسودان، وكان محمد صالح حرب سكرتيراً لهذه اللجنة. ثم إنتخب أخيراً عضواً في لجنة الميزانية.[٨٧]

وفى الجلسات الأولى للمجلس تقدم عزام بسؤال لوزير الأشغال العمومية حول أجور العمال الذين إشتركوا في المحافظة على جسور النيل وقت الفيضان، وطالب بإيجاد تشريع جديد لعملية خفارة جسور النيل، وأن يوضع في الميزانية الجديدة مبلغ كتعويض لهؤلاء العمال... وقد أيده وزير الأشغال وأوضح أن الوزارة إعتمدت مبلغ ١١٨٠٠ جنيه لهذا الغرض، وسوف تقوم الوزارة بصرفه للعمال عندما يعتمده البرلمان.[٨٨]

كما تناول مسألة أخرى وهى مسألة القطن المصرى وتساءل لماذا تدخل الدولة سوق القطن كمشترية، وبإمكانها إنشاء صناعات جديدة بالبلاد تساعد على مقاومة إنتشار البطالة، وتفتح باباً جديداً لتصريف القطن المخزون لديها.

وإقترح على الحكومة أن تسلك مسلك مملكة البرازيل، التى كانت حتى سنة ١٩١٤ خالية من الصناعة القطنية، وعندما زارها عبد الرحمن عزام في عام ١٩٢٧ كانت الصناعة القطنية بها لسد حاجتها، ويرجع ذلك إلى ما بذلته الحكومة للنهوض بالصناعة.[٨٩]

كما طالب الحكومة مرة أخرى بأن تتقدم بمشروع قانون إلى مجلس النواب بإلغاء أو تعديل قانون البدل العسكرى. وتخفيض مدة الخدمة العسكرية، وجعلها سنة واحدة على الأكثر.[٩٠]

---

(٨٦) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثانية – في ١٥ يناير ١٩٣٠.
(٨٧) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثالثة – في ٢٠ يناير ١٩٣٠.
(٨٨) مجلس النواب: مضبطة الجلسة السابعة – في ٢٩ يناير ١٩٣٠.
(٨٩) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثانية والعشرين – في ٣ أبريل ١٩٣٠.
(٩٠) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الثالثة والعشرين – في ٧ أبريل ١٩٣٠.

وفى إحدى الجلسات تقدم عزام بسؤالٍ إلى رئيس الوزارة ووزير خارجيته "عن الموانع التى تحول دون إعتراف مصر بحكومة الحجاز ومتى يتم الإعتراف بها، وأكد أن المجلس يرغب رغبة أكيدة في أن تسوى العلاقات بين مصر والحجاز وأن تأخذ وزارة الخارجية بأسباب هذه التسوية لتسود بين البلدين أحسن الصلات.[٩١]

ثم طالب بعد ذلك بإرسال الكسوة الشريفة للكعبة المكرمة وفصل كسوة الكعبة عن المحمل، حتى لا تحرم مصر من هذا الشرف العظيم والإمتياز التاريخى الخاص.[٩٢]

وفى جلسة أخرى اقترح على وزير المعارف بالإقتصاد في الوظائف الكبيرة بوزارة المعارف العمومية، وأن عدد هذه الوظائف يحتاج إلى تعديلٍ جديدٍ رغبة في الإقتصاد مع عدم الإخلال بحسن سير العمل. وقد وافقت الوزارة على هذا الإقتراح.[٩٣]

وفى هذه الأثناء فشلت مفاوضات النحاس – هندرسون، وعاد النحاس إلى مصر ليواجه ظروفاً شبيهة بتلك التى واجهها سعد زغلول بعد فشل مباحثاته مع المستر مكدونالد في أواخر عام ١٩٢٤. فقد أحس الأحرار الدستوريين بأنهم إنما أقصوا عن الحكم لهدف واحد هو أن يبرم الوفد المعاهدة مع إنجلترا، أما ولم يتم ذلك، فإن الظروف التى سبقت قيام الوزارة الوفدية يجب أن تعود، فقد تقدموا في ٢٧ مايو ١٩٣٠ بعرض إلى الملك فؤاد وصفوا فيها الأغلبية البرلمانية الوفدية بأنها " أغلبية برلمانية إنتخبت لغاية خاصة ". وطلبوا من الملك في النهاية إقالة الوزارة.

أما القصر فقد شعر بأن الظروف، بعد فشل المفاوضات، أصبحت سانحة لقلب الحياة الدستورية من جديد.. فلجأ إلى تعطيل أعمال الوزارة البرلمانية وإهمال رغباتها والإمتناع عن إمضاء المراسيم، وذلك لشل أعمالها ودفعها إلى الإستقالة.

---

(٩١) مجلس النواب: مضبطة الجلسة السابعة والعشرين– فى ١٤ أبريل ١٩٣٠. وكذلك أنظر
(Ralph M. Coury: (the Making of an Egyptian Arab Nationalist …) p. 298 .
(٩٢) مجلس النواب: مضبطة الجلسة الخامسة والأربعين – فى ٤ يونيه ١٩٣٠. وكذلك أنظر
(Ralph M. Coury : (the Making of an Egyptian Arab Nationalist …) p. 298 .
(٩٣) مجلس النواب: مضبطة الجلسة السادسة والثلاثين – في ٢٨ أبريل ١٩٣٠.

وبالفعل، ففى ١٧ يونيه ١٩٣٠ قدم النحاس باشا إستقالته... وأصدر الملك أمره بقبول الاستقالة.[٩٤]

وفى ٢٠ يونيه ١٩٣٠ أصدر الملك فؤاد مرسوماً ملكياً بتشكيل وزارة إسماعيل صدقى باشا. ثم تبعه بمرسوم آخر في ٢١ يونيه ١٩٣٠، بتأجيل إنعقاد البرلمان لمدة شهر.

وخلال شهر يوليو – وقبل إنتهاء الشهر الذى كان البرلمان مؤجل إنعقاده فيه – إستصدر إسماعيل صدقى مرسوماً ثالثاً بفض دور إنعقاد البرلمان في ١٢ يوليو ١٩٣٠.[٩٥]

وفى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٠ أقدم إسماعيل صدقى على خطوة جريئة وخطيرة، لم يسبق لها مثيل وهى إلغاء دستور سنة ١٩٢٣ وقانون الإنتخاب رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ وإستبدلهما بدستور وقانون إنتخاب جديدين.[٩٦]

ولقد تميز دستور عام ١٩٣٠ بالرجعية الشديدة – وبأنه منحه من الملك – إلى جانب مواده التى تطلق يد الملك في العبث بالبلاد كيف يشاء.

وبالطبع فقد هاج حزب الوفد لهذا الفعل من جانب إسماعيل صدقى وشرع في تنظيم حرب عنيفة ضده، وإجتاحت المظاهرات البلاد كلها – وما لبث حزب الأحرار الدستوريين أن أنضم إلى معارضى "صدقى". وبدأت سلسلة من الإضطرابات الدموية، والحوادث المثيرة.[٩٧] ولم يمض كثيراً من الوقت حتى كانت أغلب الصحف قد عطلت أو ألغيت، فقد عطلت نحو ثلاثين صحيفة في خلال شهرين.. كذلك منعت الحكومة إحتفال

---

(٩٤) د. عبد العظيم رمضان: المرجع السابق – ص٧٢٠.

(٩٥) مجلس النواب: ملحق لمجموعة مضابط الدور الأول للفصل التشريعى الرابع – ص١١٨٧.

(٩٦) محمد عبد اللطيف عبد الحفيظ: مرجع سبق ذكره – ص١٧١.

(٩٧) د. عبد الوهاب بكر: (دراسات فىتاريخ مصر المعاصر..) – مرجع سبق ذكره – ص١١٣.

المصـريين بعيـد الجهـاد الـوطنى الـذى دأب الوطنيـون علـى الإحتفـال بـه منـذ ثـورة ١٩١٩.[٩٨]

كان صدقى باشا موقناً بأن سياسـة البطش وحدها لا تؤدى إلى غايـة. لهذا فكر فى الوسيلة التى يستر بها سياسـة البطش هذه، فرأى أن ينشأ حزبـاً، وأن ينشئ للحزب جريدة. فأنشأ حزب الشعب وأنشأ جريدة الشعب. وكان جلياً منذ اليوم الأول أن الحزب من صنع الحكومة، وأن الجريدة كانت من صنع الحكومة.وعلى الرغم من النشاط العجيب الذى بذلـه صدقى باشا فـى تقويـة الحزب وجريدتـه، لقد بقيا برغم قـوة صدقـى باشا الذاتيـة هزيلين، لأن النـاس كـانوا موقنيـن جميعاً بـأن المنضمين للحـزب والجريـدة إنمـا تجمعهم مصالح ماديـة بحتـة، إذا تـداعت أركانهـا تـداعت كـل صلـة بينـهم – وحيث تقتصر روابط الناس على المصالح المادية، وحيث لا تجمعهم فكرة يطمئنون إليها أو عقيدة يؤمنون بها أو ما شابه ذلك من رباط معنوى، كان حرص كل منهم على أن ينال من المصالح الماديـة النصيب الأوفى سبباً لمفاسد لا حد لها.[٩٩]

وهكذا... وبهذه الوسائل مهد صدقى لإنتخاباتـه التى تمت في مايو ١٩٣١ في جو من القمـع والتزييف والإرهاب وقاطعها كل من الوفد والأحرار الدستوريين، وكانـت نتيجتها حصول حزب الشعب الذى أسسه صدقى باشا على (٨٤) مقعداً وحزب الاتحاد على (٤٠) مقعداً، والحزب الوطنى على (٨) مقاعد، والمستقلين على (١٨) مقعداً.[١٠٠]

ونتيجة لمقاطعة الوفد لهذه الإنتخابات نرى أن عبد الرحمن عزام لم يكن متواجداً في برلمان عام ١٩٣١. وكان عضو البرلمان عن دائرة العياط في هذه الإنتخابات هو الشيخ فؤاد حسنين هميلة.[١٠١]

---

(٩٨) د. على شلبى، ..: مرجع سابق – ص١٧٩.

(٩٩) د. محمد حسين هيكل: مرجع سابق – ص ٢٨٦.

(١٠٠) على الدين هلال: مرجع سابق – ص١٣٠.

(١٠١) مجلس النواب: ملحق محضر الجلسة الأولى – في ٢٠ يونيه ١٩٣١.

وأرى – أنه على النقيض مما يقال، فقد كان برلمان عام ١٩٣٠ هو آخر عهد عبد الرحمن عزام بالحياة النيابية فلم يتقدم للترشيح بعد ذلك حتى تم إختياره وزيراً مفوضاً من الدرجة الثانية في مفوضية طهران فى ٢ أبريل ١٩٣٦.

في هذه الأثناء– وفى ديسمبر عام ١٩٣١ قام عبد الرحمن عزام بتمثيل مصر في المؤتمر الإسلامى الكبير الذى عقد في القدس، وقد شن حملة شعواء على الاستعمار الإيطالى لطرابلس الغرب وندد بإعدام الزعيم عمر المختار، كما كانت كلماته الحماسية المتدفقة في التنديد بالأساليب الوحشية التى لجأت إليها إيطاليا في إخماد ثورة السنوسى، سبباً في إحداث ضجة، فإضطرت حكومة الإنتداب البريطانى في فلسطين لإعادته إلى مصر بالقوة فأضفى ذلك التصرف على عزام مزيداً من التقدير من حملة الفكرة العربية في بلاد العرب.[١٠٢]

على جانب آخر – كان مجئ صدقى إلى الحكم فى وقت غير مناسب... فلقد أتى في مطلع أزمة إقتصادية عالمية عنيفة تطاير شررها إلى مصر واستفحل فيها. وكان بدء ظهور هذه الأزمة في نيويورك في خريف عام ١٩٢٩ عقب إنهيار مفاجئ في أسعار البورصة، وسرعان ما اتسع نطاق هذه الأزمة حتى شمل العالم بأسره، فأخذت الأسعار في الإنخفاض المتوالى، وتوقف الإنتاج الصناعى، وتكدست المواد الخام، وهبطت الصادرات. ولما كان الإقتصاد المصرى بعد الحرب العالمية الأولى مرتبطاً في نموه وتطوره كل الإرتباط بالإقتصاد الإنجليزى والأمريكى، فقد كان من الطبيعي أن تتأثر مصر تأثراً كبيراً بهذه الكارثة الإقتصادية. مما هدد مصالح الجماهير الشعبية من العمال والفلاحين واستثار فيهم الغضب، فانقلبوا على الحكومة الصدقية يقاومونها في عنف شديد، وقابلتهم الحكومة بالحديد والنار، فتحولت المعركة إلى " شبه حرب أهلية "[١٠٣]

وقد قوبلت سياسة صدقى بأعمال عنف كإطلاق النار على الشخصيات الكبيرة وتفجير القنابل وتعطيل المواصلات، ودخلت البلاد مرحلة من العمل السرى أعاد إلى

---

(١٠٢) روز اليوسف: العدد ٩١١– عدد سابق – ص١٣، ووحيد الدالى: مرجع سابق– ص٤٢٤.

(١٠٣) د. عبد العظيم رمضان: مرجع سبق ذكره – ص٧٣٣.

الأذهان حوادث العشرينيات ضد المحتل والمتعاونين معه.

وبينما الوفد يتعاون مع الأحرار الدستوريين في التصدى للإرهاب الصدقى؛ إذا بحزب الأحرار الدستوريين يتقدم بإقتراح تأليف وزارة قومية في أوائل عام ١٩٣٢- بدلاً من الإستمرار في المقاومة.(١٠٤)

إلا أن الوفد أو بالأحرى قسم من زعامته يضم النحاس ومكرم وماهر والنقراشى قد إعترض على الفكرة ورأى ضرورة المضى في المقاومة إلى أن تبلغ هدفها بإسقاط الوزارة الصدقية.

وقد ترتبت على هذا الاعتراض نتيجتان: أولاهما فض التحالف بين الوفد والأحرار الدستوريين، وثانيتهما خروج عدد من زعماء الوفد عليه وهو الإنشقاق الذى عُرف في تاريخ الحزب الكبير بإنشقاق السبعة ونصف.(١٠٥)

لقد كان الوفد كأى حزب آخر عرضه لخروج هذه " الإفرازات " منه مع تطور النضال الوطنى.. وتكشف بعض الوثائق عن وجود إتجاه بالوفد يعارض مقاومة نظام صدقى تحقيقاً لمصالحه، وتقول إحدى الوثائق " وأنا كشيخ فقدت حمية الشباب أقول، كوفدى بصراحة إن النضال الذى شرع فيه بإراقة الدماء في بلبيس سيكون وخيم العواقب على البلاد من الناحيتين الإقتصادية والسياسية. وأنا واثق بأن الإنجليز يتربصون الفرص لترسيخ أقدامهم في البلاد على يدنا وبواسطتنا المباشرة " ويمضى هذا الشيخ قائلاً " أنا كرجل شيخ حنكتنى التجارب وكان من رأيي أن نكسب فرص العطلة الحالية لعلاج أزمتنا الإقتصادية وبث الطمأنينة ونحن على أبواب موسم القطن على الأقل ". لقد كان هذا الإتجاه الذى يمثله هذا الشيخ تعبيراً عن أصحاب المصالح الذين لا تهمهم الديمقراطية في البلاد إلا بقدر تحقيق مصالحهم الضيقة. وفى الإتجاه المعاكس الحريص على المصالح الوطنية عبر عبد الرحمن عزام – الوفدى أيضاً–

---

(١٠٤) د. عبد الوهاب بكر: (دراسات فى تاريخ مصر المعاصر..) – مرجع سابق – ص١١٤، ١١٥.
(١٠٥) د. يونان لبيب رزق: المرجع السابق – ص٣٦٠.

بقوله "الظاهر أن الواقعة الكبرى ستقع مبكره فالإصطدام هذه المرة قد يستهدف لخطره عدد من النواب وإذا أريقت أول قطرة من دم هؤلاء فالنار ستشتعل في البلاد كلها وسيكون هدف الذين عطلوا الدستور واحداً من اثنين، إما ذهبنا نحن عن آخرنا وهذا مستحيل وغير معقول وإما ذهبوا هم وهذا محقق".

وشتان منطق هذا الشيخ "المحنك" .. ومنطق عبد الرحمن عزام.

إن الذين إنفضوا عن الوفد وأحدثوا " إنسلاخ " عام ١٩٣٢ كانوا إما أصحاب المصالح الضيقة أو من الذين أنهكوا من النضال ضد صدقى.(١٠٦)

في ذلك الوقت كان حزب الوفد في صفوف المعارضة، لذلك بدأ عبد الرحمن عزام مرحلة جديدة من نشاطه السياسي، تمثلت في مقاومته لنظام صدقى حيث كتب في العديد من جرائد الوفد المختلفة (كالجهاد والضياء وكوكب الشرق والبلاغ والمصرى) ضد حكومة صدقى، وقاد هو ومحمد توفيق دياب وعباس محمود العقاد وعيد حمزة وحافظ عوض، وغيرهم من كبار الكتاب الوفديين. حملة ضد وزارة إسماعيل صدقى، وقد وجه عزام نقداً شديداً لصدقى باشا ووزارته أثبت من خلاله أن هذه الحكومة حكومة طاغية أفسدت الحكام.

وقد إنتهت هذه الحملة بأن رفع الوفد دعوى ضد الحكومة أطلق عليها وقتها " قضية نزاهة الحكم " مما كان سبباً في سقوط وزارة صدقى في سبتمبر ١٩٣٣.(١٠٧)

تولى عبد الفتاح يحيى رئاسة الوزارة الجديدة (١٧سبتمبر ١٩٣٣- ١٤ نوفمبر ١٩٣٤)، وسار على نفس النهج الإستبدادى الذى كانت عليه وزارة صدقى.. مما عجل بإستقالة وزارته. وتم تكليف محمد توفيق نسيم، من قبل الملك فؤاد بتأليف الوزارة

---

(١٠٦) د. على شلبى، ...: مرجع سابق – ص٢١١ – ويذكر أن هذا الشيخ هو محمد نصار بك نائب سرس الوفدى.

(١٠٧) وحيد الدالى: مرجع سبق ذكره – ص٣٢.

الجديدة (١٤ نوفمبر ١٩٣٤- ٣٠ يناير ١٩٣٦).[١٠٨] وقد أوعز الملك فؤاد إلى نسيم باشا أن يعرض على عبد الرحمن عزام أن يكون وزيراً للحربية لينتزعه من صفوف المعارضة حينذاك إلا أن عزام رفض هذا المنصب وسط دهشة الحاضرين بمنزل نسيم باشا.[١٠٩]

فى ذلك الحين كانت السُحب الدولية قد أخذت تتجمع فى سماء أوربا لتدفع أمامها المسألة الدستورية ومعها المسألة الوطنية دفعاً حثيثاً. فقد تفاقمت المسألة الحبشية وتعقدت الحالة الدولية عندما أخذت إيطاليا توالى إرسال الجنود إلى مستعمراتها الأفريقية. ولم يلبث أن عرض الأمر على عصبة الأمم، وبدأ شبح الحرب فى الأفق. وهنا أخذ الموقف الداخلى فى مصر يتأثر تأثراً شديداً بهذا التهديد الخطير للسلام العالمى، ذلك أن الحرب إذا وقعت، " دارت " كما يقول النحاس باشا – " على حدود مصر وعند منابع النيل. بل ربما كانت مصر ميدانها برها وبحرها وجوها.

ومن ثم إنتقل الموقف إلى ناحية أعظم خطراً، فقد تضاعفت الحاجة لإستئناف الحياة الدستورية الصحيحة، كى يتولى نواب الأمة تسيير أمورها فى ذلك الجو العاصف المضطرب. وأصبح ضرورياً تحديد مركز مصر الدولى تحديداً دقيقاً، حتى إذا جد الجد ووقعت الواقعة كانت مصر على بينة من أمرها ".

وهكذا أخذ الموقف الدولى يلعب دوره فى التأثير على الموقف الداخلى فى مصر، وعلى العلاقات المصرية البريطانية.[١١٠]

تسلمت وزارة نسيم باشا الحكم، وكانت الأوضاع الداخلية غير مستقرة، فالشعب يطالب بعودة الحياة الدستورية السليمة وإلغاء كل ما ترتب على وزارة صدقى ودستور ١٩٣٠.

---

(١٠٨) د. عبد الوهاب بكر: (دراسات فى تاريخ مصر المعاصر..) – مرجع سابق– ص١١٨.

(١٠٩) جميل عارف: مرجع سبق ذكره – ص١٩– وكذلك وحيد الدالى (مرجع سبق ذكره) – ص٣١.

(١١٠) د. عبد العظيم رمضان: مرجع سابق – ص ٧٧٦، ٧٧٧.

وكان على نسيم باشا أن يكسب رضاء الشعب الغاضب، فاستصدر مرسوماً ملكياً في ٣٠ نوفمبر ١٩٣٤ بإبطال العمل بدستور ١٩٣٠ ويحل مجلس الشيوخ والنواب الناتجين عنه.

فاستبشر الشعب خيراً بذلك وإنتظر عودة دستور ١٩٢٣. لكن بقى الأمر معلقاً طيلة ثلاثة عشر شهراً عاشتها البلاد بلا دستور.

وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ تكونت الجبهة الوطنية ووجهت مطلباً للملك بإعادة دستور ١٩٢٣– والى "السير مايلز لامبسون" المندوب السامى البريطانى مطلباً بالدخول في مفاوضات في مصر لعقد المعاهدة ورضخ الملك – وأصدر في نفس اليوم، قراره بإعادة دستور ١٩٢٣. ووافقت بريطانيا في ٢٠ يناير ١٩٣٦ على الدخول في مفاوضات مع مصر– وإستقال "نسيم" في ٢٢ يناير ١٩٣٦ ليفسح الطريق لوزارة تتفاوض مع بريطانياً.(١١١)

وبالفعل دعا القصر النحاس باشا لتشكيل وزارة إئتلافية، إلا أن الوفد رفض هذا المطلب، وقد بنى رفضه على حجتين:

١– إن الإئتلاف يخالف مبادئ الوفد لأنه قد جربه قبل ذلك وفشل.

٢– إن تمثيل الوحدة الوطنية سيتم فى إطار وفد المفاوضات لا فى داخل الحكومة، وذلك بوعد من النحاس أنه إذا أحرز الوفد الأغلبية البرلمانية وفاوض بريطانيا يكون فى وفد المفاوضة أعضاء من الجبهة المتحدة.

وقد جرت محاولات سعى فيها كل من الجانبين إلى محاولة إقناع الجانب الآخر بوجهة نظره. فعلى ماهر باشا رئيس الديوان الملكى آنذاك يحاول إقناع الوفد بضرورة

---

(١١١) د. عبد الوهاب بكر: (دراسات فى تاريخ مصر المعاصر..) – مرجع سابق – ص١٢١، ١٢٥– وقد تكونت الجبهة الوطنية من أحزاب (الوفد– الأحرار الدستوريين– الشعب– الاتحاد– الحزب الوطنى– المستقلين).

الحكومة الإئتلافية على أساس أن أى إتفاق مع بريطانيا لا بد أن ينال موافقة جميع الأحزاب، ويرفض الوفد الفكرة ويصمم على موقفه. يؤدى ذلك بالقصر إلى محاولة إعفاء النحاس من رئاسة الوزارة الإئتلافية التى يرفضها على أن تكون برئاسة شخصية قوية من المحايدين ويشترك فيها الوفد. ويرفض الوفد هذه الفكرة بدورها.

يدعو ذلك الملك إلى التفكير لتأليف وزارة من كافة الأحزاب غير الوفدية ومن الشخصيات القيادية فى هذه الأحزاب ويوافق كل من صدقى ومحمد محمود على هذه الفكرة.

رد الوفد على هذه المناورات بعملية "إستعراض للعضلات الشعبية" فتفجرت مظاهرات من طلبة الجامعة والمدارس وإنعقدت المؤتمرات الشعبية وقدمت العرائض للملك.

وإيقافاً لهذا التصاعد كان لا بد من الإتفاق الذى تم التوصل إليه فى ٣٠ يناير عام ١٩٣٦ بعد أكثر من أسبوع من تقديم نسيم باشا إستقالته وقد تضمن هذا الإتفاق خمس نقاط هى:

١- تكوين وزارة محايدة.

٢- القيام فوراً بإجراء مفاوضات تستهدف عقد المعاهدة.

٣- أن يتشكل وفد المفاوضين فى جانب منه من الوفد وفى جانب آخر من سائر الأحزاب على أن يكون برئاسة النحاس باشا.

٤- أن تجرى الإنتخابات لتشكيل برلمان جديد فى ٢ مايو.

٥- أن يتولى رئيس الديوان " على ماهر " رئاسة الوزارة الجديدة لحياده التام.[١١٢]

---

(١١٢) د. يونان لبيب رزق: مرجع سبق ذكره – ص ٣٧٩، ٣٨١.

وألف على ماهر فى ٣٠ يناير ١٩٣٦ الوزارة. وعقب تأليفها إستصدر من جلالة الملك مرسوماً بتأليف هيئة المفاوضات، من مصطفى النحاس باشا ومحمد محمود باشا،

وإسماعيل صدقى باشا، وحلمى عيسى باشا، وهؤلاء هم رؤساء أحزاب الوفد والأحرار الدستوريين والشعب والاتحاد؛ ومن على الشمسى باشا، وواصف غالى باشا، وحافظ عفيفى باشا من المستقلين عن الأحزاب؛ ومن عثمان محرم باشا والأستاذ مكرم عبيد والدكتور أحمد ماهر، والأستاذ محمود فهمى النقراشى من الوفديين.

بهذا تهيأت الفرصة لبدء المفاوضات فى القاهرة وإستمرارها فى الإسكندرية، كما تهيأت الفرصة لإجراء إنتخابات تتولى الحكم على أثرها وزارة الأغلبية، وحدد يوم ٢ مايو لإجراء هذه الإنتخابات، ويوم ١٠ مايو لإنعقاد البرلمان.[١١٣]

في هذه الأثناء بالتحديد وفي ٢٨ مارس سنة ١٩٣٦ توفى الملك أحمد فؤاد، وكانت هناك شائعة بأن البريطانيين سوف يضعون الأمير محمد علي على العرش لذلك فقد حرص علي باشا ماهر على إعادة وريث العرش الأمير فاروق من إنجلترا حيث كان يدرس بأكاديمية وولوتش العسكرية. والمناداة به ملكاً على مصر برغم أنه كان لا يزال بعيداً عن أرض مصر، ولم يكن يبلغ سن الرشد بعد.[١١٤]

وبرغم ذلك أجريت الإنتخابات فى موعدها وكما كان منتظراً نال الوفد كالعادة أغلبية ساحقة... فقد حصل على (١٦٦) مقعداً بينما حصلت سائر القوى الأخرى من الحزبيين أو المستقلين على (٦٦) مقعداً فقط.[١١٥] ونرى أن عبد الرحمن عزام لم يكن متواجداً أيضاً فى برلمان عام ١٩٣٦. وكان عضو البرلمان عن دائرة العياط هو فؤاد حسنين هميلة.[١١٦]

---

(١١٣) د. محمد حسين هيكل: مرجع سبق ذكره – ص ٣٢٥.

(١١٤) عادل ثابت: "فاروق الأول الملك الذى غدر به الجميع" – الطبعة الثالثة – أخبار اليوم – القاهرة – ١٩٨٩ – ص ٣٠. وكذلك د. محمد حسين هيكل "مذكرات في السياسة المصرية" جـ١ – مرجع سابق، ص ٣٣٥.

(١١٥) د. يونان لبيب رزق، المرجع السابق – ص ٣٨٢.

(١١٦) مجلس النواب: ملحق مضبطة الجلسة الأولى فى ٢٣ مايو ١٩٣٦.

وعليه فقد تأثرت درجة الوعى الإجتماعى والسياسى للنخبة الإجتماعية التى قادت العمل السياسى فى هذه الفترة بظروف نشأتها وتطورها، وإن ذلك كان له أثره على

خيارات الصفوة البرجوازية عند وضع أسس النظام السياسى الذى ضمنته دستور ١٩٢٣، فجاء هذا الدستور تعبيراً عن مصالحها وتجسيداً لها، وليس تجسيداً لمصالح الجماهير التى أشعلت ثورة الشعب فى ١٩١٩، وعبر هذا الدستور عن توازن سياسى لعبت فيه قوى "القصر" "الإنجليز" "كبار مُلاك الأراضى الزراعية" الدور الأكبر. وهكذا فإن النظام السياسى الذى أرسى دعائمه هذا الدستور جاء تعبيراً عن هذا التوازن وتأكيداً لإستمراره.

ورغم ملامح الدستور الليبرالية " فكرة الحريات الفردية – الحقوق والواجبات والحريات العامة – الحرية والمساواة – الأمة مصدر السلطات – الحكم النيابى ". ورغم النص على أن الأمة مصدر السلطات فإن الملك كان يملك حق إصدار المراسيم التى لها قوة القانون، وحق تعيين الوزارات وإقالتها، وحق منح الرتب والنياشين، وتولية وعزل الضباط والسيطرة على الأزهر الشريف ومؤسساته، والأوقاف، والتصديق على القوانين وتعديل الدستور " من خلال نسبة المعينين من الأعضاء فى مجلس الشيوخ ".

ونتيجة للسلطات الكبيرة التى إختص الدستور بها الملك فقد ضعفت التجربة الليبرالية وأصيب الدستور بالضرر، فقد إتخذ الملك من أحزاب الأقلية أدوات يسند بها حكمه الإتوقراطى، وتم تزييف الإنتخابات للقضاء على مبدأ أن "الأمة مصدر السلطات" المنصوص عليه فى الدستور – والذى هو محور الليبرالية – واستغلت أحزاب الأقلية الثغرات التى إحتواها قانون الإنتخاب فى تزوير الإنتخابات وتزييف الإرادة الشعبية عن طريق التلاعب فى إعادة تقسيم الدوائر الإنتخابية بما يضمن فوز مرشحى الحكومة، وجرى تزوير جداول الإنتخابات بمعرفة وزارة الداخلية وفروعها فوضعت جداول ملفقة بها إسماء مكررة، وإسماء أشخاص لا وجود لهم، وإسماء الموتى. وكانت الإنتخابات تجرى وفق هذه الجداول الملفقة التى لا تعبر عن المواطنين وتزور إرادة الشعب... ولم تتورع الحكومات عن التلاعب بأصوات الأميين الذين يدلون بأصواتهم شفاهة، بل وضرب من يعطى صوته لغير أنصار الحكومة، فضلاً عن إستخدام الرشوة فى شراء أصوات الناخبين.

على هذه الصورة جرت الممارسة الإنتخابية فى فترة الليبرالية لتمسخ جوهر النظام الليبرالى الذى يقوم أصلاً على " الإرادة الحرة للناخب فى إختيار من ينوب عنه ويمثله فى

المجلس النيابى ". والنتيجة الطبيعية لذلك هى صعوبة تعبير "نتائج الإنتخابات" عن الإرادة الحرة لجموع الناخبين – كذلك فإن الخلاصة من هذا كله هى أن دستور١٩٢٣ لم يكفل حياة ديمقراطية صحيحة.(١١٧)

وهكذا فإن الحياة النيابية خلال الفترة الليبرالية "١٩٢٣– ١٩٣٦" أصيبت بالإضطرابات وشابها عدم الإستقرار، ويكفى فى ذلك القول بأن الهيئات النيابية الست التى توالت على مصر منذ برلمان ١٩٢٤، لم يكمل برلمان واحد منها سنواته الخمسة المقررة. فبرلمان ١٩٢٤ الذى انعقد فى مارس ١٩٢٤ حُل فى ديسمبر من نفس العام. وعندما أجرى زيوار الإنتخابات عام ١٩٢٥ حل مجلس النواب الجديد فى نفس يوم إنعقاده " ٢٣ مارس ١٩٢٥ ". وانعقد البرلمان الثالث فى يوليو ١٩٢٦ لدورات ثلاث – ثم ما لبث محمد محمود صاحب اليد الحديدية أن أوقف الحياة النيابية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد فى عام ١٩٢٨، لكن وزارته سقطت قبل إنتهاء المدة. وتكفل إنقلاب صدقى بحل برلمان ١٩٣٠ الرابع فى نفس السنة "بل وأطاح بدستور١٩٢٣ وأصدر دستور أكتوبر ١٩٣٠"– وخلال هذا الإنقلاب الدستورى إنتخب برلمان خامس إستمر أربعة دورات تشريعية قطعتها عودة دستور ١٩٢٣ تحت ضغط الحركة الوطنية فى ديسمبر ١٩٣٥، وفى ظل الدستور العائد قام البرلمان السادس "مايو ١٩٣٦" لكنه لم يصمد سوى عامين.

وبالطبع فإن مصر عانت عدم إستقرار السلطة التنفيذية مادامت الحياة النيابية

---

(١١٧) د. عبد الوهاب بكر: (مصر فى النصف الثانى من القرن العشرين) – المطبعة الفنية الحديثة – الزقازيق – الطبعة الأولى – ١٩٩٣ – ص ١١، ١٣، ١٤.

لم تنعم بالإستقرار المنشود. فكان أن تعاقبت الوزارات قصيرة العمر " ١٤ شهراً فى المتوسط ". وكان لهذا آثاره السلبية على الأجهزة الحكومية – إذ حال دون متابعة السياسات التى كانت تعلن عنها هذه الحكومات.

والغريب أن تشكيل هذه البرلمانات كان يتناقض تناقضاً كبيراً من مجلس تشريعي لآخر. فالحزب الذى يحرز الأغلبية فى مجلس نيابى، يحتل مقاعد الأقلية فى المجلس الذى يليه، وأصحاب الأقلية فى مجلس ما يتحولون إلى أغلبية ساحقة فى مجلس تال وهكذا.

وليس فى هذا التناقض أى غرابة لو أن هذا كان إفرازاً حقيقياً " لتغير موازين القوى على الساحة السياسية " أو " تعبيراً عن إنحسار الشعبية فى حزب معين لصالح حزب آخر ": لكن هذا التناقض تعبيراً عن عملية " طبخ " الإنتخابات، وتزييف الإرادة، وتعطيل الحرية.

كانت الديمقراطية الليبرالية فى مصر، فى ذلك الوقت ديموقراطية وهمية– تسيد فيها القصر الملكى الحكم بمساندة نخبة محدودة من الشرائح العليا للبرجوازية المصرية إستخدمها كأدوات للحكم الذى كان فى يده فى حقيقة الأمر، وهذه النخبة كانت تربطها بالقصر روابط التحالف والمصالح المشتركة.

كان النظام السياسى الذى أقامه دستور ١٩٢٣ نظاماً أوتوقراطياً إستبدادياً يتظاهر بالليبرالية وهو برئ منها. فالحريات العامة وأن الأمة مصدر السلطات كانت هراء. فالحريات العامة والشخصية تم تكبيلها بالأحكام العرفية وقوانين الطوارئ والمعارضة السياسية ضربت، والصحافة كممت، والجماهير حرمت من التعبير عن مصالحها بتقييد حريتها وتزييف إرادتها.

أما الأحزاب السياسية الليبرالية فقد كيفت نفسها وفقاً لهذه الأوضاع فأصبح الوصول إلى السلطة هو هدفها لتحقيق الإستقلال الوطنى بوسيلة هى "المفاوضات"، لكن الهدف أصبح فى النهاية هو الغاية وتراجعت المفاوضات أو قضية الإستقلال الوطنى

للخلف. وكانت مظاهر ذلك هو ما حفلت به صحف الأحزاب من مهاترات، وإرتماء هذه الأحزاب فى أحضان القصر تلعق حذاءه تارة وتبارك إستبداده تارة أخرى... كل هذا من أجل الوصول إلى السلطة.

فى ظل هذا النظام السياسى سيطرت الشريحة العليا من البرجوازية المصرية على المجلس النيابى والسلطة التنفيذية، وعملوا من خلال هاتين المؤسستين على رعاية مصالحهم الطبقية وحدها – ومنعوا أى إتجاه نحو الإصلاح وقاوموا دعوات بعيدة النظر من المثقفين من نفس شريحتهم الإجتماعية للإصلاح.[١١٨]

عبد الرحمن عزام والسلك الدبلوماسى:

تشكلت وزارة على ماهر الأولى فى ٣٠ يناير ١٩٣٦ واستمرت حتى ٩ مايو ١٩٣٦ وفيها تولى على ماهر رئاسة الوزارة والداخلية والخارجية[١١٩]، وتم اختيار عبد الرحمن عزام فى ٢ أبريل وزيراً مفوضاً لمصر فى إيران.[١٢٠]

وفى أواخر أبريل ١٩٣٦ انتهى عهد وزارة على ماهر المحايدة، بحدثين كبيرين:

أولهما: ما سبق ذكره مما كان من صنع الوزارة وخطتها بإجراء الانتخابات التى نال فيها الوفد الأغلبية الساحقة.

ثانيهما: غياب الملك فؤاد عن ميدان السياسة المصرية، حيث توفى فى ٢٨ أبريل ١٩٣٦ فقد ظل شخصية رئيسية ظلت تلعب أدوار البطولة خلال أغلب السنوات السابقة منذ تولى العرش قبل ذلك بنحو عقدين من الزمان.

---

(١١٨) حسين أحمد العطار: (البوليس المصرى ١٩٥٢ – ١٩٧١) – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب – جامعة الزقازيق – ١٩٩٦ – من ص ٢٩: ٣٣.

(١١٩) د. يونان لبيب رزق: مرجع سابق – ص ٣٨١.

(١٢٠) دار المحفوظات العمومية: ملف خدمة عبد الرحمن عزام.

وعقد البرلمان الوفدى أولى جلساته لفتح وصية الملك الراحل، وقد وجد أن تاريخها يعود لأربع عشر سنة سابقة، (٢١ يونيه ١٩٢٢)، وقد تضمنت ثلاثة أوصياء مات أحدهم مما دعا حزب الأغلبية أن ينتهز الفرصة متعللاً بقدم الوصية وعدم إمكان تطبيقها ليختار أوصياء جدد.

... ومع كل هذه التغيرات تشكلت الوزارة النحاسية الثالثة فى ٩ مايو ١٩٣٦،[١٢١] وأثناء تولى هذه الوزارة تم اختيار عبد الرحمن عزام فى ٨ أغسطس ١٩٣٦ وزيراً مفوضاً لمصر عند جلالة الملك غازى الأول بالبلاط الملكى فى بغداد إضافة إلى منصبه السابق.[١٢٢] ثم اختير فى ٨ نوفمبر عام ١٩٣٦ وزيراً مفوضاً لمصر فى الحجاز، كما عين وزيراً مفوضاً لمصر بأفغانستان فى ٤ مارس ١٩٣٧، إضافة إلى المناصب السابقة كما حاز فى ذلك الوقت على رتبة البكوية الأولى.[١٢٣]

فى ٢٩ يوليه عام ١٩٣٧ باشر الملك فاروق سلطاته الدستورية، وبدأ فى البلاد عهد جديد واستبشرت قطاعات عريضة من الشعب المصرى خيراً بتولية الملك الشاب صاحب الوجه الصبوح، وزاد من شعبية الملك فاروق الخطة الناجحة التى استخدمها بعض رجال القصر فى أوائل عهده (على ماهر ثم أحمد حسنين)، فى إبرازه بصورة الملك المصلح الذى يناضل ضد اوتوقراطية حزب الأغلبية.

على جانب آخر كان على النحاس باشا أن يقدم استقالة وزارته الثالثة للملك الجديد ليترك له حرية اختيار الوزارة الجديدة تبعاً لما تقضيه الإجراءات الدستورية.

المهم.. ورغم الصراعات التى كانت بين القصر وحزب الوفد فى ذلك الوقت، الا أن مصطفى النحاس باشا قام بتشكيل وزارته الرابعة (أول أغسطس ١٩٣٧- ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧)، وأثناء هذه الوزارة وفى ٢٠ أكتوبر صدر "أمر ملكى" بتعيين "على

---

(١٢١) د. يونان لبيب رزق: نفسه – ص ٣٨٢.

(١٢٢) جريدة الأهرام: العدد ١٨٥٥١ – فى ٩ أغسطس ١٩٣٦- ص١.

(١٢٣) دار المحفوظات العمومية: ملف خدمة عبد الرحمن عزام.

ماهر" فى منصب رئيس الديوان الملكى.[١٢٤]

وفى هذه الأثناء كان عزام – كما سبق وأوضحنا– وزيراً مفوضاً لمصر فى إيران والعراق والحجاز وأفغانستان، فطلب منه على ماهر باشا أن يرسل إلى الملك فاروق رسائل منتظمة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى هذه البلاد، لتكون مرجعاً لتثقيف الملك الشاب الذى عاد من لندن حديثاً بعد وفاة والده الملك فؤاد ليتولى الملك، ولم يكن قد أتم دراسته فى أكاديمية وولوتش العسكرية البريطانية، ولقد استجاب عزام لهذا الطلب، وظل يراسل الملك فاروق أسبوعياً تقريباً فيرسل له التقارير الطويلة عن أحوال هذه الدول وحياة الناس فيها والفوائد التى تعود عليها وعلى مصر من تقوية الصلات والروابط المختلفة فيما يعنيها، وكثيراً ما كان يكتب إليه عن ضرورة إيجاد روابط رسمية أخرى غير التمثيل الدبلوماسى المقام بينها وبين مصر، وكان عزام يكتب للملك فى شتى الموضوعات، حتى أنه كان يبعث إليه أحياناً ببعض الطرائف، وكان الملك فاروق فى هذا الوقت ملكاً شاباً يتمتع بعطف جميع المصريين بالنسبة لصغر سنه عندما تولى ملك مصر.[١٢٥]

فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ تم تشكيل وزارة محمد محمود الثانية (٣٠ ديسمبر ١٩٣٧– ٢٧ أبريل ١٩٣٨) وكان على الوزارة بعد تشكيلها أن تؤدى دوراً محدداً بإقامة نظام وزارى مستقر.

وفى ٥ يناير ١٩٣٨ تم اختيار عبد الرحمن عزام قنصلاً عاماً فى كابول بالإضافة إلى مناصبه السابقة، ثم فى ٢١ يونيه وأثناء وزارة محمد محمود الثالثة (٢٧أبريل ١٩٣٨– ٢٤ يونيه ١٩٣٨) تم تعيينه وزيراً مفوضاً لمصر بتركيا وبلغاريا، وظل يعمل وزيراً مفوضاً لمصر بهذه البلاد فى وقت واحد حتى عُين وزيراً للأوقاف العمومية فى وزارة على ماهر الثانية (١٨ أغسطس ١٩٣٩– ٢٧ يونيه ١٩٤٠).[١٢٦]

---

(١٢٤) د. يونان لبيب رزق: مرجع سابق – ص٣٩٢.

(١٢٥) وحيد الدالى: مرجع سابق – ص ١٠١.

(١٢٦) دار المحفوظات العمومية: ملف خدمة عبد الرحمن عزام.

عزام والتقريب بين المذاهب الإسلامية:

فى سنة ١٩٣٧- وأثناء وجود عبد الرحمن عزام وزيراً مفوضاً لمصر فى إيران، اقترحت إحدى زوجات الوزراء المفوضين الأجانب أن يتزوج صاحب الجلالة الملك فاروق من الأميرة شمس الملوك ابنة الشاه، ولكن عبد الرحمن عزام بك لم يفاتح الحكومة المصرية بالفكرة التى لقيت ترحيباً فى طهران، لأن الأخبار وصلت بخطوية صاحب الجلالة فاروق للملكة فريدة.(١٢٧)

يقول عزام: " كنت وزيراً مفوضاً لمصر فى إيران... وفى إحدى الليالى كنت بمنزلى وأتصل بى الإمبراطور رضا بهلوى إمبراطور إيران (والد الشاه محمد رضا بهلوى). وطلب منى الحضور فوراً إلى القصر الإمبراطورى. وذهبت إلى القصر، ودخلت غرفة الصالون، فوجدت الإمبراطور واقفاً وفى يده عدد من مجلة " لايف " الأمريكية. ودعانى إلى الجلوس وبعد تبادل التحية المألوفة.. فتح إحدى صفحات المجلة، وكان فيها تحقيق مصور عن العائلة الملكية المصرية: الملك فاروق والأميرة فوزية والأميرة فايزة.. الخ.

وقال الإمبراطور: إن الأميرة فوزية كبرى بنات الملك فؤاد جميلة جداً. وأريد خطبتها لولى العهد، فأرجو أن تكتب للقاهرة فى هذا الموضوع، وتخبرنى بما سيستقر عليه الرأى.

فأجبته بأنه يسعدنى أن أقوم بهذه المهمة ونسأل الله التوفيق ".(١٢٨)

وانتهى الرأى إلى أن يخطب الشاهنشاه رضا بهلوى – ولى عهد إيران- الأميرة فوزية، وأرسل عزام بك خطاباً خاصاً بهذا إلى واصف بطرس غالى باشا وزير الخارجية فى ذلك الحين، ولم تبت الوزارة النحاسية فى هذه المسألة ورفعتها إلى جلالة

---

(١٢٧) آخر ساعة المصورة: العدد ٢٦١ – ٢ يوليه ١٩٣٩ – ص ٣٠.

(١٢٨) وحيد الدالى: المرجع السابق – ص ٣٩، ٤٠.

الملك وتأجلت إلى أن تولى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئاسة الديوان الملكى فعمل على تنفيذها.(١٢٩)

كان عزام بك وقتئذ يعلم الكثير عن الخلافات بين السنة والشيعة مما جعله يفكر فى التقريب بين هذه المذاهب الإسلامية، فكتب إلى الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر، بأن يجب العمل على التقريب بين المذاهب الإسلامية، وهذا أحد واجبات الأزهر الشريف أكبر جامعة إسلامية فى العالم، كما تحدث فى نفس الوقت مع الشيخ محمد تقى الدين القمى رئيس طائفة الشيعة بإيران... فأبدى الشيخ القمى استحسان لهذه الفكرة، وعمل عزام على سفر الشيخ القمى إلى القاهرة للاجتماع بالإمام الأكبر الشيخ المراغى وكبار علماء الأزهر الشريف، للسير فى خطوات تعيد فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وكان المقصود من تنفيذ هذه الفكرة هو جمع شمل المسلمين ونبذ الخلافات بينهم، وازدياد تعاونهم على ما فيه خير الإسلام والمسلمين.(١٣٠)

بذل عبد الرحمن عزام بك جهوداً جبارة لنجاح الفكرة بينما كان يتظاهر أمام حكومة إيران بأن الأميرة فوزية مخطوبة حتى إذا رفضت المقامات المصرية الخطوبة لم يؤد الرفض إلى سوء العلاقات بين البلدين.

واعتقد شاه إيران أن عزام بك يعمل ضد الفكرة فأرسل وزيراً مفوضاً جديداً إلى مصر يبحث المسألة.(١٣١)

وفى فبراير ١٩٣٩ جاء الوزير المفوض إلى مصر لجس النبض عما إذا كان ابن الشاهنشاه رضا بهلوى ممكن أن يقبل كطالب للزواج من شقيقة الملك فاروق الكبرى، الأميرة فوزية. وقدم الطلب كما ينبغى إلى فاروق، الذى كان رده المتميز: "انهم من المسلمين الشيعة".

---

(١٢٩) آخر ساعة المصورة: العدد السابق– ص٣٠.

(١٣٠) وحيد الدالى: مرجع سبق ذكره – ص ٣٦.

(١٣١) آخر ساعة المصورة: عدد سبق ذكره – ص ٣٠.

وعندما أبلغه مستشاروه أن ذلك ليس عقبة خطيرة للزواج، قال الملك: "إن إيران بعيدة جداً... فهل ستكون فوزية سعيدة هناك؟ ".

كان المطلوب بوضوح أن جلالته غير متحمس للفكرة، ولكنه أعطى رده أخيراً قائلاً: "الأمر متروك لفوزية لتقر بنفسها، وسوف أوافق على قرارها".

كانت فوزية فى تلك الأيام سجينة فعلاً فى عوامة أمها على النيل، نادراً ما تخرج، وعندما تفعل ذلك كانت تحيط بها الوصيفات والخدم. فى وقت كانت الفتيات الصغيرات الأخريات يتمتعن بحرية نسبية، كانت فوزية بحكم مركزها تعيش فى حصار، ولابد أن الزواج قد بدا أشبه بهروب سعيد، ومغامرة مثيرة مع ولى عهد إيران، وهو شاب أكبر منها قليلاً، ولم تكن تدرى أن هذه الخطبة قد فرضت عليه من أبيه، وهكذا كان ردها "نعم" على طلب الزواج.(١٣٢)

وفعلاً تمت الخطوبة، والإيرانيون واثقون أن عزام بك كان ضدها، ولكن على ماهر باشا أرسل خطاباً إلى وكيل الخارجية قال فيه "إن الفضل الأول فى إتمام هذه الخطوبة يعود إلى عزام بك".

ولما حضر ولى عهد إيران إلى مصر أنعم الشاه على عدد كبير من موظفى الحكومة المصرية الذين اشتركوا فى حفلات الاستقبال، ولم ينعم بنيشان على عبد الرحمن عزام بك صاحب الفضل الأول فى الخطوبة... وتنبه ولاة الأمور فى مصر إلى أن المقامات الإيرانية مازالت تعتقد أن عزام بك كان حجر عثرة فى طريق المصاهرة الملكية.

وأبلغ الملك فاروق، الأمير شاهبور حقيقة مواقف عزام بك فقابله فى قصر الزعفران وقال له: " كان يجب أن أشكرك قبل الآن... أما وقد عرفت حقيقة موقفك فإننى أقول لك إننى لا أنسى هذا الفضل مدى الحياة...".(١٣٣)

---

(١٣٢) عادل ثابت: مرجع سابق – ص١٢٦.

(١٣٣) آخر ساعة المصورة: عدد سبق ذكره – ص ٣٠.

وزارة على ماهر الثانية ١٨ أغسطس ١٩٣٩– ٢٧يونيه ١٩٤٠:

لم يستطع "محمد محمود" أن يصمد أمام محاولات إسقاطه، فاضطر فى ٦ يوليه ١٩٣٩ إلى تقديم استقالته، ولكن الملك رفض قبولها وطلب أن يتحمل زملاء الرجل بعض أعباءه مما اضطره إلى سحب الاستقالة، ولكن تقدم بها مرة أخرى فى ١٨ أغسطس ١٩٣٩.

وسقط" محمد محمد باشا" نتيجة للصراع على السلطة – وفاز فى هذا الصراع أحد السياسيين من خارج الوزارة وهو "على ماهر باشا" رئيس الديوان الملكى.[(١٣٤)]

وفى ١٨ أغسطس ١٩٣٩ صدر أمر ملكى رقم ٣٥ لسنة ١٩٣٩ إلى على ماهر باشا بتأليف الوزارة خلفاً لمحمد محمود باشا[(١٣٥)]، وبالفعل بدأت المشاورات لتأليف الوزارة الجديدة ويتصل على ماهر بكل من الدستوريين والسعديين ويطلب هؤلاء أن يكون تمثيلهم فى الوزارة طبقاً لتمثيلهم فى مجلس النواب (٩٩ للدستوريين، ٨٤ للسعديين من ٢٦٣). ولكن على ماهر يوضح منذ البداية أنه لن يكون لأى منهم أكثر من أربعة مقاعد فى الوزارة الجديدة وأنه يرغب فى أن يكون لرجاله الأغلبية فى الوزارة حتى لو اضطر إلى زيادة عدد الوزارات ثم أضاف أن الوزارات ذات الأهمية ستكون من نصيب هؤلاء الرجال.

... وتشكلت الوزارة أساساً من المستقلين (٩ من ١٤ وزير) أما الحزبيون فيها وكانوا من الحزب السعدى فقد شكلوا أقل من النصف[(١٣٦)]. أما عن هيئة الوزارة الجديدة فقد زادت وزارة هى وزارة – الشئون الاجتماعية– لأنه كان من "أهم أغراض الوزارة أن تخص الشئون الاجتماعية فى البلاد بأقصى ما يُستطاع من العناية، فقد

---

(١٣٤) د. عبد الوهاب بكر: صفحات من تاريخ مصر... – مرجع سابق – ص١٤٤، ١٤٥.

(١٣٥) الوقائع المصرية: العدد ٨٢ "غير اعتيادى" (السنة العاشرة بعد المائة) ٣ رجب ١٣٥٨/ ١٨ أغسطس ١٩٣٩– ص ١.

(١٣٦) د. يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات المصرية... – ص ٤١٩.

اعتزمت إنشاء وزارة تقوم على هذا الفرع الإصلاحى من شئون الأمة".[١٣٧]

وتذكر بعض المراجع أن هذه الوزارة الجديدة قد أسندت إلى عبد الرحمن عزام منذ إنشائها[١٣٨]، إلا أن أول من تولى هذه الوزارة هو عبد السلام الشاذلى باشا[١٣٩]، تبعه بعد ذلك فى ٢٠ ديسمبر ١٩٣٩ تعديل فى الوزارة حيث تولى عزام بك وزارة الشئون الاجتماعية[١٤٠]. ويلاحظ أن على ماهر قد عين من بين وزرائه محمد صالح حرب باشا[١٤١] وزيراً للدفاع الوطنى وهى الوزارة ذات الأهمية الاستراتيجية، وعبد الرحمن عزام بك وزيراً للأوقاف واللواء عزيز على المصرى رئيساً لأركان القوات المسلحة. وهم من الوزراء المعروفين بعدائهم الشديد للإنجليز، وميولهم للألمان.[١٤٢]

وفى ١٩ أغسطس ١٩٣٩ صدر أمر ملكى رقم ٣٦ لسنة ١٩٣٩ بتوكيل عبد الرحمن عزام بك وزير الأوقاف فى إدارة الأوقاف، كما صدر الأمر الملكى رقم ٣٨ لسنة ١٩٣٩ بتوكيل عزام بك فى إعطاء الإذن بالخطبة فى الجوامع.[١٤٣]

وبناءً على المرسوم الملكى الصادر فى ٩ من ذى القعدة ١٣٥٨ (٢٠ ديسمبر ١٩٣٩) الخاص بتعديل الوزارة تم نقل عبد الرحمن عزام وزيراً للشئون الاجتماعية ثم أُسند إليه منصب رئيس القوات المرابطة.[١٤٤]

---

(١٣٧) الوقائع المصرية: العدد السابق – ص٢ – وقد صدر مرسوم بإنشاء هذه الوزارة فى ٢٠ أغسطس ١٩٣٩ – العدد ٨٤.

(١٣٨) د. محمد حسين هيكل:مذكرات فى السياسة المصرية– الجزء الثانى– دار المعارف– ص١٤٢.

(١٣٩) الوقائع المصرية: العدد السابق – ص٢.

(١٤٠) دار المحفوظات العمومية (ملف خدمة عبد الرحمن عزام).

(١٤١) وصالح حرب كان ضابطاً في مصلحة خفر السواحل، وأنضم إلى المجاهدين الطرابلسيين أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم إشترك مع الجيش العثمانى في كثير من المعارك، وبعد سنوات عاد لمصر وأُنتخب عضواً في مجلس النواب عام ١٩٢٦، وعينه النحاس باشا بعد ذلك وكيلاً لمصلحة السجون، ثم مديراً عاماً لمصلحة خفر السواحل ثم وزيراً للدفاع في وزارة على ماهر ١٩٣٩ (لمزيد من التفاصيل أنظر جريدة الأهرام العدد ١٩٧٣٣ فى ١٩٣٩/٨/١٩ ص١).

(١٤٢) ريتشارد ميتشل: " الإخوان المسلمون " – ترجمة عبد السلام رضوان، منى أنيس – مكتبة مدبولى – الطبعة الثانية – القاهرة – ١٩٨٥ – ص٤٢.

(١٤٣) الوقائع المصرية: العدد ٨٤ فى ٢٤ أغسطس ١٩٣٩– ص٢.

(١٤٤) دار المحفوظات العمومية: ملف خدمة عبد الرحمن عزام.

أشتم البريطانيون من هذا الوضع مخاطر قد يتعرض لها وجودهم في الجيش المصري. " فصالح حرب " باعتباره واحداً من الضباط المصريين الذى تركوا الخدمة في مصلحة خفر السواحل خلال الحرب العالمية الأولى، وانضموا إلى "السنوسى"، و"عزيز المصرى" الذى أدى خدمته العسكرية كلها مع الجيش العثمانى، والألمانى النزعة يشكلان خطراً على البعثة العسكرية في الجيش المصرى بصفة خاصة وعلى الوجود البريطانى بصفة عامة، لما يحملان من أفكار وطنية يبثانها في شبان الجيش المصرى.

وقد أبدى البريطانيون مخاوفهم من "عزيز المصرى" إلى "على ماهر" خلال أغسطس سنة ١٩٣٩، وبعد أيام من توليه الوزارة، ووعدهم على ماهر بإبعاده إذا وجد أنه غير لائق لمنصب رئيس أركان الحرب.

غير أن وجود "عبد الرحمن عزام" وزيراً للأوقاف في هذه الوزارة إلى جانب صالح حرب وعزيز المصرى أشعر البريطانيين بأن هذه الحكومة غير صحية بالنسبة لهم وأن إستمرارها قد يضعف نفوذهم في مصر.

فعلى الجانب السياسى كان "على ماهر" يتحدث علناً عن خلافاته مع السفارة البريطانية، وكيف أنه يقف ضد طلبات السلطات البريطانية الغير عادلة وجهودهم لإقامة ظروف مشابهة لظروف الحماية.

وعلى الجانب العسكرى كان "عزيز المصرى"، "عبد الرحمن عزام"، "صالح حرب" يديرون الآلة الحربية المصرية بطريقة تهدف من وجهة النظر البريطانية إلى تحطيم نفوذ البعثة العسكرية البريطانية.

وقد سمى البريطانيون هؤلاء الثلاثة بالثلاثى الحربى، وأدعوا أنهم بدعم من "على ماهر" ينسفون جهود البعثة العسكرية البريطانية في تنظيم الجيش المصرى الجديد – ويتفاخرون بالتنظيم الحربى والقوة الألمانية ويحثون ضباط الجيش المصرى على إعتناق هذه الأفكار.[١٤٥]

(١٤٥) د. عبد الوهاب بكر: الوجود البريطانى فى الجيش المصرى من ١٩٣٦ إلى ١٩٤٧– دار المعارف– الطبعة الأولى– ١٩٨٢– ص ١٣.

تُعد هذه الوزارة نسيج فريد بين الوزارات التى توالت على الحكم فى مصر، فقد تولت أمور البلاد فى أحرج الأوقات عند بدء قيام الحرب العالمية الثانية، وكان أعضاء هذه الوزارة نوعين من الوزارة فبعضهم كانوا وزراء متخصصين، وبعضهم الآخر كانوا من ذوى التاريخ الوطنى الإسلامى الحافل، ومن هذا البعض الأخير كان صالح حرب وزيراً للحربية وكان عبد الرحمن عزام وزيراً للأوقاف ثم الشئون الاجتماعية.

وكانت هذه الوزارة وزارة كفاءات لا وزارة الحشد المألوف من ذوى الألقاب... ولذا فإنها كانت أول وزارة منطلقة غير محدودة الأبعاد إلا بما توصية إليها المصلحة العامة، وقد ساعد هذه الوزارة أيضاً على الانطلاق أنها كانت مؤيدة من الملك الذى كان إذ ذاك فى مقتبل أيامه، فكانت رغباته متوائمة مع رغبات الشعب، وكان لا يزال يرى فى على ماهر شخصية المعلم الناصح القدير، وكان البرلمان متوائماً مع الملك فكان مؤيداً للوزارة.

كانت الوزارة واقعية سعت إلى تحدى الإنجليز منذ أول يوم؛ ففى أول اجتماع لها اعترفت بروسيا وخفضت مرتبات الموظفين ١٠% وأحالت بعض كبار الموظفين المعروفين بميلهم إلى الإنجليز إلى المعاش وكان منهم أمين عثمان.[١٤٦]

وفى سبتمبر ١٩٣٩ نشبت الحرب العالمية الثانية- وطلبت بريطانيا عن طريق سفيرها مستر مايلز لامبسون أن تُعلن مصر الحرب أيضاً على ألمانيا، بناء على معاهدة الصداقة المصرية البريطانية.[١٤٧]

وفى شهادة على ماهر فى قضية اغتيال أمين عثمان روى على ماهر رواية قال فيها:

---

(١٤٦) محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون (أحداث صنعت التاريخ)- الجزء الأول ١٩٢٨- ١٩٤٨- رؤية من الداخل - دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - ص ٣١١، ٣١٣.

(١٤٧) وحيد الدالى: مرجع سابق- ص٤٠.

بدأ الخلاف مع الإنجليز بمجرد إعلان ألمانيا الحرب.. ثم رأينا لمصلحة مصر ألا ندخل الحرب.. واكتفينا بقطع العلاقات السياسية... والمسألة مسألة ظروف دخول الحرب، وعدم الدخول فيما يتعلق بالاستعداد خصوصاً وأنه سأل السفير البريطانى: ما هو موقف مصر فى نهاية الحرب، وهل تستكمل استقلالها؟

فقال: لا يمكننا أن نعد بشئ وكفانا وعد بلفور فى قضية فلسطين.. فى أثناء الحرب العالمية الأولى.

وأشار على ماهر إلى الانقسام داخل مجلس الوزارة فقال: إن اللورد هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت صرح أن بعض وزراء مصر يريدون إعلان الحرب. وفى مؤتمر فلسطين من نفس العام قال لى لورد هاليفاكس:

- بحق الصداقة تتخلى عن الحكم دون أن تثير متاعب، لأن بعض الوزراء يميلون إلى دخول الحرب.

وروى على ماهر ما حدث بينه وبين السفير البريطانى، ومداولات مجلس الوزراء فى تلك الأيام.. فقال: كان رأيى أن إعلان الحرب على ألمانيا مسألة يبحثها مجلس الوزراء أولاً قبل أن أبدى رأيى فيها. وعندما عرضت الأمر على المجلس تبين أن هناك ثلاثة آراء:

١- تيار ضد الحرب.

٢- تيار مع إعلان الحرب.

٣- وتيار متردد لم يتخذ بعد رأياً.

ورأيت أن أكسب إلى جانبى الفريق المتردد.. وكان هذا الفريق يسأل:

- هل سنكسب من إنجلترا إذا دخلنا معها الحرب.

ودعوت السير مايلز لامبسون وسألته:

- هل أنتم على استعداد لإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وإنشاء علاقة جديدة مع مصر؟

قال السفير:

- أية علاقة جديدة تعنى ؟

قلت:

- علاقة الدول غير المقيدة بأى قيد.

دهش السفير وقال:

- سأرجع إلى حكومتى.

وبعد يومين عاد السفير بالرد من لندن وهو أنها لا تستطيع أن تعد بشئ مقابل دخول مصر الحرب.

وجمعت المترددين وأخبرتهم بما دار بينى وبين السفير فإذا بهم ينضمون إلى فريق المعارضة فى دخول الحرب.

ويقال أن الوزيرين صالح حرب ومصطفى الشوربجى كانا يتزعمان فكرة الامتناع عن دخول الحرب.

كما يقال أن عبد الرحمن عزام كان يرى التفاهم للحصول على مكاسب من الإنجليز! أما الوزيران اللذان كانا يريان أن الاشتراك فى الحرب ضرورة فهما محمود فهمى النقراشى باشا- عن الحزب السعدى - والمهندس حسين سرى.[١٤٨]

---

(١٤٨) محسن محمد: التاريخ السرى لمصر -دار المعارف - القاهرة- بدون تاريخ- ص ١٠٤، ١٠٥

وهناك رواية أخرى مختلفة تماماً عن مداولات مجلس الوزراء ذكرها عبد الرحمن عزام، وقد نشرت فى عام ١٩٧٣.

قال عزام باشا:

" يوم وصوله من لندن قام السفير البريطانى بالسفر إلى الإسكندرية- أى أول سبتمبر ١٩٣٩- فإن الوزارة كانت لا تزال فى الإسكندرية بمناسبة الصيف.

وقال السفير لعلى ماهر:

- إن الحكومة البريطانية يهمها أن تبادر مصر بإعلان الحرب رسمياً على ألمانيا بمجرد أن تعلنها الحكومة البريطانية تنفيذاً لبنود المعاهدة الإنجليزية المصرية.

ولم يكن طلب السفير مفاجأة لرئيس الوزراء، فقد سبق له أن تلقى تبليغاً شبيهاً من باتمان القائم بأعمال السفير قبل عودة لامبسون من لندن.

وكان السفير يحمل طلبين:

الأول: أنه مما يسعد الحكومة البريطانية – بصفة خاصة- أن تعلن مصر أنها فى حالة حرب مع ألمانيا.

والثانى: أن تقوم السلطات المصرية باعتقال الرعايا الألمان واحتجازهم فى معسكر للاعتقال باعتبارهم أسرى حرب.

وتقرر عقد جلسة طارئة لمجلس الوزراء لمناقشة هذا الموضوع الخطير.

ويعث على ماهر إلى عبد الحميد بدوى فقيه مصر الدولى ورئيس قضايا الحكومة فى ذلك الوقت – يطلب الفتوى فى تفسر بنود المعاهدة.

وجاء عبد الحميد بدوى إلى مجلس الوزراء يقول، إن بنود المعاهدة تلزمنا بدخول الحرب إلى جانب الإنجليز – وكانت جلسة مجلس الوزراء عاصفة استغرقت ٤ ساعات.

رأى الوزراء السعديون أن تعلن مصر الحرب فوراً حتى يتسنى لها أن تصبح قوة عسكرية، وأن يكون لها جيش وطنى.. لتفرض إرادتها على الإنجليز وعلى مجتمع الصلح بعد الحرب.

وكانت وزارة على ماهر مؤلفة من السعديين والمستقلين، أما الأحرار الدستوريين فلم يشتركوا فيها.

أيد صالح حرب وزير الدفاع اتجاه إعلان الحرب، لأن مصر لم تشترك فى أية حروب منذ سنوات طويلة، واشتراكها فى الحرب إلى جانب الإنجليز يمكن أن يثير روح التربية العسكرية بين الشباب، فضلاً عما سيعود على مصر من فائدة عندما يصبح لها جيش وطنى قوى.

ويدأ عزام يعارض إعلان الحرب، لأن المعاهدة لا تلزمنا إلا فى حالة وقوع اعتداء على بريطانيا، وهذه الحرب ستدوم خمس أو ست سنوات، وبريطانيا تريد أن تقاتل بآخر جندى مصرى حتى يتم لها الاستعداد للحرب التى أخذتها على غرة.

وحاول بعض الوزراء أن يعارض هذا الرأى.. فقال عزام باشا:

- لو كان هناك مقابل لاتخاذ مثل هذا القرار الخطير كوعد بالجلاء، أو تعويض عن كل ما يحتمل أن يحيق ببلادنا من خسائر – بعد الحرب – لكان هناك مبرر.. أما وأن بريطانيا تريد منا اتخاذ هذه الخطوة بلا مقابل فهذا ما لا أوافق عليه.

ولم يتكلم على ماهر أو يشارك فى المناقشة وهو يتابع محاولات عزام لإقناع الوزارة بوجهة نظره وفجأة.. قرر على ماهر أن يحسم الموقف بالتصويت على القرار.

وامتنع على ماهر عن التصويت مفضلاً عدم إبداء رأيه. وتتابع الوزراء يدلون بأصواتهم.[١٤٩]

---

(١٤٩) جميل عارف: مرجع سابق – ص ٢٥٣، ٢٥٤.

يقول عزام " كانوا ١٤ وزيراً.. وقد وافقوا جميعاً على إعلان الحرب إلى جانب بريطانيا، وكنت وحدى الذى عارض القرار، أما على ماهر فقد امتنع عن التصويت مفضلاً عدم الإبداء برأيه. ولم أتمالك نفسى وبادرت بسحب ورقة صغيرة، ثم كتبت عليها استقالتى من الوزارة، كانت مختصرة للغاية وكل ما أذكره هو أننى قلت فيها لرئيس الوزراء: اعتقد أن مهمتى قد انتهت.. ولذلك أرجو إعفائى من عملى كوزير فى الوزارة، ولم انتظر وبادرت بتقديم الاستقالة إلى على ماهر ثم انصرفت، ولقد أثار موقفى ارتباكاً فى مجلس الوزراء، وقد بادر على ماهر بفض الاجتماع، ثم قام من مكانه ليلحق بى، وكانت مناقشة حامية بينى وبينه، قلت له أثناءها.. أننى لا أستطيع كوزير فى الحكومة أن أشارك فى مسئولية اتخاذ مثل هذا القرار أمام الله والتاريخ، وقال لى على ماهر أنه قرر عدم إذاعة قرار مجلس الوزراء.. كما تقرر عدم إبلاغه للإنجليز ".

" وبدا لى فى تلك الأثناء أن على ماهر اقتنع بوجهة نظرى فطلب إلىَّ أن أقوم بمحاوله لإقناع المسئولين فى السفارة البريطانية حتى يكفوا عن التمسك بطلب اشتراك مصر فى الحرب ".

" وعرف السفير البريطانى بما حدث فى اجتماع مجلس الوزراء من كامل سليم سكرتير عام المجلس وعندما اتصل على ماهر يقترح مقابلتى والاستماع إلى وجهة نظرى لم يرحب كثيراً وأوعز بأن يكون اتصالى مع مستر باتمان- الرجل الثانى فى السفارة- وعقدت عدة اجتماعات كما اجتمعت مع أكثر من واحد من القواد العسكريين الإنجليز فى القاهرة وكانت تربطنى ببعضهم صداقات قوية ومن هؤلاء الجنرال ويلسون ".

" وأثناء مباحثاتى مع مستر باتمان قلت له أن بريطانيا تريد منا أن نضحى وأن نعلن الحرب ضد ألمانيا دون مقابل وسألنى الرجل عما يمكن أن تقدمه بريطانيا إلى مصر مقابل موافقتها على الاشتراك فى الحرب قلت: إعلان استعداد بريطانيا للجلاء الكامل عن الأراضى المصرية بمجرد انتهاء الحرب وأن تدفع بريطانيا جميع تكاليف هذه الحرب حتى لا تخرج منها مصر مدينة.. وأن تعلن بريطانيا استعدادها للموافقة على مطالب مصر فى السودان وموافقتها على أمانى الشعب المصرى فى الوحدة العربية ".

" واستغرقت هذه الاتصالات عدة أيام وبعثت السفارة البريطانية أكثر من مذكرة شفوية تتضمن آرائى والمطالب التى أبلغناها إلى مستر باتمان إلى لندن، وتصورت أن الإنجليز سيوافقون على الاستجابة لمواقفنا.. ومرت عدة أيام، جاء بعدها الرد من لندن بتصريح أذاعته وكالات الأنباء للورد هاليفكس وزير الخارجية البريطانية. وكان يقول فيه أن الحكومة البريطانية ليست على استعداد للمساومة فى هذه الظروف وأدركنا أن الحكومة البريطانية لا تزال عند موقفها وأنها لا توافق على الشروط التى وضعتها لإعلان الحرب على الألمان ".

" .. اقتنع على ماهر بأن لا فائدة لمصر من إعلان الحرب على ألمانيا.. وتقرر أن لا تعلن مصر الحرب إلا فى حالة واحدة وهى أن يكون الهجوم عليها لذاتها. لا لارتباطها بالإنجليز. وكان تحولاً خطيراً للموقف كله ".[١٥٠]

وفى ٩ سبتمبر بعث على ماهر بمذكرة إلى السفير البريطانى يتراجع فيها عن قراره بإعلان الحرب بحجة أن ألمانيا لم تعلن الحرب على مصر، وأن تطورات الموقف لم تعد تستدعى اتخاذ هذا القرار ووقف على ماهر يخطب فى مجلس الشيوخ ويقول: أنه التزم بسياسة تجنيب مصر ويلات الحرب.

وتتابعت الأزمات بين على ماهر والسفير البريطانى.[١٥١] ولعل أشهرها تلك التى اتهمنى فيها السير مايلز لامبسون فى حديث له مع على ماهر قائلاً: أننى لم اتخذ هذا الموقف فى معارضة إعلان الحرب على ألمانيا إلا لسبب واحد وهو أن لى ميولاً نازية. وأذكر انه عندما عرفت بما قاله السفير البريطانى من على ماهر نفسه لم أتمالك نفسى من الغضب وقلت له:

(١٥٠) مجلة آخر ساعة: العدد ٢٠٠٥- ٢٨ مارس ١٩٧٣- ص٢١.
(١٥١) محسن محمد: المرجع السابق – ص ١٠٨.

" كيف ترضى يا باشا أن يتهم وزير يعمل معك فى الوزارة بأنه خائن، وأن مصلحة بلده لا تهمه بقدر اهتمامه بمصلحة دولة أجنبية أخرى دون أن ترد على هذا الاتهام.

وحاول على ماهر تهدئتى، ولكننى بادرت بتقديم استقالتى من الوزارة وأنا أقول له إزاء هذا الموقف لا أستطيع أن استمر فى الوزارة.. وغضب على ماهر كثيراً وهو يقول: يا عزام لا تسبب لى مشاكل جديدة بعد الذى حدث فى أزمة عدم إعلان الحرب. ثم طلب ألا أزيد من متاعبه فى أزمة عدم إعلان الحرب.

وأذكر أننى ذهبت إلى غرفتى فى فندق سان استيفانو ثم طلبت المستر سمارت المستشار الشرقى للسفارة البريطانية فى التليفون، ولم أجده فطلبت إلى مساعده أن يوافينى بسرعة لأمر هام ".

وجاء الرجل لأقول له: " أننى سمعت أن السير مايلز لامبسون قال لعلى ماهر أن لى ميولاً ألمانية وأننى لأرجوك أن تذهب إليه.. وأن تقول له أننى لا أخجل من أن تكون لى ميولاً ألمانية لأن الألمان لم يكونوا فى يوم من الأيام أعداء لبلادى ولكن الذى يخجلنى حقاً أن تقول عنى أن لى ميولاً إنجليزية ".

" وانزعج مساعد المستشار الشرقى للسفارة البريطانية عندما سمع كلمات رسالتى التى طلبت إليه أن ينقلها إلى السفير البريطانى ".

" ومرت عدة أيام ثم جاء ليقول لى أن السفير البريطانى ينفى أنه قد قال عنى مثل هذا الكلام وكانت نهاية أزمة بينى وبين السفير البريطانى السير مايلز لامبسون ".(١٥٢)

ونتيجة لذلك اتخذت وزارة على ماهر الخط العدائى للإنجليز، وهو خط يتفق تماماً مع شعور الملك فاروق نحوهم.

فقد أطلق على ماهر يد الفريق "عزيز المصرى" فى الجيش المصرى لينفذ سياسته الوطنية المعادية للإنجليز – كما أهمل محمد صالح حرب – نصائح البعثة

---

(١٥٢) جميل عارف: مرجع سابق – ص ٢٥٧.

العسكرية البريطانية تجاه الجيش – وفطن إلى محاولات إضعاف هذا الجيش عن طريق حرمانه من السلاح – فلجأ إلى البحث عنه لدى الدول الأخرى (تشيكوسلوفاكيا – الولايات المتحدة) وطرق باب تركيا لتدريب الجيش المصرى بدلاً من بريطانيا.(١٥٣)

وبدأت تظهر بمصر مجموعات تتبنى وجهات نظر ذات أسس نازية – فاشية، فقامت جماعة مصر الفتاه التى أطلقت على نفسها حزب "القمصان الخضر" بزعامة أحمد حسين – كذلك فقد سعى الوفد – كما سبق وذكرنا – لأن يكون قوة شبه عسكرية. وقد تبنت هذه الأحزاب بصفة عامة نظماً شبه حربية – فارتدى أفرادها لباساً خاصاً وشارات معينة وكانوا يحلفون قسماً لزعيمهم– غير أن أهم ما كانت تعنيه هذه الظاهرة الجديدة هو أنها كانت تمثل السخط المتزايد على سياسات الدول الغربية.

المهم كان هناك إهتمام على المستوى الشعبى بالنظم الفاشية والنازية... مما أدى إلى تقوية الصلات بين ألمانيا والدوائر العسكرية المصرية المعادية لبريطانيا.(١٥٤)

كما اتجه "عبد الرحمن عزام" إلى إنشاء قوة مسلحة أخرى – إلى جانب الجيش المصرى الخاضع للإشراف البريطانى – مستقلة عن وزارة الدفاع بث فيها تعاليم الوطنية والدين والأخلاق – وأسند قيادتها إلى ضباط مصريين وسودانيين عُرف عنهم التعصب الشديد للوطن والعداء للوجود البريطانى وكره للأجانب – وقد سُميت هذه القوة " بالجيش المرابط " وانضمت إليها فئات وطوائف سياسية كجماعة مصر الفتاة – وشكل هذا التنظيم خطراً أحست به بريطانيا.(١٥٥)

---

(١٥٣) د. عبد الوهاب بكر: (صفحات من تاريخ مصر ...) – مرجع سابق – ص ١٤٥.
(١٥٤) د. عبد الوهاب بكر: (الوجود البريطانى...) – مرجع سبق ذكره – ص ١٣.
(١٥٥) د. عبد الوهاب بكر: (صفحات من تاريخ مصر ...) – مرجع سابق – ص ١٤٦.

والخلاصة.. لقد كان على ماهر يعلم أن معركته من أجل "الجيش المصرى" معركة خاسرة – فبريطانيا لن تسمح له أبداً بسياسة تؤدى إلى وصول هذا الجيش إلى مراتب القوة بأى حال من الأحوال... فالجيش قد أصبح مقيداً وفقاً لنصوص معاهدة ١٩٣٦ بشروط معينة لا تملك مصر الفكاك منها – فلم لا تجرب أفكاراً عسكرية لا تملك بريطانيا إزاءها شيئاً؟

من هنا بدأت بريطانيا تبيت النية للإطاحة بحكومة على ماهر – وأرى أن هذه الحكومة كان يمكن لها أن تستمر لو وافق على ماهر ووزرائه على دخول الحرب.. وأن بريطانيا لا يهمها من يتولى الوزارة بقدر اهتمامها بمن ينفذ أوامرها ورغباتها. أى أن عداء بريطانيا لأى زعيم مصرى يتوقف على عداء هذا الزعيم للمطالب البريطانية.

الفصل الرابع
عبد الرحمن عزام بك والجيش المرابط

الفصل الرابع

عبد الرحمن عزام بك والجيش المرابط

عندما أقدمت مصر في عام ١٨٨٢ على تعزيز إستحكاماتها الساحلية تعللت بريطانيا بذلك وضرب الأسطول البريطانى مدينة الإسكندرية وبدأ منذ ذلك التاريخ الإحتلال البريطانى لمصر.

وقد حرص البريطانيون منذ بداية إحتلالهم لمصر على محو كل ماله صلة بقوة مصر العسكرية، فأصبحت مصر بذلك محرومة من أسباب القوة العسكرية وفرضت بريطانيا سيطرتها الكاملة على البلاد.

ومن هذا المنطلق حرصت بريطانيا طوال فترة إحتلالها لمصر على تركيز إهتمامها إلى هدف (عدم تمكين مصر من إقامة جيش قوى).

لقد تولى البريطانيون أمر هذا الجيش منذ عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩٣٦ وكانت القوة العسكرية البريطانية هى التى تفرض إرادتها على كل الأحداث التى تمر بالبلاد – إنطلاقاً من ميل ميزان هذه القوة لصالح بريطانيا وتأكيداً لمبدأ أن الحل الذى يفرض نفسه على أى مشكلة بين طرفين هو إنعكاس صادق لأوضاع القوة العسكرية فى كل منهما، وليس من دليل على صحة هذا المبدأ أكثر من عدم قدرة مصر طوال السنوات مابين عام ١٨٨٢ وحتى ١٩٣٦ على إقامة جيش قوى يكون درعها الواقى وسيفها الحامى – فلم يكن هناك؟.

والأمر بيد بريطانيا إلا أن ترضخ مصر للعسف البريطانى وأن تحاول معالجة قضية إستقلالها عن طريق "الحوار والتفاوض".[(١)]

إذن فقد كانت جذور الوجود البريطانى في الجيش منذ ما قبل المعاهدة، منع التوسع، منع التسليح، تدريب تافه، تعليم سطحى، إشراف وهيمنة كاملتين، لينتهى هذا

(١) د.عبد الوهاب بكر: (الوجود البريطانى...) – مرجع سبق ذكره – ص١٣، ٢٩.

كله إلى هدف معين يشكل السياسة البريطانية في الجيش - ألا وهو الحيلولة دون وجود جيش مصرى قوى يهدد الإحتلال البريطانى في البلاد.(٢)

ثم كانت معاهدة ١٩٣٦ وما جاء بها... ولكن ما يخصنا فيها هو الحديث فقط عن "القوة العسكرية" المصرية، وهى الجيش المصرى، لتبين لنا أن إنتهاء الإحتلال البريطانى لمصر كان معلقاً بوصول هذا الجيش إلى درجة من الكفاية تؤهله بمفرده أن يدافع عن قنال السويس - وفى نفس الوقت الذى حمل فيه هذا الجيش هذه المسئولية التاريخية - فقد كُبلت حركته بقيدين يغلانه عن الوفاء بهذا الالتزام المصيرى - كان أولهما ضرورة أن يستورد سلاحه وعتاده من بريطانيا صاحبة المصلحة فى أن يكون عاجزاً عن الدفاع عن البلاد ليبقى لها المسوغ فى البقاء بحجة عجز هذا الجيش - وثانيهما أن تدريبه وتعليمه وتطويره منوط ببريطانيا أيضاً - وأنىَّ لها أن تقدم له من التدريب ما يمكن له أن يتطور ويتسع فلا تجد لنفسها سبباً للبقاء فى البلاد.(٣)

لقد كانت وجهة النظر البريطانية دائماً تتجه نحو تخفيض حجم الجيش المصرى واعتراض طريق توسعه وإعداده، وكانت هذه النظره هى الإتجاه الأساسى في سياسة بريطانيا في كل الأوقات.(٤)

من هنا نجد أن بعض الأحزاب السياسة المصرية كحزب الوفد سعى أثناء توليه الوزارة الثالثة ٩ مايو ١٩٣٦- ٣١ يوليو ١٩٣٧م لأن يكون له قوة شعبية ذات تنظيم شبه عسكرى تمثلت في جماعة القمصان الزرقاء- والتى كان بداية لظهور "التشكيلات شبه العسكرية في مصر". أو هو إرهاصات العمل على تكوين قوة وطنية عسكرية غير تابعة للجيش الذى كانت بريطانيا تفرض عليه الكثير من القيود.(٥)

---

(٢) د. عبد الوهاب بكر: (الوجود البريطانى ..) - مرجع سبق ذكره - ص ١١٨.

(٣) د. عبد الوهاب بكر: (الوجود البريطانى ..) - المرجع السابق - ص ٥٠.

(٤) د. عبد الوهاب بكر: نفسه - ص٢٤٣.

(٥) د. عبد الوهاب بكر:"الجيش المصرى وحرب فلسطين ١٩٤٨- ١٩٥٢" - دار المعارف- الطبعة الأولى- ١٩٨٢، ص٢٣٨.

فكرة الجيش المرابط:

لم يكن نظام الجيوش الإقليمية جديداً في الشرق ففى كثير من بلدانه في العصور الماضية كانت الجيوش النظامية قليلة العدد. فكان الأمير يدعو إلى تقلد السلاح إذا أراد أن يشن غارة أو يرد غارة فكان رجال القبيلة أو الجيش يلبون دعوته...ويأخذون معهم طعامهم ويذهبون بقيادته إلى القتال فإذا ظفروا بالعدو وغنموا أسلاباً إقتسموها وإلا عادوا بخفى حنين أو عاد السالمون منهم كذلك واستأنفوا أعمالهم اليومية كالمعتاد.(٦)

وأغلب الظن أن بلغاريا هى الدولة الأولى التى أنشأت مثل هذه الجيوش، فقد رأت عقب معاهدة فرساى أنها محرومة من جيش حربى، فألفت جيشاً إجتماعياً خدم الأمة البلغارية أعظم الخدمات بشق الطرق وإصلاح الزراعة والمدن.(٧)

كما جرب البريطانيون هذا النظام وأسفر عن نجاح عظيم،(٨) حيث كانت البلاد في عام ١٩٠٤ مفتقرة إلى نظام للدفاع، وأن قواتها الحربية لا تجارى من حيث التدريب الجيوش الأوربية. وكانت قوات بريطانيا الحربية في عام ١٩٠٦ مؤلفة من الجيش النظامى والميليشيا والمتطوعين وكان المتطوعون منظمين على أساس يختلف عن الجيش والميليشيا وكان الاعتقاد راسخاً بأن قيمتهم من الوجهة العسكرية ليست بكبيرة فلم يكن لهم مكان خاص بهم في تنظيم قوى الدفاع عن الدولة في حالة نشوب حرب.

كانت هذه هى حالة قوات الدفاع البريطانية فتم عمل تنظيم جديد كان أساسه هو الإحتفاظ بالجيش النظامى وتحويل الميليشيا إلى "إحتياطى خصوصى" ثم تنظيم قوات إقليمية على أساس المناطق.

---

(٦) المقطم: ١٩٣٩/٨/٣٠.

(٧) مجلة العزيمة: ١٩٤٠/٤/٢.

(٨) المقطم: ١٩٣٩/٨/٣٠.

وأعيد تنظيم هذه القوات مرة أخرى فأصبحت تعرف في فبراير سنة ١٩٢٠ بأسم الجيش الإقليمى... وفى عام ١٩٣٢ عهد إلى الجيش الإقليميى مهمة الدفاع عن سواحل بريطانيا، وفى سنة ١٩٣٥، أضيف إليه جانب كبير من سلاح الطيران.(٩)

وقد أقدمت مصر على إنشاء جيش إقليمي يكون سنداً للجيش العامل، فيصبح في البلاد نحو مليون رجل إذا واجهت مصر خطراً دعوا في الحال إلى درء هذا الخطر.(١٠)

إنشاء الجيش المرابط المصرى:

كان إنشاء الجيش المرابط عبارة عن رد فعل لحرمان بريطانيا مصر من إنشاء جيش قوى. ويفهم من فكرة " المرابط " إن الهدف منها حمل الأمة كلها للسلاح خلف الجيش وتنظيم قواها وتعبئة جهودها بحيث يؤدى كل عضو فيها واجبه على الوجه الأكمل – ونجدة الجيش العامل بعد تأمين ما يلزمه من الخدمات خلف الجبهة وداخل البلاد، فضلاً عن أن " المرابط " كان عاملاً في تكوين الخلق القومى عن طريق بث الشجاعة والهمة والإستقامة والنظام بإعتبار هذا الجهاز مدرسة للأخلاق تستمد منها مصر قوة معنوية جديدة – ومجالاً لتحسين صحة وثقافة الأهالى في مصر وإثارة وطنيتهم وتكوين جهاز شبه عسكرى من الرجال يزيد مصادر الدفاع عن البلاد في الحرب.(١١)

ولقد بدأت فكرة إنشاء هذا الجيش عندما زار عبد الرحمن عزام بك رومانيا في عام ١٩٢٨، ودرس نظام الجندية فيها وهو عبارة عن قوات معظمها من الفلاحين، وأراد أن يطبق هذا النظام في مصر لما فيه من فوائد متعددة فالمعروف أن التجنيد في مصر لم يكن إجبارياً في ذلك الوقت، بل كان يذهب إلى الجندية، الشاب المصرى الذى لا يمتلك عشرين جنيهاً يدفعها للحكومة كبدل عن الخدمة العسكرية!! وقد طالب عزام

---

(٩) المقطم: ١٩٣٩/٨/٢٩.

(١٠) المقطم: ١٩٣٩/٨/٣٠.

(١١) د. عبد الوهاب بكر: " الوجود البريطانى..." – مرجع سبق ذكره – ص٢٧٣.

مراراً أثناء عضويته في مجلس النواب بضرورة تطبيق النظام الإجبارى للتجنيد على جميع المصريين وإلغاء البدل العسكرى، إذ أنه عار في جبين مصر وعقبة أمام بناء جيش قوى.

وظلت هذه المطالب مجرد مقترحات تضمنتها مضابط مجلس النواب دون تنفيذها، فلما عين وزيراً في وزارة على ماهر عام ١٩٣٩ وجد أن الفرصة قد سنحت لتنفيذ بعض الأفكار التى يراها في مصلحة بناء الجيش المصرى.[١٢] فعرض على رفعة على ماهر باشا رئيس الوزراء مشروعاً لتأليف الجيش المرابط.[١٣]

وقد وافق مجلس الوزراء على إنشاء الجيش الإقليمى المصرى وتسميته "الجيش المرابط".[١٤]

جاء هذا بالمذكرة التى رفعها على باشا ماهر لمجلس وزرائه في ٢٦ أغسطس ١٩٣٩[١٥]، وصدر على أساسها المرسوم بقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٣٩ بإنشاء هذا الجيش الذى نص على:

مادة (١): تنشأ قوات محلية موزعة فى جهات القطر وتلحق بالجيش ويكون الملك هو القائد الأعلى لهذه القوات.

---

(١٢) وحيد الدالى : مرجع سابق – ص٤٤.

(١٣) الأهرام: ١٩٣٩/٨/٣١ – العدد ١٩٧٤٥.

(١٤) محب الدين الخطيب: مجلة الفتح – العدد ٦٦٩– العام ١٤– ١٦ رجب ١٣٥٨هـ .

(١٥) نص المذكرة المرفوعة من على ماهر لمجلس وزرائه بشأن المرسوم بقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٣٩ بإنشاء الجيش المرابط:

"يحتاج الدفاع عن مصر لضمان إستقلالها وتحقيق غاياتها والوصول بها إلى المقام اللائق بتاريخها ومكانتها في الشرق والغرب إلى جيش قوى الإيمان حديث العدة كامل التدريب.

على أن الجيش بعد أن تطورت أحوال العالم لم يعد مجموعة ومعدات متفرقة بل هو الأمة كلها حاملة السلاح، ويتعذر على المرء أن يتصور أن الجيش يستطيع أن ينهض في الميدان إلا إذا عبئت قوى الأمة ونظمت من ورائه بحيث يؤدى كل عضو فيها واجبه على الوجه الأكمل. لذلك صار لزاماً إعداد مصر المستقلة لحمل رسالتها الجديدة بما يناسب العصر الحاضر، وقد ==

مـادة (٢): تؤلـف هـذه القـوات مـن الأشـخاص المكلفـين بالخدمـة العسـكرية ولـم يطلبـوا للتجنيد، ولم تنقض مدة إلتزامهم بالخدمة العسكرية.

مادة (٣): الغرض من القوات المرابطة هو:

== أستعرضنا النظم والأوضاع العسكرية في الدول الأخرى لإختيار نظام يحقق للجيش العامل ظهيراً قوياً من غير إرهاق لموارد الدولة ولا تعطيل لسير المشروعات العمرانية.

وقد كان يخشى أن تعجز مصر عن القيام بواجب الدفاع عن النفس إذا هى ذهبت مذاهب التقليد والنقل دون أن تراعى حالتها المادية وظروفها الإجتماعية، والذى إنتهى الرأى إليه هو إنشاء "قوات مرابطة" تكون أولى وظائفها أن تعفى الجيش العامل من كثير من المسئوليات والواجبات المحلية فتزداد بذلك القوة المقاتلة التى يمكن إستخدامها في الميدان على أن ذلك ليس من شأنه أن يسقط عن القوات المرابطة ما يجب أن تؤديه من ضريبة الدم فإن عليها واجب النجدة للجيش العامل في الميدان بعد أن تكون قد أمنت له كل ما يلزمه من الخدمات خلف الجبهة وداخل البلاد.

وعلى هذه القوات المرابطة فوق ذلك واجبات لها خطرها وإذا كان يطلب منها فى زمن الحرب أن تعاون الجيش العامل خلف الجبهة وأن تمده عند الحاجة بما يلزمه من قوات إحتياطية، فإن مهمتها في أيام السلم لا تقل عن ذلك شأناً، إذ روعي في إنشائها أن تكون عاملاً في تكوين الخلق القومى وأخلق بها أن تكون لها من مزايا عظيمة لا تلبث البلاد أن تجنى ثمارها، ليس من يجهل أن الشجاعة والهمة والاستقامة والنظام من أخص الصفات العسكرية، فالقوات المرابطة التى يندمج فيها المجندون والمتطوعون حرية أن تكون مدارس للأخلاق تستمد منها مصر قوة معنوية جديدة، فالخلية أو المعسكر المحلى هو مكان التدريب والإعداد العسكرى والإجتماعى لهذه القوات، فيها يعتادون الترتيب والنظام والمحافظة على مقومات الصحة ويصيرون بعد ذلك مثالاً صالحاً يحتذى لخير بلادهم وأهليهم ومواطنيهم.

فالغرض الذى يراد الوصول إليه من وراء إنشاء هذه القوات هو خدمة السلم وتمهيد السبيل لأسباب الإصلاح وبث الفضائل الإجتماعية والشخصية وسيأخذ كل فرد من أفرادها نفسه بتعود البساطة وقوة الخلق والتذرع بالصبر والتضحية، وإذا كانت الحياة المصرية تأخذ من هذه الخلال بنصيب فإن نصيب القوات المرابطة منها سيكون بلا شك أوفر وذيوعها في البلاد أهم وأكبر، وبذلك يتسنى للبلاد أن تصل إلى غايتها من الإصلاح والرقى وأن تقوم في الوقت ذاته بواجب الدفاع حسب مقتضيات العصر، ولا شك في أن إنشاء القوات المرابطة، إلى جانب الجيش العامل، بدعة حسنة اختصت بها مصر وسوف يكون لها أكبر الأثر في تدعيم أسباب الدفاع الوطنى".

٢٦/اغسطس ١٩٣٩ رئيس مجلس الوزراء: على ماهر

(أنظر ملحق الوقائع المصرية العدد ٩١ فى ١٩٣٩/٩/٤).

(أ) في زمن السلم:

١- تنمية وتعميم الخصال والفضائل العسكرية.

٢- موافاة الجيش عند الاقتضاء بما يحتاجه من الجند فى حالة زيادة عدده.

٣- القيام بما يعهد إليه من الخدمات العامة أو الخدمات الإجتماعية.

(ب) في زمن الحرب:

١- القيام بحراسة البلاد وبالخدمات العسكرية المختلفة وراء ميادين القتال.

٢- إنجاد الجيش عند الحاجة.

مادة (٤): لا تتجاوز الخدمة في القوات المرابطة ستة أشهر. ويجوز جمع رجال هذه القوات بعد ذلك مدة لا تزيد على ستة أسابيع في السنة الواحدة في أوقات لا تتعطل فيها أشغالهم العادية بقدر الإمكان.

وتحدد بمرسوم المدد الفعلية لهذه الخدمات وعدد السنين التى يستدعى أثناءها رجال هذه القوات. وتؤدى هذه الخدمات على قدر الإمكان في أماكن قريبة من محال إقامتهم.

مادة (٥): يحدد بمرسوم نظام القيادة والتدريب في هذه القوات وقواعد إحتساب الخدمة فيها في الخدمة العسكرية. وتسرى عليهم الأحكام العسكرية ويجوز تعديل هذه الأحكام بالنسبة لها بمرسوم.

مادة (٦): يكون تنظيم وإدارة هذه القوات مستقلاً عن تنظيم وإدارة الجيش ويحدد مجلس الدفاع الأعلى الصلات بينها وبين الجيش.[١٦]

وتكون تحت إمرة رئيس يعين بمرسوم ويكون بحكم وظيفته عضواً في مجلس الدفاع الأعلى. وتكون تلك القوات – ما لم توضع تحت إمرة وزير – تابعة لرياسة مجلس الوزراء. ويكون لرئيسها في هذه الحالة في شئون إدارتها وبالنسبة لموظفيها سلطة الوزير.

---

(١٦) الوقائع المصرية: العدد ٩١ في ١٩٣٩/٩/٤- ص٢ "مرسوم بقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٣٩ بإنشاء قوات مرابطة".

وتسرى علـى أعمالها وموظفيها جميـع أحكام القوانين واللوائح المعمول بها في مصالح الحكومـة. ويحدد بمرسوم ما يرى إتخـاذه من الإستثناءات من هذه الأحكام إذا أقتضى ذلك تحقيق السرعة في تنظيم هذه القوات وتوفير حسن إدارتها.

مادة (٧): تقوم الوزارات المختلفة فيما هو داخل في إختصاصها بالمعاونة على حسن تنظيم القوات المرابطة والتنسيق بين مقتضيات أعمالها الخاصة وبين ذلك التنظيم.[١٧]

عبد الرحمن عزام بك رئيساً للجيش المرابط:

وقد صدر الأمر الملكى بتعيين عبد الرحمن عزام بك، وزير الأوقاف بصفته الشخصية رئيساً للقوات المرابطة[١٨] وقد اعتبر معاليه أول متطوع فى هذا الجيش.[١٩]

والسبب في إختيار عزام إنه أقدر منظم لهذه التشكيلات في مصر، وقد تمرن عليها أيام كان مجاهداً في طرابلس وكان يجند العرب الطرابلسيين ويؤلف منهم قوات حربية نظامية تحارب الطليان.

ولقد إتخذ عزام شعار هذا الجيش من الآية القرآنية الكريمة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

وكان التفكير قد إتجه إلى تسمية هذا الجيش "الجيش الإقليمى" فلما إتخذت هذه الآية الكريمة شعاراً له إستعيرت تسمية الجيش المرابط من إحدى كلماتها الشريفة.[٢٠]

---

(١٧) جريدة المصري: ١٩٣٩/٩/٢ – ص ٨.

(١٨) الوقائع المصرية: العدد ٩١ في ١٩٣٩/٩/٤.

(١٩) المصور: ١٩٣٩/٩/٨.

(٢٠) الاثنين: ١٩٣٩/٩/٤.

وقد كانت إحدى غرف الديوان العام لوزارة الاوقاف هى مركز الجيش المرابط كمكان مؤقت حتى يستقر الرأى على إستئجار مكان له في إحدى الجهات القريبة.(٢١)

مسئولية القائد العام:

ولقد أوضح عزام بك عندما تم إختياره قائداً للجيش المرابط أن هناك فرقاً كبيراً بين قيادة جيش وإنشاء جيش جديد لا وجود ولا نواة له.

لأن هذا الجيش لا يبنى على نموذج معين ولأنه بعد دراسة نظم الجيوش الإقليمية في كثير من البلدان الأجنبية وجد أنها لا تلائم البيئة المصرية لإختلاف البيئة والملابسات ومستوى التربية والأغراض التى تقصد من إنشاء هذا الجيش هنا وهناك. لذلك كان لابد من وضع النظام الذى يلائم بيئتنا.

يضاف إلى ذلك أن الجيوش الإقليمية تبنى على أساس يُسَهِّل بناءها. هذا الأساس هو الضباط وضباط الصف الذين يؤخذون من الجيش النظامى ولا يوجد فى مصر هذا الأساس إلا فى أضيق الحدود وذلك لحاجة الجيش النظامى الناشئ إلى كل ضابط وضابط صف فيه.

إن الحالة في مصر تختلف عنها في البلدان الأخرى فقد ظلت مصر عشرات السنين قبل المعاهدة مكبلة بالقيود حتى أن مجرد إقتراح في مجلس النواب بإصلاح المدرسة الحربية كان يحدث أزمة يكون من آثارها إرسال أساطيل حربية لتهديد هذه الحكومة وقبر فكرة الإصلاح قبل أن تنفذ. أما الآن وقد ذهب هذا العهد، لزم أن تعمل البلاد على أن تقف قدماً مع غيرها من الدول المستقلة المهابة، وأن ينشأ لها جيشٌ قويٌ يحميها ممن يطمع فيها.(٢٢)

نظام هذا الجيش:

وجد عبد الرحمن عزام بك أن الشاب المصري يرسل إلى الجندية ويظل بها

(٢١) البلاغ: ١٩٣٩/١٠/٢١.

(٢٢) الدستور: ١٩٣٩/٩/٣.

خمسة أعوام يبتعد خلالها عن عمله الأصلى سواء أكان ذلك في فلاحة الأرض أو أى نوع آخر من العمالـة دون ممارسـة مهنـة معينـة بجانـب قليل من التدريبات العسكرية، ووجد كذلك أن الزى العسكرى له تأثير كبير في تكوين الشخصية. فالجندى المصرى فـي الجيش العامل يلبس الحذاء الجلد والألشين والبدلـة الصوفية والطربوش. وبإستمـراره في إرتداء هذا الـزى مـدة خمـس سنوات متواليـة فإنـه سيفقد شخصيته العماليـة كفلاح أو عامـل صناعى، ويصبح من طبقة الأفندية بالزى الذى تعود عليه، فإذا ما ترك الجيش بعد خمس سنوات، وعاد إلى قريته وعاد مرة أخرى إلى إرتداء الجلباب أو قميص الفلاحين المصنوع من قماش الدمور، ثم خلع الحذاء الذى كان قد سلمه الجيش إليه، فإنه من الصعب عليه العودة إلى ما كان عليه قبل تجنيده بالجيش.. فيأنف عن ممارسة العمل اليدوى فـي الزراعة، كما لا يستطيع شراء الملابس التى تعود عليها أثناء فترة الجيش، فتكون النتيجة عدم عودته إلى قريته وتفضيله البقاء في المدن التى يحاول أن يجد فيها أى عمل سهل حيث أن العمل الزراعى أصبح لا يتناسب ووضع (الأفندى) الجديد!! وكثيراً ما لا يجد العمل الذى ينشده فيظل بالمدينة عاطلاً يفكر في إقتراف الجريمة أو الإنحراف من أجل الحصول على مطالب الحياة فيها.. لذلك فكر عبد الرحمن عزام بأن تكون فترة بقاء المجند فى الجيش المرابط (في الجندية) والزى الذى يرتديه والثقافة التى يحصل عليها، متناسبه مع حياته وظروفه الريفية قبل التجنيد...، فجعل إجمالى فترة التجنيد في الجيش المرابط ثلاث سنوات فقط بدلاً من خمس في الجيش العامل والزى الذى يرتديه عبارة عن بنطلون وقميص كاكى من القطن ثم صندل مفتوح مصنوع من الجلد يرتدى عليه الجندى شراباً قصيراً من الصوف في الشتاء وبلا شراب في الصيف.

وقد أقام عزام معسكرات هذا الجيش في عواصم الأقاليم حتى لا يتواجد المجند أثناء فترة تجنيده في المدن الكبرى كالقاهرة أو الإسكندرية، فيتأثر بالحياة فيها، ويصعب عليه الرجوع إلى قريته بعد فترة التجنيد، كما بنى معسكرات هذا الجيش على أبسط صورة فهى عبارة عن مظلات ومبانى من الطوب الطينى، وجميع مستلزماتها الأخرى من منتجات القرية مثل الخشب المستغل من فروع وجذوع النخيل، وقصد من كل هذا موازنة حياة المجند بين حياته في القرية وحياته في الجندية، حتى إذا إنتهى من الخدمة العسكرية

يجد أن حياته لم تتغير بالنسبة لأن ملابسه هى نفس الملابس التى كان يرتديها قبل التجنيد أو شبيهه لها. ولقد كان تركيز القائمين على هذا الجيش على ثلاثة أمور هى:-

أن يصبح الجيش المرابط:

١- مدرسة تمحى أمية جميع المجندين خلال ستة شهور بتعلمهم الكتابة القراءة.

٢- مستشفى بأن يوضع نظام لمعالجة المجندين من جميع الأمراض المستوطنة كالبلهارسيا والإنكلوستوما والرمد.. الخ.

٣- ثكنة عسكرية يتعلم فيها المجند الطاعة والنظام والضبط والربط والتضحية وحب الوطن.(٢٣)

الغرض من إنشاء الجيش المرابط:

وقد كان الغرض من إنشاء الجيش المرابط كما أوضح قائده عبد الرحمن عزام "أن يكون مدرسة للرجولة والفضائل الدينية والقومية... وأداه لرسل الإصلاح الإجتماعى يبنون فيها أفكار الإصلاح بنظام دقيق فيستطيعون التغلب على ما في أهل القرى من طبيعة المقاومة لكل جديد... ويستطيع (الجيش) أن يعمل مع الشعب في حراسة الجسور وفى مقاومة الآفات الزراعية وفى تعبيد الطرق وإصلاح الأرض. وفى كل ما تدعو الحاجة الوطنية إلى القيام به".(٢٤)

وأرى – هنا أن الهدف من تكوين هذا الجيش أن يكون جيشاً إجتماعياً قبل أن يكون جيشاً حربياً.

إذن لم يكن الجيش المرابط جيشاً قد أعد كجيش بديل للجيش المصري، ولكن

---

(٢٣) وحيد الدالى : مرجع سبق ذكره – ص ٤٥، ٤٦

(٢٤) مجلة العزيمة: عدد سبق ذكره.

كقوة للأمـة يُعد إعداداً جيداً لواجبات قوميـة عديـدة يستطيع أن يؤديها علـى وجـه مُرضٍ فيتفرغ الجيش لأعبـاء الـدفاع المباشر، ومـن هؤلاء المرابطين يسـهل أن يستمد الجيش رجاله كلما إحتاج إلى الزيادة والتوسع، من غير أن يضيع وقتاً فى تعلمهم المبادئ الأولية وتدريبهم على الحركات العسكرية اللازمة.

وقد شرعت الإدارت المختصة بوزارة الدفاع في إتخاذ الإجراءات السريعة لحصر قوات رديف السنوات الماضية التى تبدأ من عام ١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٦، وهكذا إلـى أن يتم إختيار العدد اللازم لإنشاء فرق هذا الجيش.

ويكـون إنشـاء هذا الجيش علـى غرار مـا هو متبـع فـي إنجلترا[٢٥]، ولكن وفقـاً لطبيعة البيئة المصرية لأنه يكون عبارة عن وحدات، لكل إقليم منها وحدة تؤلف من أصل الإقليم نفسه.[٢٦]

ويختار ضباط الجيش الإقليمى " المرابط " من بين الضباط الاحتيـاطيين الذين تم تدريبهم في خلال السنوات الأخيرة على أن يعهد إلى بعض كبار الضباط ممن أحيلوا إلـى الإستيداع بالإشراف على القيادة العامة.[٢٧]

كذلك إختارت وزارة الداخلية بعض ضباط البوليس المحالين إلى المعاش خصوصاً من كان منهم فـي خدمـة الجيش المصري وألحقوا بـوزارة الداخليـة فـي أواخر عام ١٩٢٤ للعمل بقسم والخفر ضباطاً بـالجيش الإقليمـى علـى أن يمـنح كل مـنهم الفرق بين معاشـه الحالى والمرتب الذى كان يتقاضاه وقت تقرير إحالته للمعاش.[٢٨]

وتكون مهمة هذا الجيش دائمة بحيث يكون عمله في زمن السلم متصلاً بالنواحى الثقافية والعسكرية والإجتماعية، ويتدرب أفراده التدريـب العسكرى اللازم

---

(٢٥) الدستور : ١٩٣٩/٨/٢٨.
(٢٦) البلاغ : ١٩٣٩/٨/٢٩.
(٢٧) الدستور : ١٩٣٩/٨/٢٨.
(٢٨) البلاغ : ١٩٣٩/٩/٦.

ويتلقون دراسات إجتماعية تتناسب وحالة كل طبقة من طبقاته[٢٩]، ويهيأ لهم أسباب الأستنارة والتعلم، فيلقنون بعض المعلومات العامة ووسائل الإنقاذ من الغارات الجوية والإسعافات الطبية العاجلة، وتذاع عليهم بعض المحاضرات النافعة وسيكون في كل معسكر جهاز للراديو يستمعون منه إلى الإذاعات اللاسلكية حتى إذا عاد هؤلاء الجنود إلى أهليهم كانوا رسل هداية ونصح وتعليم[٣٠]، كذلك يعودون على الحياة العسكرية وسائر الواجبات التى تتصل بها بحيث يؤدى أفراد هذا الجيش مهمتهم في زمن السلم على الوجه الأكمل ليكون من أثر ذلك رفع المستوى الإجتماعى في طبقات الأمة.

أما في زمن الحرب فتكون مهمة هذا الجيش القيام بجميع الواجبات العسكرية التى وراء جبهة القتال فضلاً عن معاونته في ضبط الأمن وإقرار النظام في داخلية البلاد، وإمداد الجيش المقاتل بالمحاربين المدربين الذين تدعو الحاجة إلى أخذهم من صفوفه.[٣١]

كما يوضح عزام أن أهمية هذا الجيش في الحرب عظيمة، لأن وجوده منتشراً داخل البلاد يجعل هزيمتها في الحروب غير متيسرة أو على الأقل غير هينة فكلما تغلب العدو على قوات منطقة لاقى في غيرها مقاومة أخرى من قواتها المرابطة[٣٢]، أى أن الجيش المرابط يتحول إلى عصابات مدربة مسلحة تمنع الغازى وتسمح للجيش النظامى بأن يتجمع ويستأنف القتال[٣٣]. فلا يؤكل لقمة سائغة سهلة وهذا يجعل العدو يفكر كثيراً قبل الإقدام على محاربة هذه البلاد فلا تتكرر بذلك هزيمتنا المنكرة، قبلاً في التل الكبير. فإنتشار الجيش المرابط داخل البلاد يكون ضماناً كبيراً لمقاومة الهزيمة مرات عديدة والمصارعة صراعاً طويلاً قبل تسليم البلاد من أول هزيمة إذا لم تكن به هذه القوات

---

(٢٩) الدستور : ١٩٣٩/٨/٣٠ .

(٣٠) الأهرام: ١٩٣٩/٨/٣٠.

(٣١) الدستور : ١٩٣٩/٨/٣٠ – عدد سابق.

(٣٢) المقطم : ١٩٣٩/٩/٣.

(٣٣) الدستور : ١٩٣٩/٩/٣.

ويكون تدريب جنده على الرماية ومقاومة الطائرات المغيره وحماية المدنيين من الغارات الجوية وإسعافهم.(٣٤)

جيش بلا نفقات:

وقد إتفق أن يتألف الجيش الإقليمي عند بداية تكوينه من عشرين ألف جندى على أن يزداد هذا العدد بعد سنتين إلى ٢٥٠ ألف جندى ثم إلى ٤٠٠ ألف جندى على التوالى فإذا تم تدريبهم، أخذ في تنظيم جيش آخر، ينتفع به وقت السلم للخدمة الإجتماعية وإذكاء روح الوطنية العسكرية في نفوس الأهالى.(٣٥)

وقد يبدو لأول وهله أن تنفيذ هذا المشروع الضخم سيقتضى مبالغ طائلة، ولكن الواقع غير ذلك، إذ أنه يراعى جانب الإقتصاد التام فى تنفيذه فالخلايا تقوم فى القرى التى ينضم شبابها إلى صفوف الجيش المرابط فى معسكرات تنشأ من الأدوات المحلية كالطوب النىء أو الحصير، ولن تتغير وسائل تغذية الجنود تغييراً يذكر، عن وسائل معيشتهم العادية(٣٦). بل تؤلف في كل قرية من الجنود أنفسهم وحدة تعاونية فهم الذين يشترون أطعمتهم ويختارونها وفقاً للشروط الصحية التى تضعها القيادة العليا. وبذلك يسبب هذا الجيش رخاء في المنطقة التى يقيم فيها. وبذلك يتعلم الجندى الإستقلال والاعتماد على النفس ولن يكون فى الجيش لواءات وأميرالايات وضباط كبار يتقاضون المرتبات الضخمة، بل يشرف على كل وحدة ضابط صغير ينتدب من الجيش.

ورغم أن هذا الجيش قد تم إعداده ووضعت له برامج تعليم إلا أنه لم ينفق عليه شىء. فالحكومة كان بها عددُ يكفى من الموظفين للقيام بأعباء الجيش الجديد دون أن تكلف الميزانية أية أعباء جديدة، فلم يؤجر مكان لهذا الجيش ولم يبنْ له بناء، ولم تُشتر مكاتب ضخمة للموظفين، ولم تنفق مئات الألوف على المعدات، بل لقد وُجِدَ في

---

(٣٤) المقطم: ١٩٣٩/٩/٣ – عدد سابق.

(٣٥) الوفد: ١٩٣٩/٨/٣١.

(٣٦) الأهرام: ١٩٣٩/٨/٣٠.

مصلحة الكورنتينات[٣٧] غرف خالية فأخذها الجيش، كما وُجِدَ في بعض المصالح أثاث لا يستعمل فتم الاستيلاء عليه، وكان الجيش في حاجة إلى آلة كاتبة فتم الإستعانة بها من أحد دواوين الحكومة وكانت مركونة لا تستعمل، وهكذا تم تجهيز المعدات الأولى دون أن ينفق شيء. أما أسلحة هذا الجيش فيتم تصنيعها قريباً في مصر[٣٨] وقد تبرعت قيادة الجيش البريطانى في مصر للجيش المرابط بأربعة آلاف بندقية من أحدث البنادق[٣٩]. ليستخدمها الجنود في تمرينات ضرب النار، فهى بنادق سعة خزائنها عشر طلقات.[٤٠]

إلا أن هذا لم يكن صحيحاً حيث ذكرت الوثائق البريطانية أن بريطانيا لم تجد سبيلاً يكفيها شر تزايد هذه القوة العسكرية الجديدة سوى أن تمتنع عن تسليح هذا الجيش أسوة بما قد فعلته من قبل مع الجيش النظامى.[٤١]

لقد روعى في إنشاء هذا الجيش الجديد أن يثمر خير ثمرة بأقل مال، حتى يمكن إعداد عشرين جندياً بالنفقات التى يعد بها الجيش العامل جندياً واحداً، بل أقل من ذلك، لأن الجندى بالجيش المرابط يتقاضى ٣٠ قرشاً في الشهر بينما يتقاضى زميله في الجيش العامل ٥٤ قرشاً ولا يعطى غير الضرورى من الملابس، كالقمصان والألبسه وبدله كاكية اللون وفانلة من الصوف السميك ذات ياقه يستعاض بها عن المعطف ولا تعطى المعاطف إلا للجنود الموكلين بالحراسة والمرور، على أن تكون ملكاً للعساكر فلا يرتدونها إلا وقت العمل. وغطاء للرأس كاكى اللون ذو مظلة أمامية، لا يتجاوز ثمنه ثلاثة قروش، وصندل يقى القدمين مس الأرض لا يزيد ثمنه على ثمانية قروش وينام الجندى في الخيام فلا يتكلف مبيته أكثر من ثمانية مليمات في الشهر، وليس في النية

---

(٣٧) الكورنتينات: هى قلم يختص بالأعمال المتعلقة بسفر الحجاج والمحمل (الحجر الصحى).. (أنظر حسين العطار: "البوليس المصرى..." – مرجع سابق – ص٤٧.

(٣٨) أخر ساعة المصورة: ١٩٣٩/٩/١٧ – العدد ٢٧٢ – ص١٣.

(٣٩) البلاغ: ١٩٤٠/١/٢٧.

(٤٠) جريدة دمياط: ١٩٤٠/١٢/٢

(41) F.O 371/23336 Egyptian Territorial Army 28th September,1939.

إنشـاء معسـكرات مبنيـة إلا إذا بُنِيَت بأيـدى الجنـود[٤٢]. كمـا أن قيـادة الجـيش لا تعـين موظفين بل تنتدبهم من المصالح والوزارات الأخرى.[٤٣]

ولكـى لا يكـون الجيش المرابط عبئاً علـى ميزانيـة الـبلاد فقد كـان أساسـه ضـباط الصف، مع أقل عدد ممكن من الضباط الذين يأخذون من الإستيداع ومن البـوليس أو مـن الصولات الـذين قضوا عشر سنين فـي الجيش. وضـباط الصف هؤلاء لا يكلفـون القيـادة مرتبات كبيرة كمرتبات الضباط، ويكون فـي تعليمهم وتـدريبهم سـهولة تحويلهم إلـى ضـباط في وقت الحرب.[٤٤]

لذلك تشكلت لجنة برئاسة عبد الرحمن بك عزام وزير الأوقاف وعضوية كل مـن الـدكتور عبـد المـنعم ريـاض بـك والـدكتور عبـد الواحـد الوكيـل بـك والـدكتور محمـد عـوض محمد والدكتور احمد عبد السلام الكردانى والأستاذ توفيق الحكيم والـدكتور حسـن بغدادى والأسـتاذ كمـال الـدين فهمـى والأميـرالاى (عميـد) محمـد إبـراهيم سـيف الـدين لوضـع نظـام دراسـة للمعلمـين وضـباط الصـف ووضـع بـرامج خاصـة للتـدريب يكـون الغـرض منـها تقويـة الـروح المعنويـة ورفـع المستوى الثقافى والإجتمـاعى والصحى.[٤٥]

نظام تخريج الأساتذة وضباط الصف:

كمـا إجتمعت اللجنـة المؤلفـة بريـاسـة عبـد الرحمن عزام بـك قائـد الجيش المـرابط لوضع نظام تخريج الأساتذة وضباط الصف الذين يعهد إليهم بتعليم أفراد الجيش المرابط، وقد حضر إجتماع اللجنة من القائمين على تنظيم الجيش المرابط القائمقام (عقيد) علـى بك حلمى حكمدار مديرية البحيرة، والأستاذ يوسف مصطفى أفندى المدرس بالكلية الحربية وتولى الأستاذ عبد المنعم خلاف أعمال السكرتارية.

---

(٤٢) المصور: ١٩٣٩/١١/٢٤ – عدد سابق – ص٢٤.

(٤٣) آخر ساعة المصورة: العدد السابق – ص١٣.

(٤٤) محب الدين الخطيب: مجلة الفتح – العدد ٦٧٠ – العام ١٤ – ٢٣ رجب ١٣٥٨هـ– ص٥.

(٤٥) المصرى: ١٩٣٩/٩/٢٩ – ص٧.

وقد أفتتح رئيس اللجنة الجلسة بكلمة بين فيها الفكرة من إنشاء القوات المرابطة وضرورة العناية بالناحية التهذيبية والثقافية في تكوين المرابطين حتى يشع منهم الإصلاح إلى بيئاتهم المختلفة، وأوضح أن مهمة اللجنة تتصل بصميم إصلاح عامة الشعب ورفع مستوى الحياة بين الأفراد وتنفيذ وسائل الإصلاح التى طالما نادى بها المصلحون، وبين أن اللجنة جديره بالاضطلاع بما سيعهد إليها بما هو معروف عن أعضائها من الكفاية والإخلاص. ثم تلا السكرتير المرسوم الملكى بقانون إنشاء القوات المرابطة ودارت مناقشات طويلة في المسائل الواردة في جدول الأعمال إنتهت بإتخاذ القرارات التالية:-

١- مخاطبة وزارة الدفاع للاستعانة بالضباط الإحتياطيين إلى أن يحتاج إليهم الجيش العامل.

٢- قرار بإقتراح إضافة منهج عسكرى لطلبة السنة النهائية بمعهد التربية البدنية للبنين لتخريجهم ضباطاً مرابطين في مدى ستة أشهر.

٣- قراراً بأن تكون دراسة ضباط الصف والجنود واحدة.

٤- تأليف لجان فرعية لوضع تفصيلات المنهج الثقافى.

٥- تأليف لجنة فرعية لبحث مستوى المتطوعين وتقسيمهم إلى فئات وقبول فرق كاملة من الجمعيات والأندية التى تقدمت للتطوع مع وضع برنامج خاص لدراستهم.[٤٦]

٦- المواد الثقافية التى تدرس للمرابطين هى:-

أ- الفضائل الدينية والخلقية.

ب- مبادئ الصحة والأسعاف والوقاية.

جـ- مبادئ الشئون الإقتصادية.

---

(٤٦) الدستور: ١٩٣٩/١٠/١

د- التربية القومية وشؤون الحياة.

هـ- الخدمة الإجتماعية.

و- العوامل المساعدة كالأناشيد والتمثيل والملاهى.

٧- ضم حضرات ميريت غالى بك والدكتور احمد حسين وكيل قسم التعاون عضوين في اللجنة العامة.[٤٧]

وتقرر كذلك أن يكون الأستاذ عبد الله شعيب المدرس بمدرسة البوليس والأستاذ زكريا عبد السلام المحامى بالإسكندرية عضوين مراسلين بما يبديان من الإقتراحات.[٤٨]

ولقد كان النظام الذى وضع مشروعه لإنشاء الجيش المرابط معيناً على معالجة الكثير من الأمور لأنه:-

أولاً: يحقق للبلاد ما ترجوه من تقوية الروح المعنوية وإنشاء قوة عسكرية يحسب لها أكبر حساب.

ثانياً: يصلح كثيراً من الآفات الإجتماعية التى تشكو البلاد منها، ففى المقام الأول يستطيع هذا النظام أن يوجد لمصر في خلال ثلاث سنوات مائتى ألف جندى صالحين للقتال وفى الإستطاعة حشدهم في ١٢ ساعة. وهذا يجعل لصداقة مصر في الميدان الدولى قيمتها.

وفى المقام الثانى يعود نظام الجيش طوائف كبيرة من الأهالى النظافة والنظام، ويبث فيهم روح التضحية والرجولة، فتتحسن حالة الأمن ويرتفع المستوى الإجتماعى للمعيشة في الإقليم.[٤٩]

---

(٤٧) المصرى : ١٩٣٩/١٠/٢ .

(٤٨) الدستور: ١٩٣٩/١٠/١ .

(٤٩) محب الدين الخطيب: مجلة الفتح- العدد السابق- ص٥.

ويكون مركز القيادة هو نواة هذا الجيش بمقتضياتها ووظائف القيادة فيها، وسوف تختار أراضى هذه المعسكرات.(٥٠)

وتقرر أن يُنشأ أول معسكر للجيش المرابط في إقليم البحيرة، ثم يتوسع في إنشاء معسكرات أخرى في باقى المديريات بعد الاستفادة من تجربة معسكر البحيرة وتدارك الأخطاء التى تظهرها هذه التجربة. وقد راعت وزارة الدفاع أن تكون جميع حاجيات الجيش الإقليمى من ملابس وغيرها مصرية مصنوعة في مصر.(٥١)

وفى ديسمبر ١٩٣٩ كان الإتجاه قوياً لإنشاء ٢٥ معسكراً للجيش المرابط في جميع أنحاء البلاد، خلال السنة المالية ١٩٤٠.(٥٢) ولكن كانت العقبة التى تقف في طريق الإكثار من هذه المعسكرات هى قلة عدد الضباط وضباط الصف الزائدين عن حاجة الجيش العامل. فكل معسكر يحتاج إلى أربعة ضباط و١٢ ضابط صف، وقد إضطرت قيادة الجيش المرابط إلى الإستعانة على توفيرهم بضباط من البوليس وخفر السواحل وغيرها من المصالح العسكرية. أما ضباط الصف فقد إضطرت لأخذهم من رديف الجيش القدماء وهم قليلو الدراية بشئون التدريب الحديث.

لذلك جئ بهم قبل إنشاء المعسكر الأول بأسبوعين، وتدربوا تدرباً حديثاً وحدت فيه الأساليب المختلفة، ويرقى المجند إلى رتبة أعلى، وينقل كل منهم إلى المعسكر القريب من بلده متى وجد ذلك المعسكر، ومراعاة للاقتصاد جعلت مرتباتهم أقل من مرتبات أمثالهم في البوليس، وإن كانت أكثر من ضعف مرتباتهم في أثناء الخدمة العسكرية.(٥٣)

أما عدد المعسكرات، فلم يتجاوز الأربعة أحدهما (سيدى بشر) بالإسكندرية، والثانى (دمنهور) بمديرية البحيرة، والثالث بحلوان، والرابع في شبرا.(٥٤)

---

(٥٠) المقطم: ١٩٣٩/٩/٣ .
(٥١) المصرى: ١٩٣٩/٩/٣ .
(٥٢) الأهرام: ١٩٣٩/١٢/٢ – العدد ١٩٨٣٨ – ص ٦.
(٥٣) المصور: ١٩٣٩/١١/٢٤ – عدد سابق – ص ٢٥.
(٥٤) الأهرام: العدد السابق – ص ٦.

وأغلب الظن أن يكون أحد هذين المعسكرين الثالث أو الرابع معسكراً نموذجياً تنشأ فيه مدرسة لتدريب الضباط وضباط الصف لفترة قليلة قبل إلحاقهم بالمعسكرات وذلك رغبة في توحيد أصول التدريب في جميع المعسكرات. أما المعسكر الأول (سيدى بشر) فقد روعى في إنشائه أن يكون تجربة تعرف بها مطالب الفرق المرابطة وتظهر الأخطاء التى ينبغى تجنبها. وقد إنتظم فيه العمل سريعاً.(٥٥)

ويؤخذ من إحصاء رسمى، أن الجندى في الجيش المرابط لا يكلف الدولة أكثر من خمسة عشر جنيهاً في السنة، منها المأكل والملبس ومرتبات الضباط والمدرسين وغير ذلك.(٥٦)

وتكون الجيش المرابط في كل معسكر من ٢٥٠ جندياً يقودهم قائد عام برتبة اليوزباشى (نقيب) وينقسم المعسكر إلى سريتين كل سرية تنقسم إلى ثلاث فصائل، يقود كل فصيلة منها أحد الضباط، وتنقسم كل فصيلة إلى ثلاث جماعات يرأس كل جماعة منها ضابط صف، برتبة المحارب أو المجاهد.(٥٧) ويظل الجندى بالجيش المرابط مدة ثلاثة أشهر وبذلك يتخرج من كل معسكر، خلال كل سنة ألف رجل، أى أربعة آلاف رجل من هذه المعسكرات الأربعة.(٥٨)

أما العمل اليومى في المعسكر فكان التربية البدنية ساعة في الصباح، تعقبها ثلاثة طوابير للتدريب العسكرى المقرر لسلاح المشاة بأنواعه المختلفة. ثم ساعة بعد الظهر يستنفذها الجنود في إنشاء المعسكر من ترميم الأبنية ونجارة وحداده وتمهيد للأرض وإصلاح دورات المياه، على أن يقوم كل جندى بما يتقنه من هذه الأعمال.(٥٩)

ومن الملاحظ أن معظم المرابطين أميون، فلم يتم تثقيفهم وتهذيبهم عن طريق

---

(٥٥) المصور : العدد السابق – ص٢٤ .

(٥٦) الأهرام: ١٩٣٩/١٢/٢ – العدد السابق – ص٦.

(٥٧) الأهرام: ١٩٣٩/١٠/١٤ – العدد ١٩٧٨٩ – ص١٠.

(٥٨) الأهرام: ١٩٣٩/١٠/٦ – العدد ١٩٧٨١ – ص٧.

(٥٩) المصور : العدد السابق – ص٢٥ .

القراءة والكتابة ولكن عن طريق المشاهدة والسماع والحس والتشويق والقصص[٦٠] لذلك إتخذت عدة قرارات أهمها أن يكون في كل معسكر آلة عرض سينمائى للإستعانة بها في تثقيف الجنود وأن تقام صلاة الجمعة في المعسكرات على أن يتولى وعظ المرابطين وإرشادهم وإمامتهم عالم من علماء المنطقة التى فيها المعسكر على سبيل التطوع.[٦١]

أما بناء المعسكرات فلا يتم حتى تصبح أراضيها ملكاً للجيش المرابط أو مؤجرة له مدة طويلة وقد تبرع بعض المصريين كسيد باشا البدراوى، وعبد الرحمن فكرى بك بأراضى من ممتلكاتهم للجيش المرابط لإقامة المعسكرات عليها.

وبعد إنقضاء الأشهر الثلاثة يعطى كل جندى وثيقة تثبت قضاءه مدة التدريب ودرجة إجادته لما تعلمه، ثم يسرح إلى بلده حيث يبقى طول مدة الخدمة العسكرية مستعداً لتلبية الدعوة إلى حمل السلاح في أى وقت، كما يعود إلى التدريب بضعة أسابيع في كل عام لتثبيت ما تعلمه، وتلقى دروس وتدريب أرقى على إستعمال مدافع الماكينة الخفيفة والثقيلة ومدافع الهاون وأنواع القنابل فتلك واجبات كل جندى من المشاة في الجيوش الحديثة.

أما مدة التدريب الأولى فتقتصر على إستعمال البندقية والسنكى في ظروف القتال المختلفة.[٦٢]

إنشاء المعسكرات وإدارتها:

وضعت اللجنة العليا للجيش المرابط قواعد وأنظمة لهذا الجيش تعد بمثابة سياسة صحية تتبع في إقامة معسكرات القوات المرابطة وإدارتها ونستعرضها فيما يلى:-

---

(٦٠) المصور : نفسه – ص٢٤ .

(٦١) المصرى : ١٩٣٩/١١/٣ – ص٧ .

(٦٢) المصور : العدد السابق – ص ٢٥.

أولاً: إنشاء المعسكرات:

١- تنشأ معسكرات القوات المرابطة بأمر يصدر من القائد العام مبيناً به الجهة وعدد أفراده والموظفين اللازمين لإدارته.

٢- عند إصدار الأمر بإنشاء معسكر يقوم مفتش المنطقة بإختيار المكان اللازم وإخطار الإدارة لتشكيل لجنة من الوكيل العام أو من ينتدبه من الضباط ومفتش المنطقة وطبيب ومهندس تنتدبهما الإدارة العامة لمعاينة المكان ويشمل تقريراً وافياً عن مساحته وموقعه بالنسبة للمساكن وطرق المواصلات وموارد المياه ومشتملاته إن كان قائماً وما يقترح لإعداده ويرفق به رسم عن المحال التى يرى إقامتها بالخشب أو البناء أو خلافه ومقايسه بالمصروفات والمدة التى ينتظر إعداد المعسكر فيها، ويقدم التقرير إلى القائد العام للإعتماد وتحديد يوم الإفتتاح ثم يقوم كل قسم من أقسام الإدارة العامة بعمل الإجراءات الآتية تمهيداً للإنشاء.

أ- عمل الإجراءات اللازمة لإستلام المكان وإعداده.

ب- إخطار إدارة القرعة لتجنيد العدد اللازم من المجندين المقيمين بدائرة المعسكر ليكونوا في المعسكر في الوقت المحدد للإفتتاح.

جـ- تحضير الأدوات والمهمات والملابس والتعاقد مع المتعهدين لتوريد التعيينات اللازمة.

٣- يدير كل معسكر قائد برتبة نقيب على الأقل وثلاثة ملازمين ما لم يصدر أمر بغير ذلك من القائد العام.

٤- يكون المعسكر معداً لقبول المجندين ومجهزاً بكل الأدوات قبل وصولهم بخمسة أيام.

٥- على مفتش المنطقة تتبع العمل في إنشاء المعسكر ومتى إنتهى إعداده يبلغ الإدارة العامة لتكليف اللجنة السابق تشكيلها بمعاينته بحضور قائد المعسكر وعمل محضر من صورتين بمشتملاته وتسليم المعسكر إلى القائد والتوقيع منه على المحضرين بالإستلام ويترك له صورة لحفظها بالمعسكر والثانية ترسل إلى الإدارة العامة وإذا وجدت اللجنة وجود نقص في العمل أو مخالفته للشروط المتفق عليها مع المقاول

فتشير بذلك في المحضر لتكليف المقاول بالقيام بما تعهد به وعدم صرف القيمة المستحقة إليه إلا بعد قيامه بكل الأعمال التى كلف بها طبقاً للشروط.

٦- على القائد عند إستلامه المعسكر بعد أنشأئه أن يخطر الإدارة العامة بالإستلام ويطالب بصفة مستعجلة بما يكون غير مستكمل من الأدوات والمهمات وغيرها وكذلك الإخطار عن عدد المجندين عند وصولهم على الأورنيك الذى يوضع لذلك.

٧- يقبل المرابطون المجندون في المعسكرات ثلاث مرات في السنة، في التاريخ الذى تحدده الإدارة العامة حسب ظروف كل معسكر وعلى الإدارة العامة إخطار إدارة القرعة بتجنيد العدد اللازم من المجندين المقيمين بدائرة المعسكر قبل الموعد المحدد بأسبوعين على الأقل.

٨- على قائد كل معسكر إخطار الإدارة العامة بالتاريخ المنتظر تسريح المرابطين فيه ويرسل هذا الإخطار قبل إنتهاء المدة المقرره لبقاء المرابطين بالمعسكر بثلاثة أسابيع على الأقل ليتسنى إخطار إدارة القرعة للتجنيد.

٩- ينشأ بالإدارة العامة سجل كالنموذج الذى يوضع لذلك لقيد المرابطين في كل معسكر وينشا أيضاً ملف (دوسيه) لكل معسكر يكون شاملاً لكل المكاتبات والرسوم المتعلقة بالإنشاء ويحفظ بالأرشيف للرجوع إليه.

١٠- تحدد الإدارة العامة موعد حضور المرابطين المسرحين إلى المعسكرات للتمرين السنوى والمدة التى يقضونها في التمرين وتخطر المعسكرات بذلك للاستعداد، ويراعى في تحديد هذه المواعيد عدم إعتراضها مع المواسم الزراعية حسب حالة كل منطقة.

١١- تدريب المرابطين على الأعمال العسكرية وتثقيفهم يكون طبقاً للطريقة والمنهج المعتمدين من القائد العام.

١٢- الأسلحة توضع في مكان خاص وتكون عهدة مدرب كل جماعة وتوزع بمعرفته في كل مرة عند التمرين وتجمع منهم بعد إنتهاءه وبعد التفتيش عليها توضع بمعرفته في السلاحليك وتربط بجنزير ويقفل بقفل والمفاتيح جميعها عند إنتهاء التدريب اليومى تعلق بدولاب له غطاء من زجاج مقسم إلى خانات بنمر مسلسلة تدل كل منها

على رقم الفصيلة ويوضع مفتاح كل فصيلة في خانته، ويقفل هذا الدولاب ويختم عليه بالجمع (بالشمع) الأحمر بخاتم الضابط النويتجى الذى عليه مباشرة هذه العملية ويحفظ مفتاحه مع رئيس الحرس الليلى ويثبت ذلك بمعرفة الضابط النويتجى بدفتر تسليم السلاح ويوقع عليه منهما بالتسليم والتسلم ويلاحظ أن مفتاح كل قفل لا يفتح على الآخر ويفتش على الأسلحة بمعرفة ضابط كل سرية للتحقق من نظامها وسلامتها والتتميم عليها للتأكد من ضبطها والقفل عليها وفى صباح اليوم الثانى يفتح الدولاب بمعرفة الضابط النويتجى بعد إلتحقيق من سلامة الختم وتوزع المفاتيح على المدربين ويثبت ذلك بالدفتر الخاص، أما في الفترات التى تتخلل التدريب اليومى فتبقى الأسلحة عهدة المدرب على أن لا تترك مطلقاً مع أحد من المرابطين.

١٣- الجبة خانة التى توجد بالمعسكر لتمرينات ضرب النار يكون عهدة الضابط المعين لضرب النار – توضع في صناديق مقفلة ولا تفتح إلا بمعرفته وتختم في كل مرة بالشمع الأحمر وأما الجبة خانة الخاصة بالحرس فتوضع في صندوق مقفل ولا تفتح إلا بمعرفة الضابط النويتجى عند توزيعها على الحراس في كل ليلة وتختم في كل مرة بالجمع (الشمع) الأحمر.

١٤- متى أتم المرابطون التدريب العسكرى يمرنون على ضرب النار في الموعد الذى تحدده الإدارة العامة بناء على طلب مفتش المنطقة.

١٥- يستعمل في تمرينات ضرب النار عدد ٥ طلقة فشنك وعدد ٣٠ طلقة رصاص وتستغرق مدة ضرب النار أربعة أيام.

١٦- يصرف في كل يوم إلى المرابط بمعرفة القائد الطلقات المقرر إستعمالها في الميدان عند ضرب النار في ذات اليوم ولا تصرف إليه الطلقات كلها دفعة واحدة.

١٧- لا يسرح أحد من المرابطين بعد إلحاقه بالمعسكر إلى بأمر من القائد العام يبين فيه أسباب التسريح ويؤشر بذلك قرين الإسم بالسجل العام بالإدارة العامة والمعسكر.

١٨- التسريح العام يكون في الموعد الذى تحدده في كل مرة الإدارة العامة.

١٩- عند تسريح المرابط يحرر إليه المعسكر تذكرة كالنموذج الذى يوضع لذلك وتستوفى جميع خاناتها ويضع قائد المعسكر عليها إمضاءه وترسل إلى الإدارة العامة قبل موعد التسريح بخمسة عشر يوماً على الأقل للتوقيع عليها من القائد العام وردها إلى المعسكر لتسليمها إلى المرابط ويؤشر على هذه التذكرة في كل مرة يحضر فيها المرابط إلى التمرين السنوى ولا تعطى هذه التذكرة لمن يسرح قبل قضائه مدة شهر في التدريب الفعلى ولا يمنح تذكرة بدل فاقد إلا بأمر من القائد العام أو وكيله ويثبت عليها أنها بدل فاقد ونمرة وتاريخ الأمر الصادر بمنحها.

٢٠- درجة الأخلاق التى تثبت في التذكرة تكتب بأسلوب واحد وتتبع العبارات الآتية: قدوة حسنة – جيدة جداً – جيدة – جيدة نوعاً – متوسطة – رديئة – رديئة جداً.

٢١- لمفتش المنطقة بناء على توصية قائد المعسكر أن يطلب من الإدارة العامة ترقية المرابط إلى درجة ضابط صف إذا أتم مدة التدريب العسكرى ورغب قبول العمل بالقوات المرابطة وبعد أدائه الامتحان في التدريب العسكرى والإملاء والحساب والثقافة العامة وفق التعليمات التى توضع لذلك وأن لا تقل درجة أخلاقه عن جيد.

٢٢- طلبات راغبى الإلتحاق في القوات المرابطة بصفة متطوعين تقدم إلى الإدارة العامة للتصرف فيها وفق القواعد التى توضع لذلك. بعد قيدها فى دفتر خاص بتسلسل وصولها.

٢٣- يشرف طبيب على الشئون الصحية ومعالجة المرضى بكل معسكر ويكلف مهندس بالإشراف على أعمال المبانى في المعسكرات والعمل على صيانتها.

٢٤- تعيين الموظفين مهما كانت درجاتهم أو نقلهم أو إنتدابهم من معسكر لآخر أو ترقيتهم لا يكون إلا بأمر القائد العام أو وكيله.

٢٥- تضع الإدارة العامة لكل معسكر مُرتبة من الموظفين بإختلاف رتبهم وفئاتهم ومقررات بما يلزمه من الأدوات والمهمات والملابس وغيرها وكذلك مقررات تفصيلية بما يصرف إلى كل مرابط من الأصناف وما يخصه من الغذاء في اليوم ولا تعدل هذه

المقررات إلا بأمر القائد العام أو وكيله وعلى قائد المعسكر إبلاغ الإدارة العامة فوراً عندما يطرأ نقص أو عجز في الموظفين أو المهمات وغيرها.

٢٦- ينشأ لكل من الموظفين الخارجين عن هيئة العمال ملف خدمة وترسل صورة منه إلى المعسكر ويحفظ الأصل بالإدارة العامة، وأما المعينون منهم بالإدارة العامة فيعمل لهم الملف من صورة واحدة تبقى بإسم المستخدمين وعند نقل الموظف من جهة لأخرى يرسل الملف إلى الجهة المنقول إليها بعد إستيفاء خاناته.

٢٧- يقدم قائد المعسكر إلى مفتش المنطقة في شهر ديسمبر من كل سنة تقرير سرى على النموذج الذى يوضع لذلك عن كل ضابط وموظف داخل هيئة العمال ملحقاً بالمحضر وعلى المفتش بعد إبداء الرأى عليه رفعه إلى الإدارة العامة.

وموظفو الإدارة العامة تقدم عنهم هذه التقارير إلى القائد العام مباشرة بمعرفة رؤساء الأقلام.

٢٨- الجزاءات التى توقع على الموظفين الغير دائمين والمرابطين تكون وفق النموذج الذى تضعه الإدارة العامة والأمور التى لا تدخل في إختصاص مفتش المنطقة ومساعده وقائد المعسكر يُعمل عنها تحقيق وترسل إلى الإدارة العامة.

٢٩- الأمور التى تقع من المرابطين أو ضباط الصف وتوجب المحاكمة العسكرية تحال أوراقهم بأمر القائد العام أو وكيله على السلطة المختصة في الجيش للفصل فيها وينقل المُحاكم إلى قوة الجيش نهائياً.

٣٠- ترسل المعسكرات إلى الإدارة العامة في اليوم الأول والخامس عشر من كل شهر يوميه بعدد المرابطين والمرضى منهم في يوم تحريرها والمخالفات التى وقعت خلال الأسبوع والجزاءات التى وُقِعَت، وعدد الزيارات الصحية ومرات التفتيش وتعمل اليومية كالنموذج الذى يوضع لذلك.

٣١- تصدر الإدارة العامة أوامر عمومية تُبلغ إلى الفروع التابعة إليها بالأمور التى ترى لزوماً لنشرها.

٣٢- يسير العمل في جميع المعسكرات على منوال واحد حسب توزيع العمل اليومى الذى تضعه الإدارة العامة طبقاً لمناخ كل منطقة.

٣٣- لا تمنح أجازة إلى المرابطين إلا بعد قضاء شهر في التدريب وتكون قاصرة على الغياب يوم الجمعة ويوم العطلات الرسمية من الصباح إلى المساء ولا يتغيب عن المعسكر في الدفعة الواحدة أكثر من ثلث القوة وتحصر إسماء المصرح إليهم حتى لا يفوت أحدهم الدور ولا يسمح إلى أحدهم بالمبيت بمنزله إلا إذا ثبت أنه متزوج.

٣٤- عند سفر أحد المرابطين أو المدربين بأجازة تعطى إليه الشهادة التى تخول له الركوب بقطار السكك الحديدية بربع أجرة.

٣٥- تلبس القوات المرابطة الملابس الشتوية والصيفية في المواعيد التى تقررها الإدارة العامة لكل معسكر.(٦٣)

واشترط في المدن التى تنشأ بجوارها المعسكرات أن تكون فيها مياه نقية للشرب ونور كهربائى عام لإمداد المعسكر بهما ومستشفى حكومى حسن الاستعداد وألا تكون لها شهرة بحدوث أوبئة خاصة. ويفضل من تلك المدن ما يكون بها بحار عامه، ويكون بعيداً عن البرك والمستنقعات وأن يكون المعسكر في أرض مرتفعة جافة وتكون مساحته أثنى عشر فداناً على الأقل ويستحسن أن تكون مستطيلة الشكل ضلعها الشمالى ٢٥٠ متراً والجانبى ٢٠٠ متر.

---

(٦٣) رئاسة القوات المرابطة: الإدارة العامة– ملف بدون رقم تحت عنوان (نظم المعسكرات) – المطبعة الأميرية – ١٩٣٩– ص١,٢ – المكتبة الخاصة بالدكتور. عمر عزام.

ويشمل المعسكر المعد لإقامة ٢٥٠ جندياً و٢٥ ضابط صف و ٤ ضباط وقائد، على ثكنات لنوم المجندين وضباط الصف بمعداتها الصحية ومطعماً للجنود وضباط الصف ومطبخاً وملحقاته ومغسلاً ومنشراً ومعدات صحية خارجية وعيادة ملحق بها صيدلية ومعزلاً مؤقتاً ومكاناً للمحاضرات والسمر ومخزناً للتعيينات ومخزناً للمهمات ومسكناً لأربعة ضباط ومسكناً للقائد فوق مسكن الضباط بمدخل منفصل ومكتباً للمعسكر وقرقول يسع ١٢جندياً بجوار باب الدخول وسجناً وجراجاً يسع سيارتين ومبخرة مركزية ثابتة ومستودعاً للقمامة وفرناً لحرقها وميدان التمرين العسكرى و "كانتين".

ويراعى منعاً للعدوى ألا تزيد سعة كل عنبر عن ٢٥ أو ٥٠ في كل دور أو مبنى منفصل غير خمسة ضباط صف في الحجرة الخاصة بهم. ولذا يكون عدد الثكنات اللازمة لإيواء ٢٥٠ جندياً و٢٥ ضابط صف هى خمسة مبانى من ذات الدور الواحد أو أقل من ذلك إذا كان البناء من دورين.

ويفضل أن تكون المبانى من الحجر أو الطوب الأحمر ويمكن أن تكون من الطوب الأخضر على أن يبنى الأساس إلى ارتفاع متر عن سطح الأرض بالحجر أو الطوب الأحمر. أو أن تكون المبانى من مواد أنشائية أخرى صالحة. ويجب في كل الحالات وضع طبقة عازلة للرطوبة في الجدران تكون على أرتفاع من الأرض وتحت منسوب أرض المبانى من الداخل.

وتنشأ الثكنات في الربع الشمالى الشرقى من المعسكر ويجب أن تكون أسرة النوم من الحديد وتدهن الجدران من الداخل دهاناً جيداً منعاً من الحشرات وتعد دواليب منفصله للملابس.

وتتكون المعدات الصحية في كل مبنى من أربعة مراحيض شرقية وستة حمامات رشاشة وثلاث مباول وعشرة صنابير لغسل الأيدى والوجه وهذه الأخيرة تقسم إلى مجموعتين تصب كل منهما في حوض واحد ويخصص مرحاض وحمام رشاش لضباط الصف.

كما ينشأ مبنى خاص لمطعم الجنود وضباط الصف ولا يسمح بإستعمال ثكنات النوم للطعام محافظة على النظافة ومنعاً للعدوى. ويكون المبنى مشابهاً لثكنات النوم بصفة عامة ويكون خلفها.

وتغطى المناضد الخشبية التى تتسع كل منها لخمسة وعشرين شخصاً بالزنك ليسهل تنظيفها وتعد في أركان العنابر دواليب كبيرة لحفظ أوانى الطعام وأدواته.

ويكون المطبخ وملحقاته خلف المطعم ويتصل به بطرقة مسقوفة من أعلى ولكنها مفتوحة من الجانب ويتكون من مطبخ وحجرة تحضير وحجرة لغسل الأوانى ومخزن للأوانى ومخزن للطعام ومخزن للوقود.

وينشأ المغسل خلف المطبخ ويحتوى على غرفة لإستلام الملابس وحجرة مخزن الصابون وحجرة كبيرة للمغسل وحجرة للغلاية وأخرى لحفظ الملابس النظيفة ويكون المنشر شرقى هذا المبنى.

ويوضع لكل جندى داخل الثكنات "قلة فخار" وكوب ألومنيوم خاصتان به، أما العيادة فتتكون من حجرة إنتظار وأخرى لطبيب الفحص وثالثة للعمليات الصغرى وصيدلية وحجرة للعزل المؤقت ومرحاض. وينشأ جنوب العيادة مكان للمحاضرات والسمر ويتكون من قاعة كبيرة وحجرتين إحداهما مخزن لأدوات الدراسة والأخرى للمعلمين.

قيادة المعسكرات:

وتنقسم إلى:-

١- إدارة القوات المرابطة وتختص بالآتى:-

الضبط والربط- المحاكمات العسكرية - مستخدمين عسكريين (ضباط) ومدنيين (كتبة لشئون المعسكرات) - نقل الجنود.

٢- إدارة الإمدادات وتختص بالآتى:-

التعيينات - التشهيلات (أكل ونقل) - مهمات أسلحة وذخيرة- أدوات المعسكرات وإنتخاب مواقعها.

٣- إدارة العمليات والتدريب والتنظيم وتشرف على التعليم العسكرى والثقافى

أ- تنظيم الخلايا.

ب- مناهج التعليم.

ج- توحيد التعليم.

د- الإشراف على ضرب النار وتحديد الميادين بالإتفاق مع الجيش العامل وتحديد الذخيرة وخلافه.

ويكون لكل فرع من هذه الإدارات ضابط واحد وكاتب مبدئياً ويزداد العدد إذا دعت الحاجة إلى ذلك مستقبلاً.

النظام الصحى للمجندين:

يُقَسم الجنود الجدد عند الوصول إلى المعسكر إلى طوائف تتكون كل منها من نحو ٥٠ مقترعاً أو أقل كل يوم للفحص الطبى وقص شعورهم وتطهير ملابسهم.

ويحال إلى قومسيون طبى من مفتش صحة المديرية والطبيب الأول للمستشفى وطبيب المعسكر المصابون بأمراض عضوية في القلب أو درن أو تشوهات أو أمراض مستعصية أخرى فإذا وافق القومسيون على أنهم مرضى يسرحون نهائياً.

ويتولى قومندان المعسكر وضباطه الإشراف الصحى على المعسكرات بمساعدة الطبيب والمعاون الصحى أو ضباط الصف المساعد للطبيب. وتنحصر الإدارة الصحية في كلمة واحدة هى (النظافة) أى نظافة كل شئ من مبان أو مفروشات أو أدوات أو أرض فضاء.

كما وضعت قواعد تفصيلية بشأن طعام الجنود وأدواته ونظافة الجنود ومفروشاتهم. كما نص على أن تتكون الوحدة الطبية في المعسكر من طبيب (بعض الوقت) ومعاون صحى أو ضابط صف دائم وممرض.

ولابد أن يمر الطبيب كل أسبوع على ثكنات النوم ومعداتها الصحية ونظافة المفروشات والتأكد من قيام الجنود بالنظم الخاصة بالإستحمام في المواعيد المقررة.

وكذلك يمر المعاون الصحى يومياً على المعسكر ويعطى دروس الثقافة الصحية للجنود طبقاً للبرنامج المقرر.[٦٤]

نظام المعسكرات:

١- ينشأ المعسكر لتدريب ٣٠٠ مرابط على الأقل لمدة أقلها ثلاثة أشهر وأقصاها ستة شهور.

٢- عند وصول المرابطين إلى المعسكر للتدريب أو لقضاء مدة التمرين السنوى يتمم عليهم من واقع الأوراق الواردة من القرعة أو المركز وتحصر إسماء الجدد منهم في السجل العام الخاص بقيد المرابطين وكذلك يؤشر بالسجل قرين إسماء الحاضرين للتمرين السنوى وكذلك بملف خدمة كل منهم بما يفيد حضورهم.

٣- تقسم قوات كل معسكر إلى سريات كل سرية ١٠٠ عسكرى تكون تحت قيادة ضابط برتبة ملازم ويكون مسئولاً عن تدريبهم وتثقيفهم وعن ملابسهم وقيافتهم وأدواتهم ومهماتهم وأسلحتهم وغذائهم ونظافتهم وكل ما يتعلق بهم ويعين معه العدد الكافى من ضباط الصف ويعهد إلى كل منهم بقسم من السرية ويكون مسئولاً أمام ضابطه الأعلى عن تدريبهم وتوافر النظام بينهم وعما في عهدتهم وكافة شؤونهم ويعمل كشف بهذا التقسيم وكل تعديل يطرأ عليه يؤشر به بخط قائد المعسكر.

٤- ينشأ لكل مرابط أُلحق بالمعسكر للتدريب ملف كالنموذج الذى يوضع لذلك وتستوفى خاناته أول بأول ويحفظ هذا الملف بالمعسكر للتأشير عليه كلما حضر المرابط للتمرين السنوى وهذه الملفات تبقى بالمعسكرات إلى أن تنتهى مدة الخدمة الإلزامية ثم ترسل إلى الإدارة العامة لحفظها المدة المقررة للرديف وبعدها تحول إلى إدارة المحفوظات العامة لحفظها بها.

٥- عند وصول المرابطين إلى المعسكر يكشف عليهم طبياً في الحال بمعرفة الطبيب المختص ويؤشر بمعرفته على الملف الذى ينشأ لكل مرابط بحالته الصحية ثم تحلق شعورهم ويستحمون بالماء الساخن والصابون وتصرف إليهم الملابس المقررة

---

(٦٤) البلاغ: ١٩٣٩/١٢/٧.

وتعين لهم محلات نومهم. والملابس الخصوصية التى توجد مع المرابطين عند حضورهم ترسل فوراً إلى المبخرة لتبخيرها ثم تسلم إلى ذويهم أو تودع بالمخزن على ذمة أصحابها لحين تسليمها لذويهم.

٦- من يتبين إصابته بمرض غير معدِ يعالج بالمعسكر أو بأقرب مستشفى أميري حسب إشارة الطبيب وإذا كان المرض يستدعى علاجاً أطول من المدة المحددة لبقائه في المعسكر فتخطر الإدارة العامة للتصرف وأما إذا كان المرض معدياً فيعزل عن الآخرين تحت ملاحظة الطبيب إلى أن تتصرف الإدارة العامة في أمره.

٧- المرابط المصاب بمرض لا يمنعه من التدريب كلية، يطلب من الطبيب تحديد ساعات التدريب اليومى التى تتفق مع حالته الصحية ويثبت ذلك بمعرفته على ملف المرابط ودفتر العيادة.

٨- المرابط الذى يثبت أنه حاول التخلص من خدمة القوات المرابطة سواء كان ذلك بإحداث إصابة في نفسه أو بغير ذلك من الطرق تبلغ عنه الإدارة العامة للنظر في محاكمته عسكرياً.

٩- يرسل إلى الإدارة العامة خلال أسبوع من وصول المرابطين المجندين للتدريب أو التمرين السنوى، كشف بالإسماء "على الأورنيك الذى يوضع لذلك" يبين فيه البلد وحالة المرابط الصحية وغير ذلك من البيانات التى يتطلبها الحصر.

١٠- الملابس والمهمات وغيرها التى تصرف إلى المرابطين تكون وفق المقررات المبينة بلائحة المخازن ولا يستهلك شئ منها إلا بعد إنقضاء المدة المقررة لإستعمال كل صنف ويكون التكهين بواسطة لجنة تحت رئاسة المفتش وعضوية قائد المعسكر وأحد الضباط.

١١- الملابس وغيرها التى تصرف إلى المرابطين تنمر بنمرة قيده بالسجل.

١٢- يسمح لأقارب المرابطين بزيارتهم في المعسكر في المكان والزمان الذى يحددهما قائد المعسكر على أن يكون ذلك نهاراً وفى غير أوقات التدريب وفى مكان منعزل بحيث لا يتجولون في المعسكر ولا يختلطون بغير ذويهم.

١٣- يصرف التعيين من المخزن حسب المقررات بحضور الضابط النويتجى وصول التعيين، وتوقع هذه اللجنة على كشف التعيين الذى يحرر وفق تعليمات المخازن.

١٤- يصرف الغذاء من المطبخ ويوزع على المرابطين بحضور الضابط النويتجى والصف ضابط النويتجى اللذين عليهما إلتحقق من أخذ كل مرابط نصيبه من الغذاء

١٥- تنشر الأغطية والمفروشات في الهواء مدة ساعة مرتين في الأسبوع على الأقل حسب الأحوال الجوية لكل منطقة.

١٦- توقع الجزاءات على الموظفين الغير دائمين والمرابطين طبقاً لنموذج الجزاءات الذى تضعه الإدارة العامة وكل جزاء يوقعه قائد المعسكر يثبته بخطه بدفتر الجزاءات وينقله البلوكامين إلى ملف المذنب ويوقع القائد على الملف بعد مراجعة الجزاء على الدفتر.

١٧- الجزاءات التى توقع على الموظفين الغير دائمين تبلغ في أول كل شهر إلى الإدارة العامة لإثباتها في ملف الخدمة.

١٨- إذا طرأ على المدرب أو المرابط عذر قهرى يستدعى سفره إلى بلده يصرح إليه بأجازة لا تزيد عن ثلاثة أيام وألا يطلب التصريح من الإدارة العامة وتثبت هذه الأجازة في ملف كل منهما وتخطر عنها الإدارة لإثباتها في ملف المدرب.

١٩- يسمح إلى المدرب الخالى من الخدمة الغياب من المعسكر في أيام الجمعة والعطلات الرسمية ولا يصرح له بالمبيت بمنزله إلا إذا ثبت أنه متزوج وكذلك يجوز التصريح له بالمبيت بمنزله عند خلوه من الخدمة متى تبين أنه يقيم مع أسرته أو زوجته.

٢٠- يعطى لكل مرابط يصرح له بالغياب تصريح أجازة على الأورنيك المعد لذلك يبين فيه ساعة القيام وساعة العودة وعند عودته يؤشر الضابط النويتجى بساعة العودة وإن تجاوز حد التصريح فينظر في أمره وتحفظ هذه التصاريح بالمعسكر.

٢١- الحوادث الهامة التى تحدث في المعسكر تخطر عنها الإدارة العامة ومفتش المنطقة تليفونياً أو تلغرافياً أو كتابة حسب أهميته وتبلغ أيضاً الجهة المختصة

الواقعة في دائرة المعسكر عما يرى إبلاغه لأهميته طبقاً للتعليمات التى تضعها الإدارة العامة.(٦٥)

واجبات قائد المعسكر:

١- يكون المعسكر في عهدة قائد المعسكر، وهو المسئول عن الضبط والربط العسكرى وعن تنفيذ التعليمات بكل دقة وعن نظامه ونظافته وتوفر الوسائل الصحية ومعاملة المرابطين بالحسنى وسماع الشكاوى التى تقدم منهم وفحصها بكل عناية وصرف الملابس والمهمات إليهم وتوزيع العمل على الموظفين وقيام كل منهم بواجبه.

٢- عليه الإشراف على تدريب المرابطين وتثقيفهم طبق الطرق والمناهج الموضوعة لذلك.

٣- عليه تسليم العهده لموظف معين وأن يتبع من التعليمات ما يكفل المحافظة على التعيينات والأدوات والمهمات، والملابس وكل ما في عهدة المعسكر.

٤- عليه تسليم العهدة لضابط معين والتأكد من أن العمل يسير طبق تعليمات المخازن وعليه جرد المخزن شهرياً للتحقق من عدم وجود عجز به.

٥- عليه التفتيش شهرياً على الدفاتر والأرانيك المستعملة في المعسكر للتأكد من سير العمل فيها وفق التعليمات وكذلك التفتيش شهرياً على الملابس والمهمات "فرش متاع" للتحقق من صلاحيتها للإستعمال وعدم وجود نقص بها.

٦- يصرف التعيين من المخزن يومياً حسب المقررات بحضور الضابط النوبتجي وضابط المخزن وصول التعيين، ويوقع هؤلاء على كشف التعيين وفق تعليمات المخازن ويصرف الغذاء من المطبخ بحضور الضابط النوبتجى وصف ضابط نوبتجى المعسكر والصف ضباط نوبتجية السريات. ويوزع الغذاء على المرابطين تحت إشراف الضابط النوبتجى وصف ضباط السريات النوبتجية للتحقق من أخذ كل مرابط نصيبه.

---

(٦٥) رئاسة القوات المرابطة: الإدارة العامة – ملف بدون رقم- تحت عنوان "نظم المعسكرات" – بدون تاريخ – ص١,٢,٣ – المكتبة الخاصة بالدكتور. عمر عبد الرحمن عزام.

٧- علـى قائـد المعسـكر الإشـراف مـن وقـت لآخـر علـى صـرف التعيـين مـن المخـزن وصرف الغذاء إلـى المـرابطين والتفتـيش علـى المطـبخ وأدوات الغـذاء للتأكـد مـن نظافتها خصوصاً النحاسية منها حتى لا يعلوها الصدأ وليتأكد من جودة الأصناف التى تصرف للمرابطين سواء أكانت مطبوخة أو طازجة.

٨- عليه مراقبة إستحمام المرابطين وصرف الصابون المقرر إليهم فـي الأيـام المحـددة وتغيير ملابسهم بأخرى نظيفة.

٩- يعين فـي كـل يـوم ضـابط نـوبتجى للإشـراف علـى الأعمـال جميعهـا فـي المعسـكر وتنفيذ التعليمات ويبيت في المعسكر ليلاً.

١٠- عليه تخصيص مكان لوضع الأسلحة والجبـة خانـه وأن يعين الحـرس علـى هذا المكان ليلاً ونـهاراً.

١١- ينشـئ دفتراً لإثبـات تسليم الأسلحة بالعدد والجبـة خانـه بالصندوق إلـى رئـيس القره قول المعين على قوة السلاح وكذا يثبت فـي هذا الـدفتر تسليم الأسلحة والجبـة خانـة للحـراس والتوقيـع مـن المسـتلم. أمـا الأسـلحة المسـتعملة للتمـرين فتسلم إلى مدرب كل جماعة بالعدد، ويردها بالطريقة السالف ذكرها وأن يراجع قائد المعسكر هذا الدفتر من وقت لآخر وأن يفتش غرفة السلاح للتأكد من سير العمل وفق التعليمات ويؤشر على الدفتر بذلك مع مراعاة ما نص عليه في البند ١٣ من تعليمات إنشاء المعسكرات وإدارتها.

١٢- عند وقوع خطأ من أحد المدربين أو المرابطين يقدم إلـى ضـابط السرية لعمل أورنيك ذنب يُقدم به إلى مكتب القائد للنظر في أمره.

١٣- على القائد عقد المكتب يومياً أو في الأيام التى يقررها للفصل فيما يعرض عليه من الشكاوى والتظلمات والتقصيرات.

١٤- ينشأ في كل معسكر دفتر أحوال يثبت فيه حضور وإنصراف المفتشين والزائرين والموظفين وضباط الصف والمرابطين وخروج الطوابير والسيارات وعودتها ونـوع المأمورية وغير ذلك من الأعمال اليومية ويقيد كل بند بنمره مسلسلة مـع بيـان

الساعة والدقيقة ويبدأ عمل كل يوم في صفحة جديدة بنمرة جديدة بعد الساعة ١٢، نصف الليل وينتهى عند منتصف الليل ويكون هذا الدفتر في عهدة الضابط النوبتجى وعلى قائد المعسكر الإطلاع يومياً والتأشير عليه بما يفيد ذلك.

١٥- عليه المرور على المعسكر ليلاً في ساعات مختلفة مرة في كل أسبوع قبل وبعد منتصف الليل ويثبت مروره بدفتر أحوال المعسكر.

١٦- نقود السلفة المستديمة تكون عهدة القائد ويتصرف فيها وفق تعليمات المالية ويقوم شخصياً بصرف مرتبات الموظفين والمرابطين.

١٧- ينشأ دفتراً ليثبت فيه الطبيب ملاحظاته أثناء زيارته للمعسكر وعدد المرضى ونوع المرض والعلاج الذى يشير به، وعلى القائد الإطلاع عليه أولاً بأول وتنفيذ ما يشير به الطبيب.

١٨- على القائد عمل دفتر الأوامر اليومية والتعليمات التى يصدرها والخدمات اليومية من نوبتجية ولجان وغيرها، ويتلى على أفراد القوة بطابور المساء ما يخصهم.

١٩- ينشأ دفتر لإثبات حضور المفتشين وكبار الزائرين في كل معسكر.

٢٠- عليه إتخاذ الإرتباطات في المعسكر لمنع الحريق وعمل الإستعدادات الضرورية للإطفاء والإستعانة برجال المطافئ في أقرب نقطة.

٢١- يجب الإقتصاد الكلى في إستهلاك الماء والنور وعليه إلتحقق من وقت لآخر من عدم الإسراف في الإستعمال وأن الحنفيات لا تترك مفتوحة أو تسيل منها المياه لتلف بها ووضع التعليمات المؤدية إلى ذلك والتى تكفل التتميم على الحنفيات جميعها بعد إنتهاء العمل للتأكد من قفلها وعدم إضاءة لمبات لا ضرورة لها وتقليل الإضاءة بقدر المستطاع في الليالى المقمرة.

٢٢- ينشأ دفتر في كل معسكر يثبت فيه مقدار ما يستهلك شهرياً من الماء والنور وقيمته لمراجعة قائد المعسكر ويبحث أسباب الزيادة في الاستهلاك إن وجدت والعمل على تلافيها.(٦٦)

واجبات ضابط السرية:

١- مسئول عن نظام القوة التى في عهدته وتدريبهم وتثقيفهم وحسن هندامهم وتوفر الراحة لهم ونظافة وترتيب محلات نومهم وحسن معاملتهم.

٢- التفتيش على ملابسهم ومهماتهم وأدواتهم للتحقق من نظافتها وصلاحيتها للإستعمال وإخطار قائد المعسكر بما يكون قد استهلك أو نقص منها بالتفتيش على الأسلحة بعد إنتهاء كل تمرين والإشراف على وضعها في السلاحليك بالطريقة المبينة في التعليمات.

٣- إلتحقق من صرف الغذاء للمرابطين في مواعيده وحصول كل منهم على نصيبه ومراقبة استحمامهم وتغيير ملابسهم بأخرى نظيفة في المواعيد المحددة.

٤- مراقبة أعمال المدربين مراقبة دقيقة وأن لا يترك لهم السيطرة على المرابطين أو إساءة معاملاتهم.

٥- يتفقد شئون أفراد سريته من وقت لآخر والعمل على تلافى ما يشكون منه وأن يكون على علم تام بأخلاق كل منهم وسيرته ودرجة إستعداده.

واجبات الضابط النوبتجى:

١- مسئول عن نظام المعسكر ونظافته والخدمات وسير العمل فيه وفق جدول المواعيد.

٢- التتميم على المرابطين صباحاً ومساءاً وإثبات النتيجة بجدول الأحوال.

٣- فحص الشكاوى التى تُبلغ إليه وفحص أرانيك ذنب المذنبين وتقديمهم للمكتب.

---

(٦٦) رئاسة القوات المرابطة: الإدارة العامة – ملف بدون رقم – بعنوان "نُظم المعسكرات" – بدون تاريخ – ص ١، ٢ – المطبعة الأميرية ١٩٣٩ – المكتبة الخاصة بالدكتور. عمر عزام.

٤- التفتيش على المُسَّرح لهم بأجازة قبل خروجهم للتحقق من حسن هندامهم ومراقبة عودتهم والتأشير على تصاريح الأجازة بساعة الوصول وفقاً للتعليمات

٥- التفتيش على غرفة السلاح والجبة خانة للتحقق من وضع الأسلحة بالسلاحليك مقفلاً عليها والجبة خانة في الصناديق مختوماً عليها بالجمع (الشمع) وفق التعليمات المبينة.

٦- حضور صرف التعيين والغذاء وفق التعليمات.

٧- المرور على الحراس المعينين حول المعسكر وفرقة السلاح ليلاً ونهاراً وإثبات ذلك بدفتر الأوامر.

٨- ملاحظة تنفيذ التعليمات العامة وما يصدره قائد المعسكر من الأوامر.

٩- تقديم تقرير واف عن الحوادث الهامة التى تقع في نوبتجيته ويقدمه إلى قائد المعسكر فضلاً عن القيد بدفتر الأحوال.

واجبات الطبيب:

١- عليه زيارة المعسكر وتفقد جميع أمكنته وإرشاد المختصين إلى ما يجب إتخاذه حرصاً على الصحة العامة.

٢- فحص ما يقدم إليه من المرضى وإثبات إسمائهم وحالتهم الصحية وما يشير به من علاج في الدفتر المعد لذلك.

٣- استعراض جميع القوة مرة في كل شهر لفحصها فحصاً ظاهرياً للتحقق من نظافة أجسامهم وملابسهم.

٤- إلتحقق من قيام الممرض بتنفيذ ما يصدر إليه من تعليمات وإرشادات بشأن المرضى والأعمال الصحية في المعسكر.

٥- التأكد من حفظ الأدوية والمواد السامة بحالة تمنع وصول الأيدى إليها وأن التصرف فيها وفق التعليمات التى يصدرها إلى الممرض.

٦- تقديم كشف في كل شهر بعدد المرضى خلال الشهر ونوع المرض والجهة التى عولجوا فيها وعن الحالة الصحية في المعسكر بصفة عامة.

٧- عليه تفقد الغذاء للتأكد من جودته سواء أكان مطبوخاً أو طازجاً وأن يتحقق من نظافة أوانى الطبخ والأكل.

الضابط الصحى:

الضابط الصحى المعين بالمعسكر ضمن الضباط الاحتياطيين عليه علاوة على القيام بأعماله كضابط أن يباشر تنفيذ ما يشير به الطبيب وأن يعمل على توافر الوسائل الصحية في المعسكر وأن يعرض على قائد المعسكر وكذا الطبيب كل ما يعن له من ملاحظات.(٦٧)

ثم قُسمت المعسكرات بعد ذلك إلى أقسام حددها القائد العام للجيش المرابط، وعين في كل قسم منها ضابط عظيم أطلق عليه لقب "مفتش المنطقة".

فما هى واجبات مفتش المنطقة:

١- المفتش مسئول عن سير العمل في المعسكرات الواقعة في قسمه ويقوم بالتفتيش عليها من إشراف على الضبط والربط والتدريب العسكرى وللتحقق من أن الأمور تسير فيها وفق التعليمات وأن التعليم العسكرى والثقافى يجريان طبق الطرق والمنهج الموضوعين لذلك.

٢- إلتحقق من أن كل معسكر مستوفٍ لمقرراته من الموظفين والملابس والمهمات والأدوات والأسلحة وغيرها ومطالبة الإدارة بإستكمال النقص.

٣- مراجعة الدفاتر والأعمال الكتابية للتأكد من حسن سير العمل فيها وأن الجزاءات توقع وتنفذ طبق النموذج وأن يقوم بجرد المخازن من وقت لآخر والتفتيش على ملابس ومهمات المرابطين للتيقن من صلاحيتها للإستعمال وعدم وجود نقص فيها.

---

(٦٧) رئاسة القوات المرابطة: الإدارة العامة – ملف بدون رقم – بعنوان "نُظم المعسكرات" – بدون تاريخ – بدون ترقيم – المطبعة الأميرية سنة ١٩٣٩ – المكتبة الخاصة بالدكتور. عمر عزام.

٤- عمل طابور عام في نهاية التدريب بكل معسكر وأختبار المرابطين أيضاً فيما ألقى عليهم من محاضرات وإخطار الإدارة العامة لتجديد يوم التسريح.

٥- الإتفاق مع الجهة المختصة في المنطقة التى فيها المعسكر على الزمان والمكان اللذان يختاران لضرب النار وإخطار الإدارة العامة بذلك للإحاطة.

٦- الإشراف على تسريح المرابطين وعمل الإجراءات اللازمة لتسهيل نقلهم إلى بلادهم.

٧- عند إصدار الأمر بإنشاء معسكر يقوم بأختيار المكان الذى ينشأ عليه وإخطار الإدارة العامة. وبعد إتمام إجراءات الإنشاء يباشر إعداده من حيث إقامة محلات النوم، ودورات المياه وتوفر الملابس والمهمات وغيرها وإخطار الإدارة العامة لإعداده قبل موعد قبول المرابطين بخمسة أيام على الأقل مع مراعاة ما نص عليه في البندين ٢ ، ٥ من تعليمات إنشاء المعسكرات.

٨- الإشراف على قبول المجندين سواء أكان في المعسكرات المنشأة حديثاً أو الذين يحضرون إلى المعسكرات في كل دفعة من الدفعات للتحقق من توفر المعدات اللازمة لهم ومن تنفيذ ما تقضى به التعليمات.

٩- إلتحقق من صرف الأغذية للمرابطين وفق المقررات وأنها في حالة جيدة وأن الأصناف الطازجة منها صالحة للمأكل.

١٠- الوقوف بنفسه على أحوال المرابطين والإصغاء إلى شكواهم والعمل على تلافى ما يشكون منه وإخطار الإدارة العامة بالمهم منها وإلتحقق من حسن معاملتهم وعدم إساءتهم من المدربين أو غيرهم وكذلك الوقوف على أحوال الموظفين كافة ليكون على علم تام بسيرتهم ودرجة كفاءتهم.

١١- إبداء الرأى على التوصيات والأقتراحات التى يقدمها قائد المعسكر عن الترقيات والتنقلات وخلافه.

١٢- توقيع الجزاء على الموظفين الغير دائمين وضباط الصف والمرابطين في الحدود المبينة بنموذج الجزاء.

١٣- إبداء الرأى على التقارير السرية التى يحررها قائد المعسكر عن الضباط والموظفين الدائمين وتقديمها إلى الإدارة العامة مع التقرير الذى يحرر عن قائد المعسكر.

١٤- عليه في يوم الخميس من كل أسبوع عمل خط سير عن تنقلاته خلال الأسبوع التالى ابتداء من يوم السبت وتقديمه إلى الوكيل العام للإعتماد وإذا طرأ ما يدعو إلى التغيير فيخطر الإدارة العامة فوراً. وفى نهاية كل أسبوع يقدم الوكيل العام تقريراً عن نتيجة التفتيش على كل معسكر على حدة ويكون شاملاً لكل ما لاحظه وإتخذه من الإجراءات وما يراه من الإقتراحات.

١٥- عليه إثبات حضوره في دفتر الزيارة في كل مرة يزور فيها المعسكر.(٦٨)

ثانياً: نظام إعداد المعسكرات:

على حضرات قوات المعسكرات إتباع التعليمات الصحية الآية بغاية الدقة:

* الكشف الأول والتحضير للحلاقة والحمام:

أولاً: أختيار المجندين على دفعات كل يوم عدد ٥٠ ويتخذ ما يأتى:

١- يكشف عليهم بمعرفة حضرة الطبيب كشفاً سريعاً لإكتشاف المصابين بأمراض جلدية أو أمراض معدية بفروة الرأس ومن يتضح مرضه بما تقدم يعزل جانباً بصفة مؤقتة والباقون يدخلون الحمام وتوضع جميع ملابسهم في كيس بنمره لكل منهم على حدة وترسل للمبخرة لتبخيرها وبعد ذلك تحفظ في المخزن لحين عودتهم إلى بلادهم.

٢- داخل الحمام وقبل الاستحمام يقوم الحلاق بمأموريته نحو حلق شعر الرأس (زيرو) وحلق باقى الشعر في الجسم ويجمع كل هذا الشعر في جردل ويحرق ويرش في مكانه مستحلب من الكيروسين (الغاز والصابون) لقتل القمل.

٣- ثم يدخلون بعد الحلاقة للاستحمام بالماء الساخن والصابون جيداً تحت إشراف دقيق.

---

(٦٨) رئاسة القوات المرابطة: الإدارة العامة – ملف بدون رقم – بعنوان "نُظم المعسكرات" – بدون تاريخ – ص ١، ٢ – المطبعة الأميرية ١٩٣٩ – المكتبة الخاصة بالدكتور. عمر عزام.

٤- ثم يرتدون الملابس الأميرية.

* الكشف الطبى للقبول النهائى:

ثانياً: يعيد الطبيب فحصهم في نفس اليوم بدقة وذلك:

١- بفحص العينين لاكتشاف الرمد والعتامات الكبيرة التى قد تمنع من الخدمة العسكرية.

٢- الكشف على الأسنان للتأكد من عدم وجود تقيح باللثة وتسوس بالأسنان.

٣- الكشف على الحلق لأكتشاف تضخم اللوزتين.

٤- الكشف على الصدر لأكتشاف درن أو غيره.

٥- الكشف على القلب.

٦- الكشف على البطن وخاصة الطحال.

٧- الكشف على الأعضاء التناسلية.

ثالثاً: تؤخذ من كل مجند العينات الآتية:

١- عينة بول لفحص البلهارسيا.

٢- عينة براز لفحص البلهارسيا والإنكلوستوما والديدان المعوية.

٣- عينة دم على شريحة زجاجية لفحص الملاريا.

وترسل هذه العينات لأقرب مستشفى بلهارسيا وإنكلوستوما أو للمستشفى الأميرى لفحصها أو يعمل ترتيب خاص مع وزارة الصحة لفحصها في المعسكر أسوة بما هو متبع في المدارس التابعة لوزارة المعارف. وهذه الطريقة هى الطريقة المفضلة.

وهذا الفحص سيظهر الحالة الصحية لكل جندى على حدة. ويُعمل لكل جندى بطاقة (دوسيه) صحية يتبين فيها النتائج للفحص المتقدم. وحالة الجندى الصحية في أثناء وجوده بالمعسكر.

رابعاً: كل من يتضح مرضه بالملاريا أو الأمراض السرية أو أمراض جلدية معدية أو رمد صديدى أو دوسنتاريا أو أمراض معدية أخرى يرسل إلى المستشفى الأميرى للعلاج

لأن وجوده بالمعسكر يسبب العدوى وهؤلاء يحسن تأجيل دخولهم للمعسكر إلى الدفعة التالية.

خامساً: كل من يوجد مصاباً برمد حبيبى أو بالبلهارسيا أو الإنكلوستوما أو بديدان معوية أخرى أو بأمراض الأسنان أو أمراض عادية يبقى بالمعسكر ويعالج فيه. وهذا يكتفى بحضوره الدروس الثقافية ولكن لا يدخل التدريب العسكرى مطلقاً لحين شفائه.

سادساً: كل من يوجد مصاباً بفتق أو تضخم باللوزتين أو أى مرض يحتاج لإجراء عملية جراحية يحول للمستشفى.

سابعاً: كل من يوجد مصاباً بمرض في القلب أو أمراض أخرى تمنعه من الخدمة العسكرية يحول على قومسيون طبى مكون من حضرات مفتش الصحة بالمديرية وحكيمباشى المستشفى وطبيب المعسكر للبت في حالته قبل تسريحه.

ثامناً: يجب تطعيم المقبولين بالمعسكر جميعاً ضد الجدرى وضد التيفود.

* المراحيض والحمامات:

يلزم إيجاد عدد ٢٠ مرحاضاً وعدد ١٥ مبولة من النوع العائم وعدد ٢٥ حوضاً وحمامين بالدش بمجرى طويلة واحدة و ٢٤ حنفية على حوض واحد مستطيل ويعمل ترتيب باب للدخول وآخر للخروج بحيث يكون الحمام واقعاً في الوسط وعلى جانبه حجرتين بأحداهما باب الدخول وبالأخرى باب الخروج ويراعى جعل شبابيك الحمامات مرتفعة حتى حاجبة ومانعة للتيارات الهوائية. وتخصص حجرة الدخول لإنتظار الدور للاستحمام والحجرة الثانية للانتظار للدفء قليلاً بها قبل الخروج.

* الحمام الساخن:

من الضرورى إيجاد غلاية بخزان للماء الساخن وموصل للأدشاش لإستعمالها في فصل الشتاء ويمكن توصيل الماء الساخن للحمامات من المطبخ والمغسل.

* المراحيض بالجرادل:

إذا عملت المراحيض بنظام الجرادل فيتبع ما يأتى:-

١- يجب الحصول من الجيش على عدد ٥٠ جردل بأغطيتها للمراحيض.

٢- يجب إختيار موضع مناسب بالجهة القبلية للبندر بعيد عن المبانى بنصف كيلومتر على الأقل ويكون بعيداً عن آبار الشرب والترع للتصريف به.

ويعمل هناك خندق بطول ٦متر وعرض متر واحد وعمق متر واحد وتلقى فيه محتويات الجرادل ثم تغطى في الحال بعشرين إلى ثلاثين سنتيمتر من التراب.

وفى اليوم الثانى يلقى فوق هذه الطبقة المواد الجديدة وهكذا إلى أن يمتلئ نصف أو ثلث الخندق ويوضع خيش مغمور بالزيت الوسخ فوق سطحه لمنع صعود يرقات الذباب إلى السطح، ويكون الروم بشكل هرمى، ثم ينشأ خندق آخر.. وهكذا.

* الجرادل بعد تفريغها:

يجهز بمكان قريب من الخندق ثلاثة براميل إحداها به مياه ساخنة للغسيل العادى والثانى وبه مياه ساخنة للغسيل بفرشة جافة والثالث به محلول فينيكى مثل الكريزول أو الإيزول أو ما شابه ذلك بنسبة ٢% ليغسل فيه الجردل بعد عملية الغسيل بالمياه والفرشة.

وبعد ذلك يترك الجردل ليجف ثم يدهن بقليل من الزيت الوسخ من الداخل والخارج لكى يمنع الذباب. وهذه العملية تحتاج لحراسة دقيقة لمراقبة تنفيذ هذه التعليمات بكل عناية لئلا فيكون مصدر عدوى. أو يمكن الإتفاق مع مهندس مجارى المنطقة على تصريف هذه المحتويات في المجارى إن وجدت أو في مكان تصريف هذه المواد بالمدينة.

يعين حارس خاص عن المراحيض ويكون ضمن واجباته دخول المرحاض بعد كل إستعمال والتبليغ عمن يخالف التعليمات بترك الفضلات على سطح القاعدة.

* القمامة:

إما أن تحرق يومياً بالمعسكر أو يقوم عمال التنظيم بنقلها مرتين في اليوم

ويفضل أن يكون النقل بمعرفة عمال التنظيم بالمدن.(٦٩)

فتح باب التطوع:

أخذت الحماسة الوطنية بالكثير من إبناء البلاد فتزايدت حركة الإقبال على التطوع في الجيش المرابط، ولذلك لا ينتظر أن يفرض التجنيد الإجبارى ما دام في التطوع ما يغنى عنه وسوف يعين جميع الضباط الاحتياطيين الذين تخرجوا في مدرسة ضباط الصف، وهم من الموظفين وطلبة الجامعة ضباطاً في هذا الجيش، وعددهم يتجاوز الثلاثمائة، وكذلك سيعين فيه ضباط الصف الذين تخرجوا خلال العامين الماضيين وهم يتجاوزون الخمسمائة، على أن يتناول كل منهم مرتبه الذى كان يتقاضاه في عمله الحكومى. (٧٠)

وقد تلقى وزير الأوقاف والقائد العام للجيش المرابط طائفة من طلبات التطوع للإلتحاق بالجيش المرابط من بعض حضرات أصحاب الفضيلة علماء الأزهر والرابطة العامة لموظفى الحكومة بالقاهرة، وكثير من موظفى السكك الحديدية والتلغراف والتليفون.(٧١)

كما تلقى عبد الرحمن عزام أيضاً طلبات الكثير من فرق الكشافة والجوالة وأعضاء الأندية الرياضية للتطوع في هذا الجيش، وتكشف بعض الوثائق عن وجود تقرير صادر من بوليس الإسكندرية يحذر من أن ثمانين عضواً من جمعية مصر الفتاه قد قرروا أن ينضموا إلى الجيش المرابط – وأن القسم المنقوش على بطاقات تحقيق الشخصية لأعضاء هذه الجمعية يحمل نوايا خطيرة إذ يقول "أقسم بالله العظيم أن أدافع كجندى عن دينى والبلاد والملك، وأن لا أبيح للأعداء بأن يطأوا تراب بلادى، ولن أدير ظهرى ولكن سأمضى قدماً إلى الأمام حتى يمنحنا الله النصر وتصبح بلادى قوية مكونة

---

(٦٩) رئاسة القوات المرابطة: مذكرة من عبد الرحمن عزام بك رئيس القوات المرابطة لتحديد نظام إعداد المعسكرات (في أول رمضان ١٣٥٨ الموافق ١٤اكتوبر ١٩٣٩) عبارة عن صفحتان – موجودة بملف بدون رقم – المكتبة الخاصة بالدكتور. عمر عزام.

(٧٠) المصور: ١٩٣٩/٩/٨ .

(٧١) المصرى: ١٩٣٩/١٠/١٣.

من مصر والسودان متحالفة مع الأمة العربية وقائدة للإسلام، الله أكبر والعزة لمصر ". وقال التقرير أن المتطوعين في الجيش المرابط يتلقون إلى جانب التدريب العسكرى أفكاراً إسلامية متعصبة وولاء للعرش، وأن الأئمة يلتحقون بالوحدات المختلفة.. وقد إنتهى التقرير إلى تنمية الروح العسكرية عن طريق إنشاء الجيش المرابط أو التعليم العسكرى لطلاب المدارس والجامعات وخلق التعصب الدينى وكراهية الإنجليز والخضوع للعرش- وأنه إذا أشربت هذه الأفكار الدينية المتعصبة لهذه القوات فإن الأخطار واضحة.(٧٢)

كما رأى ولاة الأمور أن يعملوا على تشجيع تطوع السيدات في أعمال الوقاية فاتجهت النية إلى إنتخاب سيدتين من كرائم السيدات المثقفات إحداهن مصرية ترأس المتطوعات المصريات والثانية أجنبية ترأس المتطوعات الأجنبيات وتتولى كل منهما الإشراف على المتطوعات وتوجيههن التوجيه الحسن. (٧٣)

ولقد أوضح القائمقام يوسف مصطفى بك مستشار الجيش المرابط أن عبدالرحمن عزام بك قرر أن فتح باب التطوع للجيش المرابط سيكون أول يناير ١٩٤٠ وسوف يعنى عزام بك بسَن النظم التى تكفل ذلك، فمن البديهي أن المتطوعين يختلفون من حيث الثقافة والأخلاق، فلو فتح لهم باب التطوع دون قيد ولا شرط لأصبح أمرهم فوضى، وينص القانون الخاص بذلك على تقسيم المتطوعين إلى فريقين، الأول يختار الإقامة في المعسكر أما الآخر تمنعهم أعمالهم اليومية من ذلك، فتختار الأوقات الملائمة، كما توضع النظم التى تجبر الجميع على إطاعة الأوامر والخضوع للنظم العسكرية، دون تفريق بين كبير وصغير. (٧٤)

كما تلقى عبد الرحمن عزام بك طلبات عديدة من الضباط المحالين إلى المعاش يعلنون فيها استعدادهم للعمل في هذا الجيش لأى مدة تقضيها الظروف نظراً لسابق

---

(٧٢) د. عبد الوهاب بكر: الوجود البريطانى - مرجع سبق ذكره - ص ٢٧٥.

(٧٣) الدستور: ١٩٤٠/٣/٦.

(٧٤) المصور: العدد ٧٨٩- عدد سبق ذكره - ص٢٥.

خبرتهم العسكرية.(٧٥)

وقد بلـغ عدد المتطـوعين فـي أوائـل عـام ١٩٤٠ مـا يقـرب مـن ١٢٢٨ متطوعاً و٣٩٨ متطوعة ومع ذلك استمرت الدراسة في جمعيتى الأسعاف والـهلال الأحمـر للوصـول إلى أكبر عدد ممكن.[٧٦]

ميزانية الجيش المرابط:

لقـد كـان المقـدر وفقـاً لترتيبـات عبـد الـرحمن عـزام قائـد الجـيش المـرابط أن هـذا الجيش يكون منفصلاً عن الجيش العامل وذا ميزانيـة مستقلة.[٧٧]، حيث كانـت الميزانيـة موضـوعة علــى أسـاس تـدريب ٣٠.٠٠٠ جنـدياً مـع تعمـيم المعسـكرات فــي مـديريات ومحافظات القطر وذلك بطريقة لا ترهق الميزانية.[٧٨]

وقد أوضـح عزام بـك أن الحكومـة قد رصدت نحـو ٢٩٠.٠٠٠ جنيـه فـي مشـروع الميزانيــة الجديــدة للجـيش المـرابط وأنـهـم يـدربون فــي خــلال السـنـة الماليــة القادمــة – (١٩٤٠)- ٣٦٠٠٠ رجـلاً يوزعـون علـى ثلاثـين معسـكراً علـى أربـع دفعـات أو أفـواج ويتألف كل فوج في كل معسكر من ٣٠٠ رجلاً، وربما أن كل فوج يتدرب ثلاثـة أشـهر فقط فيكون فى إستطاعة كل معسكر أن يدرب ١٢٠٠ رجلاً في السنـة.

وقـال أنـه لا ينتظر أن تزيـد النفقـات فـي المستقبل علـى الاعتمـاد الـذى أرصد فـي مشروع الميزانية الجديدة لأن جانباً من المـال الـذى كـان ينفـق حينـذاك يـذهب إلـى منشـآت التأسيس وهى نفقات لا تتكرر كل سنـة.[٧٩]

وظل الأمر كذلك حتى قرر مجلس الوزراء فصل ميزانية القوات المرابطة عن

---

(٧٥) المصرى: ١٩٣٩/٩/٤.

(٧٦) الدستور: العدد السابق.

(٧٧) د. عبد الوهاب بكر: (الوجود البريطانى...) – مرجع سابق– ص٢٧٣.

(٧٨) الدستور: ١٩٣٩/١٢/١٩ .

(٧٩) المقطم : ١٩٤٠/١/٢٨ .

ميزانية مجلس الوزراء.[٨٠] وضمها فـي أوائـل فبراير عـام١٩٤٠ تحت عنـوان (فرع٤) إلـى ميزانية وزارة الدفـاع الوطنـى.[٨١]

وقد جاء في مشروع ميزانية الدولة أن جملة الاعتمادات المقدرة لهذا الجيش تبلغ ٢٠٠ ألف جنيه، وقد بنيت هذه التقديرات على أساس إنشاء ٢٥ معسكراً وليس ثلاثين ووزعت على ثلاثة أبواب منها ٤٧.٧٠٠ جنية للماهيات والمرتبات و١٤٦ ألف جنيه للمصروفات العمومية و ٦.٣٠٠ جنيه للأعمال الجديدة.(٨٢)

كما جاء في مشروع ميزانية القوات المرابطة جعل ماهية قائد القوات المرابطة ١٥٠٠ جنيه وزيادة اعتماد المبانى في الباب الثالث لميزانية هذه القوات بمبلغ ١٠٠٠جنيه.(٨٣)

وبعد ذلك تقرر ضم الجيش المرابط بعد نجاحه إلى وزارة الدفاع الوطنى، وهكذا خضع الجيش المرابط بجنده وضباطه وقواده إلى النظم العسكرية في وزارة الدفاع وإلى ميزانية وزارة الدفاع وإلى جزاءات ومحاكمات وإجراءات وزارة الدفاع وتكون الرياسة المباشرة له لوزير الدفاع.(٨٤) وقد أوضح عبد الرحمن عزام في إحدى جلسات مجلس النواب أن جعل ميزانية الجيش المرابط تابعة لوزارة الدفاع لا يفهم من أن هناك تغييراً ما طرأ على نظام هذا الجيش.

وقامت مناقشات طويلة حول الوزير المسئول أمام البرلمان عن الجيش المرابط بعد قرار ضم الجيش إلى وزارة الدفاع، فقال عزام بك أنه هو المسئول، وقام جدل آخر حول مسئولية عزام بك وأنها أمام المجلس تقتصر على وزارة الشئون الإجتماعية فقط ولكن إذا كان عزام بعد ذلك قائد للجيش المرابط فهذا لا يجعله مسئولاً أمام المجلس.

---

(٨٠) الدستور : ١٩٤٠/٢/٤ .
(٨١) البلاغ : ١٩٤٠/٢/٣ .
(٨٢) الدستور : ١٩٤٠/٢/٤ – عدد سابق.
(٨٣) البلاغ : ١٩٤٠/٢/٣ – عدد سابق.
(٨٤) المصور : ١٩٤٠/٢/١٦ .

إلا أن وزير العدل مصطفى بك الشوربجى قال إن تبعية الجيش لأى مصلحة من المصالح هو من المسائل الخاصة التى تمس مباشرة السلطة التنفيذية وإن إنشاء جيش وإعطاءه ميزانية خاصة هو من شأن البرلمان أما تبعية هذا الجيش فمن اختصاص

السلطة التنفيذية وقال أخيراً أنه مادام الذى يقوم بإدارة القوات المرابطة وزير فهو مسئول أما إذا أعطيت القيادة لغير وزير فإن هذه القوات تصبح تابعة لرياسة مجلس الوزراء.[٨٥]

وقد أقر مجلس النواب ميزانية الجيش المرابط بعد أن إنتقل الجيش وميزانيته لوزارة الدفاع كما أقرت اللجنة المالية في مجلس الشيوخ إعتمادات هذه الميزانية.[٨٦]

وبعد أن إنتهت الزوبعة في مجلس النواب، توقع الكثير من البرلمانيين في ذلك الوقت معركة أخرى حول هذا الجيش أيضاً ولكن هذه المرة في مجلس الشيوخ.

والنقطة التى أثارت الزوبعة هى أن الفكرة في إنشاء ذلك التشكيل كانت ترمى – أولاً – إلى إبعاده عن حظيرة وزارة الدفاع ليكون مستقلاً في مرتباته المتواضعة – وفى زيه وفى نظامه وفى خدماته العامة التى لا تمت إلى الجندية بصلة– ولهذا نص فى مشروع قانونه على "إستقلاله" وعلى تعيين " قائد خاص " له. وعلى تبعيته لرئاسة مجلس الوزراء.

ولكن فجأة قرر مجلس الوزراء ضم ميزانيته لوزارة الدفاع. فتناقض هذا الضم مع مبدأ الإستقلال عن نظم الجيش وكان هذا التناقض سبباً في المناقشة الهامة التى دارت حوله في مجلس النواب والتى تكررت عند نظر ميزانيته ضمن ميزانية وزارة الدفاع.

ولا شك أن ضم الميزانية المفاجئ لوزارة الدفاع الوطنى من شأنه أن يثير العجب، ولكن للحكاية سبباً آخر هو أن رفعة "محمد محمود باشا" كان من خصوم

---

(٨٥) البلاغ : ١٩٤٠/٣/١٣ .

(٨٦) روز اليوسف : ١٩٤٠/٤/٦ .

المشروع ولم يكن من رأيه – ولا رأى حزبه – أن يكون مستقلاً في تشكيله فرؤى توفيقاً بين الرأيين أن يجاب إلى رغبته بضم ميزانية هذا الجيش إلى ميزانية وزارة الدفاع.

وبعد أن أجيبت رغبة محمد محمود باشا لم يكن منتظراً أن يعارض " الدستوريين " في المشروع بعد ذلك.(٨٧)

استقالة وزارة على ماهر:

بدأت المحاولات الأولى من جانب بريطانيا لإقالة وزارة على ماهر وذلك في أكتوبر ١٩٣٩ حيث كتب السير مايلز لامبسون إلى وزير خارجيته أن هذه الوزارة " وزارة غير صحية "، بل أنه وصف على ماهر بعد ذلك بأنه " غير متعاون ولا يمكن الاعتماد عليه ولا إحترمه فهو بالرغم من وعوده المتكررة قد فشل تماماً في توجيه الرأى العام إلى الوجهة السليمة ولم يبق في طاقتى أو في مقدورى أن يظل في منصبه أكثر من ذلك ".(٨٨)

كما كان إنشاء الجيش المرابط ونجاحه وما ترتب على ذلك من تزايد حركة الإقبال عليه، وإنضمام الكثير من الضباط الوطنيين سبباً في زيادة كراهية بريطانيا لحكومة على ماهر لأن وجود هذا الجيش كان يشكل خطراً كبيراً على الوجود البريطانى في مصر.

ولعل هذه الأسباب جعلت بريطانياً تتجه للبحث في الدوافع الخفية لإنشاء هذا الجيش. ولم يمض وقت كثير حتى اتهمت " الملك فاروق " و " على ماهر " و " عبد الرحمن عزام " بأن لديهم دوافع سياسية خفية لإنشاء هذا الجيش.

لكن بريطانيا لم تستطع في نفس الوقت أن ترفض إقامة هذا الجيش خشية أن تتهم بأنها تحاول جعل مصر ضعيفة وغير مستقلة.

---

(٨٧) المصور : ١٩٤٠/٣/٢١ .

(٨٨) د. يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات المصرية – مرجع سبق ذكره – ص٤٢٠، ٤٢١.

ولم تجد سبيلاً يكفيها شر تزايد القوة العسكرية لمصر سوى الامتناع عن تسليح هذا الجيش أسوة بما فعلت مع الجيش النظامى.[٨٩]

وبدأت بريطانيا تضغط على الملك لإخراج على ماهر واتخذ هذا الضغط صوراً متعددة من كلمات التهديد المبهمة حيث كانت تلوح له بإحتمالات التدخل العسكرى البريطانى إن لم يخرج رئيس الوزارة إلى التلويح بأن بريطانياً قد تفرض " الأحكام العرفية البريطانية " على مصر كما حدث في الحرب العالمية الأولى ثم أخيراً إلى التهديد بإنزاله عن العرش ووضعه تحت الرقابة حتى لا يلجأ إلى ايطاليا.

ولم يجد القصر أمام هذا السيل من التهديدات سوى الأنصياع والموافقة على أن يشكل أحد الرجالات، الذين رشحتهم السفارة، الوزارة الجديدة خلفاً لعلى ماهر وبالفعل تم تأليف الوزارة الجديدة في ٢٧يونيه ١٩٤٠.[٩٠]

وبعد أن استقالت وزارة على ماهر، الذى كان عبد الرحمن عزام بك وزيراً فيها وقائداً للجيش المرابط تساءل الكثير عن قيادة الجيش المرابط ومن هو قائد هذا الجيش.

ولكن الواقع أن عبد الرحمن عزام ظل قائداً للجيش المرابط يشرف عليه ويواصل جهوده التى بدأها منذ إنشائه وذلك لأنه كان قد عين في هذا المنصب بمرسوم ملكى بصفته الشخصية. ولما أسقطت عنه صفة الوزارة بقيت له صفة القائد العام للجيش المرابط، فهذا الجيش من المعروف أنه يتبع وزارة الدفاع في ميزانيته ولكن إدارته تتبع قائده رأساً.[٩١]

وقد إستمر هذا الجيش وتولى تدريب رجاله لفيف من الضباط الذين انتدبوا لهذا الغرض من وزارة الداخلية ومصلحة السجون ومصلحة خفر السواحل، وذلك لعدم توفر العدد اللازم من ضباط الجيش المصرى.

---

(٨٩) د. عبد الوهاب بكر: (الوجود البريطانى...) – مرجع سابق – ص٢٧٦.

(٩٠) د. يونان لبيب رزق: المرجع السابق – ص٤٢٢.

(٩١) المصور: ١٩٤٠/٨/٢٣.

وفـى وزارة حسـن صـبرى باشـا (٢٧ يونيـه- ١٤ نـوفمبر ١٩٤٠) اتفـق كـل مـن محمود فهمى القيسى باشا وزير الدفاع الوطنى وعبد الرحمن عزام بك قائد الجيش المرابط علـى أن يعهد إلـى ضباط الجيش العامـل فـي تـولى تـدريب رجـال الجيش المـرابط، وذلـك لتوحيد نظـم التـدريب بـين الجيشـين مـع الاحتفـاظ بالمبـادئ التـى أنشـئ الجـيش المـرابط عليها.

ثم ألفت بعد ذلك لجنة برياسة اللواء عبد الحميد حافظ باشا رئيس إدارة الجيش، والأميرالاى حسن هلال بك كاتم أسرار وزارة الدفاع والبكباشى حسن سلامة مدير التجنيد والتنظيم لإختيار ضباط الجيش العامل الذين سيعهد إليهم بهذه المهمة.[٩٢]

وظل الجيش المرابط تحت إشراف عبد الرحمن عزام منذ أنشأئه في عام ١٩٣٩ وحتى ١٨ مايو ١٩٤١.

وفى ١٩مايو عام١٩٤١ عين عبد الرحمن عزام وزيراً مفوضاً من الدرجة الأولى بوزارة الخارجية، وبذلك إنتهت علاقته بالجيش المرابط.[٩٣]

ومن الملاحظ أن بريطانيا رغم رؤيتها المضادة للقوات المرابطة. فإنها لم تستطع إلغاء الجيش المرابط نظراً لعدم خضوعه للقواعد الخاصة بالجيش النظامى. لكنها ظلت متنبهة لخطورة هذا النظام العسكرى المشبع بالأفكار الوطنية.[٩٤]

وبعد أن تولت وزارة الوفد الحكم في فبراير ١٩٤٢ ضم الجيش المرابط إلى وزارة الدفاع الوطنى، وقد حافظ على بقائه حمدى سيف النصر باشا وزير الدفاع الوطنى آنذاك لفترة وجيزة.[٩٥]

---

(٩٢) الأهرام: ١٩٤٠/٩/١٠.

(٩٣) دار المحفوظات العمومية: ملف خدمة عبد الرحمن عزام باشا مسلسل ٢١٧٧- محفظة ١٥٤٢ - عين ١٩٦- مخزن ٤٢.

(٩٤) د. عبد الوهاب بكر: (الجيش المصرى... وحرب فلسطين)- مرجع سابق- ص٢٤٠.

(٩٥) وحيد الدالى: (أسرار الجامعة العربية...) - مرجع سابق- ص٤٦.

ثم استخدمت حكومة الوفد هذه التنظيمات لأغراضها الحزبية حيث بدأت في تعيين بعض المقربين كضباط فيها حتى امتلأت هذه الوحدات العسكرية بالعاطلين وغير الحاصلين على أى مؤهلات لينقلوا بعد ذلك إلى الخدمة العاملة ويصبحوا ضباطاً مثبتين. ولم يجد الجيش المرابط من يوالى الإهتمام به بعد ذلك.(٩٦) حتى قامت حكومة الوفد بإلغاء هذا النظام من أساسه في سنة١٩٤٣ بحجة ضغط المصروفات.

ويلاحظ أن خطوة حكومة الوفد هذه قد حققت لبريطانيا ما تصبو إليه من عدم الرغبة في وجود جيش شعبى يقوم على أساس سياسى – فكان أن هدمت هذا الإتجاه بحجة الحفاظ على مالية الأمة.(٩٧) بمقتضى مرسوم بقانون.(٩٨)

ومن الملاحظ أيضاً أن إلغاء حكومة النحاس السادسة (٢٦ مايو١٩٤٢– ٨ أكتوبر ١٩٤٤) للجيش المرابط في عام ١٩٤٣ ربما كان بإيعاز من السفير البريطانى الذى كان يعارض قيام هذا الجيش أو ربما يكون لتصفية حسابات قديمة بين النحاس وكلاً من الملك وعلى ماهر.

وأخيراً... فقد تسببت بريطانيا منذ إحتلالها لمصر في عدم تمكين مصر من إقامة جيش وطنى قوى نتيجة لأحكام قبضتها على أمور هذا الجيش بالإضافة إلى ما تركته معاهدة ١٩٣٦ في نفوس الوطنيين المصريين، حيث أصبح الجيش مقيداً بشروط لا تتيح له التوسع ولا الزيادة العددية ولا التسليح الحديث.

وعندما تولى على ماهر باشا الوزارة في ١٩٣٩ ظهرت نواياه العسكرية عندما إختار ثلاثة من العسكريين البارعين الكارهين لإنجلترا، إختار منهم إثنين وزراء، والثالث رئيساً لأركان الجيش.

---

(٩٦) دار الوثائق القومية: محافظ مكتب المشير– دولاب٧– محفظة ١١٦– ملف٤ "القوات المرابطة".

(٩٧) د. عبد الوهاب بكر: (الجيش المصرى...)– مرجع سابق– ص٢٤٠.

(٩٨) د. عبد الوهاب بكر: (الوجود البريطانى...)– مرجع سابق– ص٢٧٦.

كان هذا الثالوث العسكرى (عبد الرحمن عزام بك، محمد صالح حرب باشا، عزيز المصرى) بالإضافة إلى على ماهر الذى كان دائم الخلاف مع قوات الإحتلال، يشكلون خطراً على الوجود البريطانى في مصر لدرجة أن إنجلترا بدأت تحارب هذه الوزارة بعد فترة قليلة من تشكيلها ووصفها بأنها "وزارة غير صحية".

ومما أفزع بريطانيا كذلك أن هؤلاء الثلاثة من أبرع المصريين الذين مارسوا فن المعركة عملياً وعلى الطبيعة، فقد تكون مدرستهم قديمة، وقد يكون علمهم النظرى دون علم خريجى المدارس الحديثة، ولكن المران والتجربة لا يزال يحتفظان بميزتهما. بالإضافة إلى أنهم جميعاً كانت لهم ميول عسكرية ألمانية.

ومما زاد الأمور تعقيداً قيام عبد الرحمن عزام بالتقدم بمشروع إنشاء الجيش المرابط لعلى ماهر وموافقة مجلس الوزراء عليه بل وموافقة الملك أيضاً. مما جعل السفير البريطانى في مصر السير مايلز لامبسون يصف عزام في مذكراته بأنه أقدم على ارتكاب أفدح جريمة عسكرية في حق إنجلترا ألا وهى الجيش المرابط.

ولقد تم إنشاء هذا الجيش على قواعد محكمة، ليست من نسج الخيال – كما قيل عند إنشائه – فقد كان الشعور بالحاجة إلى نظام يحقق المساواة في الخدمة الوطنية بين جميع طبقات الأمة، هو الذى بعث بالفكرة في رأس عبد الرحمن عزام بك بعد أن طال تفكيره هو وغيره من المصلحين الوطنيين في الحالة التى وصلت إليها مصر بقصر الخدمة العسكرية على طبقة معينة في الأمة وهى طبقة من يعجزون عن تأدية البدل العسكرى الذى لا يتجاوز العشرين جنيهاً.

ولقد حاولت الوزارات المصرية التى تتابعت في الحكم منذ قيام النظام الدستورى أن تشرع قانوناً جديداً للإقتراع العسكرى. ولكن ذلك لم يتم.

لهذا فقد كان نظام القوات المرابطة هو الذى جعل الأمة كلها بكافة طبقاتها تتحول إلى جيش يستطيع أن يقوم بمهمة الدفاع في كل وقت وإزاء أى خطر قد تفاجأ به البلاد.

لقد كان الجيش المرابط عبارة عن أداة للتوفيق بين أغراض الدفاع عن الوطن وبين حاجات السلم إذ يجعل من القوات المرابطة قابلة للتطور- في حالة الحرب- إلى أكبر عدد ممكن بينما تكون في أيام السلم أداة للإصلاح الإجتماعى بتقويم الأبدان والنفوس وإستخدام الأيدى للإنشاء والتعمير.

فخلايا القوات المرابطة - من خلال ما سبق - كانت مصحة للبرء من الأمراض المتوطنة، وهى إلى جانب ذلك معاهد للرجولة والفضائل الدينية والقومية بالإضافة إلى عملها العسكرى.

إذن.. فقد كانت فكرة إنشاء الجيش المرابط فكرة سامية، اتبعتها الكثير من الدول لمساعدة الجيش العامل وحماية المرافق العامة الداخلية ومؤازرة رجال النظام المرابطين في المدن والأقاليم المنتشرة بالبلاد وتجنيد القوات في هذا الجيش لعدة أشهر يخرج بعدها الشاب جندياً صالحاً للقتال والدفاع وقت الخطر. وإذا لم يكن هناك خطر حربى فيظل قائماً لتخريج أفواج دورية، صالحة للجندية، كل فترة.

وثمة نقطة أخرى نستطيع أن نوضحها في النهاية وهى أن الجيش المرابط لم يكن جيشاً أُعد كبديل للجيش العام للبلاد، ولكن كقوة للأمة. تُعد إعداداً جيداً لواجبات قومية عديدة تستطيع أن تؤديها على وجه سليم، فيتفرغ الجيش لأعباء الدفاع المباشر، ومن هؤلاء المرابطين يسهل أن يستمد الجيش رجاله كلما إحتاج إلى الزيادة أو التوسع، من غير أن يضيع وقتاً في تعلمهم المبادئ الأولية وتدريبهم على الحركات العسكرية اللازمة.

الفصل الخامس

عبد الرحمن عزام بك والجامعة العربية

الفصل الخامس

عبد الرحمن عزام والجامعة العربية

النشأة التاريخية للجامعة العربية:

بعيدة هى تلك الجذور التى تربط الشعوب العربية بعضها ببعض، عبر أقطارها المختلفة، فهى جميعها، مع تعدد أقاليمها وأقطارها، تشترك فى تكوين أمة واحدة صنعها التاريخ، تقطن أرضاً متكاملة، تؤلف الوطن العربى الواحد، الذى يشترك سكانه فى اللغة والدين والحضارة والأمانى المشتركة والآمال الواحدة.

ويرجع انتشار العرب فى هذه المنطقة من العالم إلى القرن السابع الميلادى، فقد كان العرب حتى هذا التاريخ وفى الفترة التى سبقت الإسلام، قبائل متفرقة تقطن الجزيرة العربية، كما تقطن بعض هذه القبائل سوريا، وفلسطين، والعراق، وأفريقيا.

استطاع الإسلام أن ينشر راية العروبة على هذه المنطقة الهامة من العالم. فزحفت اللغة العربية سريعاً لتحل محل اللغات الأصلية حاملة الثقافة العربية، وذلك عن طريق انتشار العنصر العربى، واندماجه بسكان البلاد، وخلق مجتمعات جديدة فيها.

استتب الأمر للإسلام بعد أن قوض أعظم قوتين سياسيتين فى الأرض فى ذلك الزمان وهما قوة الفرس وقوة الروم، وبسط نفوذه دون منازع على هذه المنطقة وأخذ يوطد أركان ودعائم الدولة الإسلامية.

منذ ذلك التاريخ ظلت الدول العربية تكون وحدة سياسية متماسكة خلال القرون الثلاثة الأولى لظهور الإسلام.

وفى أواخر الخلافة العباسية ومنذ القرن العاشر الميلادى، بدأت هذه الدولة تفقد مركزها العظيم، وذلك نتيجة لتعدد السلطات السياسية فى المجتمع العربى، مما جعل الخلافة العباسية تنحصر تدريجياً.

واستمرت الشعوب العربية ممزقة حتى الفتح العثمانى فى القرن السادس عشر مما هيأ الأسباب لاستيلاء العثمانيين على المجتمع العربى ونقل الخلافة الإسلامية إلى آل عثمان. وظلت البلاد العربية رازحة تحت سيطرة الحكم العثمانى ما يقرب من أربعة قرون متوالية، ولكن هذا الحكم لم يستطع القضاء على القومية العربية. رغم جميع محاولات التتريك إذ احتفظ المجتمع العربى بمقوماته الأساسية من لغة ودين وثقافة.[١]

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر احتلت فكرة الجامعة الإسلامية مكان الصدارة فى التفكير السياسى بالقياس إلى فكرة القومية العربية، وحركة الانفصال بالعالم العربى عن جسم الدولة العثمانية، كما شغلت حركة الوحدة العربية الكبرى المكان الثانى أمام الحركات الإقليمية التى اتجهت إلى بناء الأوطان العربية المحلية فى صراعها ضد القوى الاستعمارية.

أما حركة الجامعة الإسلامية فقد استهدفت توحيد القوى الإسلامية المفككة تحت زعامة خليفة واحد- أياً كانت قوميته- لمقاومة الضغط الأوروبى والعمل على قيام وحدة شرقية إسلامية، تكفل للأمم الشرقية استقلالها وحريتها.

ولقد كانت الدولة العثمانية – بوصفها دولة كبرى فى العالم الإسلامى فى ذلك الوقت – يبدو أنها أهل للقيام بهذا الدور، فتغلب الأتراك على الشعوب الصليبية خلال العصور الوسطى قد رفع مكانتهم فى العالم الإسلامي وهذه المكانة ارتفعت بوجه خاص بعد فتح القسطنطينية، ثم بعد فتح مصر والحجاز، إذ المعلوم أن هذه الفتوحات أضافت إلى ألقاب سلاطين آل عثمان ألقاباً جديدة هامة هى أولاً لقب "خادم الحرمين الشريفين" ثم لقب خليفة المسلمين منذ عام ١٥١٧.[٢]

وقبل انفصال مصر عن الدولة العثمانية وحصولها على استقلال ذاتى فى عهد

---

(١) هارون هاشم رشيد:جامعة الدول العربية–دار سراس للنشر–تونس–مارس–١٩٨٠–ص١٠، ١١

(٢) د. يوسف خليل يوسف: القومية العربية ودور التربية فى تحقيقها دار الكاتب العربى للطباعة والنشر– القاهرة ١٣٨٦– ١٩٦٧– ص ١٠٨، ١١١.

محمد على كانت مصر جزءاً من الدولة العثمانية، ومرتبطة دولياً بالعالم العربى من خلال هذه الإمبراطورية.[٣]

وقد نمت فكرة الوحدة العربية مع نمو الوعى القومى عند العرب. غير أن بعض مشاريع الوحدة العربية سبق مرحلة تكون الفكرة القومية، مثل مشروع محمد على باشا وابنه إبراهيم فى توحيد أقطار آسيا العربية مع وادى النيل (١٨١١- ١٨٤٠)، ومقترحات الثائر المارونى يوسف كرم بتوحيد الولايات العربية فى الدولة العثمانية تحت زعامة الأمير عبد القادر الجزائرى، ومشروع نجيب عازورى بتوحيد أقطار آسيا العربية.

وفى أوائل القرن العشرين أخذ الوعى القومى يتشعب فى أربعة اتجاهات هى:-

١- اتجاه يدعو إلى الحكم اللامركزى فى الدولة العثمانية بحيث تحصل الولايات العربية على شئ من الاستقلال الذاتى الذى من شأنه أن ينمى الشخصية العربية، ويحافظ على اللغة القومية، ويضمن إدخال الإصلاحات الحديثة فى الإدارة والتعليم والمواصلات والحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية.

٢- اتجاه ينادى بإنشاء مملكة عربية تتمتع بالاستقلال الذاتى وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمملكة العثمانية.

٣- اتجاه يرفض الخلافة العثمانية ويعتبرها غير شرعية ويدعو إلى خلافة عربية قرشية.

٤- اتجاه يدعو إلى الثورة على الأتراك والانفصال التام عن الدولة العثمانية وإنشاء دولة عربية مستقلة تضم الولايات العربية فى الدولة العثمانية.

وبقيام الحرب العالمية الأولى اشتد التطاحن الاستعمارى على اقتسام الأقطار

---

(٣) نبيه بيومى عبد الله: تطور فكرة القومية العربية... - مرجع سبق ذكره - ص ٨.

العربية التى كانت لا تزال فى حوزة العثمانيين. فكانت الاتفاقية الروسية - الفرنسية البريطانية المعروفة باتفاقية بطرسبرج عام ١٩١٥[٤]، واتفاق سايكس بيكو الموقع بين

بريطانيا وفرنسا فى ٩ مايو ١٩١٦ والذى تضمن تقسيم بلاد المشرق العربى (عدا الجزيرة العربية) بينهما على خلاف ما وعدت به بريطانيا الشريف حسين فى المراسلات المعروفة باسم مراسلات حسين- مكماهون فى عام ١٩١٦.(٥)

وفى حمأة الحرب شعر قادة المنظمات السرية العربية أن الوقت قد حان لكي يتحرك العرب ويأخذوا زمام أمورهم بأيديهم. فاتصلوا بشريف مكة الحسين بن على، وعرضوا عليه أن يقود ثورتهم على الأتراك لإنقاذ بلادهم من الهيمنة والاحتلال الأجنبيين المتوقعين بعدما رأوا كفة الحرب تميل نحو الحلفاء... وفى ١٠ يونيو ١٩١٦ انطلقت الثورة العربية معلنة أن هدفها تحرير العرب ونيل استقلالهم وتحقيق وحدتهم. وانضم معظم المثقفين فى آسيا العربية إلى الثورة أو أعلنوا تأييدهم لها. فقد كانت التعبير الحى عن آمالهم القومية وتطلعاتهم نحو مستقبل عربى جديد. وقويت آمالهم بما أصدره الحلفاء من بيانات فى أثناء الحرب لكسب العرب إلى جانبهم.

حتى إذا وضعت الحرب أوزارها وانعقد مؤتمر الصلح فى باريس (١٩١٩-١٩٢٠) اعتقد العرب أن الوقت قد حان لكى يفى الحلفاء بوعودهم وتنال شعوبهم حق تقرير المصير. وتبددت أوهامهم هذه وهم يفاوضون الحلفاء على مستقبل بلادهم. وساد منطق القوة وفُرِضَ الاحتلال والانتداب على العرب. كما فُرِضَت عليهم تجزئة بلادهم.

وقد رد العرب على ذلك بالثورة فى مصر عام ١٩١٩ وفى سورية ١٩١٩/١٩٢٠، وفى فلسطين والعراق عام ١٩٢٠، وأخمدت هذه الثورة بالنار

(٤) جامعة الدول العربية "الواقع والطموح": على محافظة - الفصل الأول (النشأة التاريخية للجامعة العربية) - مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى - بيروت- نيسان/أبريل ١٩٨٣- ص٣١، ٣٢.

(٥) د. محمد جلال نعمان: جامعة الدول العربية- سلسلة المعارف - الناشر المكتب العربى للمعارف - ص٥، ٦.

والحديد، وأعقبتها تهدئة وتسويات انتهت بالاعتراف بالأمر الواقع، ولو إلى حين، على أمل تغييره والتخلص من الاحتلال والانتداب. ورفعت الحركات الوطنية فى كل قطر عربى

شعار الاستقلال أولاً طوال فترة ما بين الحربين العالميتين. وانشغلت بالكفاح اليومى عن العناية بصياغة مبادئها وتحسين أسلوب كفاحها.

وفى بداية الثلاثينات شرعت الاتجاهات الوحدوية تأخذ مكانها فى الحركات السياسية العربية كرد فعل على الاتجاهات القطرية الضيقة وكتعبير عن تطلعات الجماهير نحو الوحدة. وانتهز القوميون العرب فى آسيا اجتماعهم فى القدس أثناء المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى ديسمبر ١٩٣١ لبحث القضية العربية بحثاً عاماً. وصاغوا ميثاقاً عربياً أكد على وحدة الوطن العربى وعلى ضرورة توجيه الجهود فى كل قطر عربى نحو الاستقلال والوحدة العربية.

وعلق القوميون العرب آمالاً كبيرة على الملك فيصل الأول، وعلى العراق بعد نيل استقلاله. واتجهت أنظارهم إلى سورية أملاً فى اتحادها مع العراق وضمان عرشها لمرشح من الأسرة الهاشمية. وكان الفرنسيون يقاومون بشدة هذا الاتجاه لاعتقادهم بأنه يقضى على مصالحهم فى المنطقة. كما كانت تعارضه بريطانيا بحجة أن قيام أى وحدة فى المشرق العربى فيه مخالفة لنظام الانتداب. وبحجة معارضة الملك عبد العزيز له.(٦)

وفى مصر كانت هناك بعض الجمعيات والروابط والاتحادات التى ساعدت على انتشار الفكرة العربية فى مصر مثل:

١ – الرابطة الشرقية:

وهى أولى هذه الجمعيات – وضمت أعضاء من عدة أمم من الدول العربية والإسلامية وبلاد المشرق عامة وكانت تهدف وتهتم بنشر المعارف والآراء والفنون

(٦) جامعة الدول العربية "الواقع والطموح": على محافظة – مرجع سابق– ص ٣١، ٣٢.

الشرقية وتوثيق روابط التعاون والتضامن بين أمم الشرق على اختلاف أجناسها وأديانها، بوسائلها الكثيرة بعيداً عن المجادلات الدينية والسياسية. وقد ركزت نشاطها بالعالم الإسلامى والعالم العربى خاصة.

٢- جمعية الشبان المسلمين:

أسسها عبد الحميد سعيد فى نوفمبر ١٩٢٧ وانصرف نشاطها إلى الناحية الدينية والاجتماعية والرياضية، وأنشأت لها فروعاً بالعالم العربى، وقد دافعت عن القضايا العربية ولكن بدافع إسلامى.

٣- جماعة الإخوان المسلمين:

أسسها الشيخ حسن البنا عام ١٩٢٨، وبالرغم من أنها جماعة إسلامية، الا أنها عملت للفكرة العربية أكثر من الشبان المسلمين، لأنها حزب سياسي، وآمن بالعروبة، واعتبرها مرحلة مهمة من مراحل الجامعة الإسلامية، وأيد الفكرة العربية.

٤- حزب مصر الفتاة:

على الرغم من اتجاهه أولاً نحو القومية المصرية والى تمجيد مصر وحضارتها القديمة، كان على رأس الأحزاب التى عملت للفكرة العربية منذ حوالى عام ١٩٣٩. واعتبر العرب أمة واحدة. وفى عام ١٩٤٨ كان فى طليعة المستعدين لحرب فلسطين، وألف عدة لجان لجمع الأموال لإعانة المنكوبين وشراء الأسلحة لهم. وكتب مؤسسه احمد حسين عدة مقالات يؤيد فيها الوحدة العربية، ولكنه نادى بها على شرط أن تعقبها وحدة إسلامية.

٥- الرابطة العربية:

وتهدف إلى توحيد البلدان العربية وجمع شملها تحت راية مصر التى تتمتع بمركز خاص- وعملت على نشر الثقافة العربية بكل الوسائل الممكنة والمشروعة، بالإضافة إلى توثيق الروابط والعلاقات العلمية والاجتماعية والاقتصادية بين المصريين وسائر أبناء الأقطار العربية. وعدم التدخل مطلقاً فى أية مناقشة سياسية أو دينية.

٦- جماعة الوحدة العربية:

تأسست عام ١٩٣٨- وعملت للوحدة العربية والتعاون العربى – أعضاؤها من طلاب الجامعة المصرية وخريجيها. خدمت القضية العربية، وكان من أغراضها العمل للوحدة العربية بإتحاد روحى وثقافى، ونشر الروح الطيبة بين أبناء العروبة. والعمل على تعاون جميع الأقطار العربية مادياً وأدبياً.

٧- الاتحاد العربى:

وكان من أهم وأنشط هذه الجمعيات وأشدها أثراً – وذكر مؤسسة فؤاد أباظة أن هذا الاتحاد امتداد للرابطة الشرقية ... وكان يهتم بشئون العالم العربى كله، وكان يرى الاهتمام والتقارب بين الأقطار العربية ثقافياً واقتصادياً... وتمسك بأن يكون لكل دولة شخصيتها المستقلة الدولية.(٧)

ثم بدأت الصحافة تظهر روحاً عربية، وبدأ كثير من مؤيدى المصرية والفرعونية يبادرون بتأييد العروبة، وبدأت الصحف تنشر المقالات التى تؤيد الاتجاه العربى. كما عملت عدة مجلات على نشر الوعى العربى، وحث المفكرين والساسة المصريين على التفكير فى الأسلوب الذى يؤدى إلى توحيد العالم العربى، وكان أهمها مجلة الرابطة العربية، والفتح والرسالة والهلال وقد شملت كل منها مقالات قومية.

ففى عام ١٩٣٣ كتب عبد الرحمن عزام عدة مقالات عن الوحدة العربية ولعل أبرزها "أليست مصر عربية"(٨) "الإمبراطورية العربية وهل آن أن تتحقق"(٩) – "قضية فلسطين والوحدة العربية"(١٠) – و "من هم العرب؟"(١١) ....الخ.

ومن خلال هذه المقالات كان عبد الرحمن عزام يرى وحدة عربية شاملة وكان فى دعوته فى منتهى الصدق والوضوح والإيمان بالعروبة فى جميع مراحل حياته، كما كان

---

(٧) نبيه بيومى عبد الله: المرجع السابق- ص١٧٤-١٧٨.

(٨) نبيه بيومى عبد الله: نفسه- ص٦٩، ١٤٦.

(٩) مجلة الهلال: الجزء الرابع- السنة ٤٢- فى ١ فبراير ١٩٣٤/ ١٦ شوال ١٣٥٢هـ

يدعو إلى إيمان العرب بأنفسهم وأن العرب أمة واحدة. ويرى أن الوحدة خير للعالم وللعرب خاصة وللديمقراطية والسلام، وأن هذه الوحدة قائمة على رباط من الدم والدين واللغة، بحكم موقع مصر وسط هذه الأمة، فلا غنى للشعوب العربية عن مصر ولا لمصر عن أخوتها العرب.(١٢)

أضف إلى ذلك العديد من المقالات التى ساعدت على نشر الوعى العربى، وكان من أشهر كتابها "محمد على علويه- عبد القادر حمزة- سعيد حيدر- على الجندى- إبراهيم المازنى – أحمد حسين- زكى مبارك- أحمد حسن الزيات... وغيرهم.

ومما سبق نرى أن الصحافة المصرية لعبت دوراً كبيراً فى نضوج وتطور الفكر المصرى نحو الوحدة، حتى اتضحت معالمها.(١٣)

وظلت الوحدة العربية أمل العرب فى كل مكان، منهم من واتتهم الظروف وطالبوا بها كعرب الشام وعرب العراق، ومنهم من أرغمهم الاستعمار على أن يجعلوها هدفاً ثانياً بعد التخلص من احتلال ذلك الاستعمار لوطنهم كعرب مصر. وفى الحالتين كان الاستعمار الغربى يعرقل حركة الوحدة ويحاول كتم أنفاسها.(١٤)

من جهة أخرى كانت السياسة البريطانية ترى فى فترة ما بين الحربين أن القومية العربية قوة سلبية ومدمرة، ولهذا اتجهت إلى دعم الاتجاه القطرى، ورأت فيه

(١٠) محب الدين الخطيب: مجلة الفتح- العدد٦٥٣- فى ٢١ ربيع أول ١٣٥٨هـ.
(١١) محب الدين الخطيب: مجلة الفتح- العدد ٦٥٤- فى ٢٨ ربيع أول ١٣٥٨هـ.
(١٢) نبيه بيومى عبد الله: المرجع السابق- ص ١٥٠,٦٩.
(١٣) نبيه بيومى عبد الله: نفسه- ص١٥٣.
(١٤) د. أبو الفتوح رضوان: القومية العربية- الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية- الطبعة الرابعة- ١٩٦٩ – ص٢٥٧.

خطورة أقل على مصالحها الحيوية فى المنطقة. ولم تشجع فيصل الأول على انتهاج سياسة وحدوية عربية. ولكنها كانت فى الوقت نفسه حريصة على تجنب إظهار عدائها السافر لفكرة الوحدة العربية مادامت مجرد حلم او مثل أعلى من المتعذر تحقيقه، وحرص

الدبلوماسيون والساسة البريطانيون، خلال هذه الفترة، على توجيه اللوم إلى الفرنسيين والسعوديين ... ففرنسا قد عارضت بشدة الاتحاد العربى بمختلف أشكاله، كما وقفت موقفاً عدائياً من الحركة القومية العربية لاعتقادها بأن أى اتحاد عربى سيكون مركز جذب لعرب سورية ولبنان ومنطلقاً للهيمنة البريطانية فى المنطقة بأسرها. كما عارضت العربية السعودية أى اتحاد عربى تحت الزعامة الهاشمية وبرزت هذه المعارضة بصورة جلية حينما حاول نورى السعيد طرح حل القضية الفلسطينية باتحاد أقطار الهلال الخصيب. وكان الملك عبد العزيز يرى فى أى اتحاد لهذه الأقطار ضماً لأراضى جديدة للعراق، وإخلالاً بميزان القوى فى المشرق العربى وكان يعارض كل حل للقضية الفلسطينية يتضمن ضمها إلى أى قطر عربى مجاور، وكان لموقفه هذا وزن لدى الحكومة البريطانية لدى تقويم المشاريع الوحدوية.

وباندلاع الحرب العالمية الثانية انقسم القادة السياسيون العرب إلى فريقين: فريق أعلن تأييده للدول الحليفة (بريطانيا وفرنسا) فى صراعها مع دولتى المحور (ألمانيا وإيطاليا)، على أمل أن تحقق آمال العرب فى الاستقلال والوحدة بعد انتهاء الحرب. وفريق ثان أخذ على الحلفاء إهمالهم للعرب وقضاياهم ورأى أن لا بد من الاستفادة من الوضع الدولى باتخاذ موقف الحياد بين الكتلتين المتحاربتين أول الأمر حتى ينجلى الموقف ويعرف العرب أياً من الكتلتين ستساعده على نيل الاستقلال وتحقيق الوحدة.[١٥]

إذن لقد كانت الحرب العالمية الثانية مناسبة هامة، وفرصة متاحة، تدعمت فيها حركة الوحدة العربية، وأظهرت الأهمية البالغة للمنطقة العربية، ففيها قناة السويس، الممر المائى الهام، وفيها مخزون الاحتياطى الضخم من البترول الضرورى للصناعات الغربية، واللازم لوسائل النقل العالمية.

---

(١٥) جامعة الدول العربية "الواقع والطموح": على محافظة – مرجع سابق– ص٣٧.

علاوة على ذلك أظهرت الحرب الأهمية الاستراتيجية للمنطقة العربية إذ دارت فيها الحرب بعد سقوط أوروبا – كما أن الدول المتحاربة لمست عن قرب تصاعد الوعى الوطنى لشعوب المنطقة، الذى لا يمكن لها إغفاله. لهذا وجدت الشعوب العربية فرصتها

النادرة للمطالبة بالتخلص من السيطرة الأجنبية، وإبراز كيانها العربى خصوصاً بعد أن تكشفت النوايا الصهيونية، وبدت واضحة تهدد المنطقة كلها بما تبيت لها من التآمر الذى يستهدف وجودها وبقائها، ماضيها وحاضرها، ومستقبلها ومستقبل أجيالها.

لهذا كله بدأ العرب فى تجميع صفوفهم، وتوحيد كلمتهم، والالتفاف حول آمالهم فى الاستقلال والسيادة والوحدة[١٦]. ووجدت فى العالم ظروف من شأنها أن تخدم فكرة الوحدة مهما كانت الطرق المؤدية إليها.

تأييد الوحدة السورية:

ولعب الصراع الدولى دوراً هاماً فى هذه "الوحدة" إذ تقرب إلى العرب كل من الطرفين المتنازعين، الحلفاء والألمان على السواء، وضربوا على الوتر الحساس وتر تحقيق الأمانى القومية، فأذاع راديو بارى يوم ٣٠ من يونيو سنة ١٩٤٠ بأن من أهداف المحور السعى لتحقيق الوحدة السورية.

وعلى أثر إذاعة هذا التأييد أرسل الأمير عبد الله أمير شرق الأردن مذكرة إلى المندوب السامى البريطانى بفلسطين جاء فيها. إن دعاية المحور لتحقيق "الوحدة السورية" وإن لم تكن ذات قيمة رسمية، فإنها لا تخلو من أثر فى الرأى العام العربى وإن هذا يستدعى صدور تصريح من الجانب البريطانى يحقق أمل العرب فى بريطانيا".[١٧]

وبالفعل ففى ٢٩ مايو ١٩٤١ أدلى إيدن وزير الخارجية البريطانى بتصريح فى

---

(١٦) محمد حافظ غانم: محاضرات عن الجامعة العربية- معهد البحوث والدراسات العربية – ١٩٦٥، ١٩٦٦- ص٣٤.

(١٧) سامى حكيم: ميثاق الجامعة والوحدة العربية- مكتبة الأنجلو مصرية- الطبعة الأولى- القاهرة- ١٩٦٦- ص١٠.

مجلس العموم البريطانى، جاء فيه: " إن حكومة جلالته سوف تبذل تأييدها التام لأى خطوة تلقى موافقة عامة فى المنطقة العربية يكون من شأنها تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية وكذلك الروابط السياسية أيضاً..."[١٨]

كـان خطـاب إيـدن هـذا أول بيـان رسـمى مـن نوعـه، ألقـاه عشـية دخـول القـوات البريطانية بغداد وقبيل بدء عمليات الحلفاء العسكرية فى سوريه ولبنان... وقد استقبل الخطاب بالترحاب فى البلاد العربية، فقد نشر عبد الرحمن عزام مقالاً فى مجلة المصور (عدد ١٩٤٢/١٢/١١) بعنوان "لا حياة لمصر وشقيقاتها العربية إلا بالاتحاد" بجانب الكثير من المقالات التى كتبها الكتاب العرب.[١٩]

وعليه فقد انتهز الأمير عبد الله استيلاء الحلفاء على دمشق فى أوائل يونيو ١٩٤١ – وبدأ يعمل من أجل تحقيق أطماعه فى تكوين سوريا الكبرى تحت حكمه بضم سوريا ولبنان وفلسطين إليه. فأرسل عدة برقيات إلى تشرشل يذكره فيها بحق العائلة الهاشمية فى عرش سوريا منذ عام ١٩١٦.

وفى ١٦ يوليو ١٩٤١ بعث الأمير عبد الله برسالة إلى "أوليفر ليتلتون" وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط تحدث فيها عن الوحدة السورية أيضاً. ولم يهتم الأمير عبد الله سوى بتحقيق الوحدة السورية بل أنه كان متخوفاً من دعوة الوحدة العربية لأنها لن تكون تحت سيطرته وقد تحرمه من تحقيق أطماعه فدعا نورى السعيد إلى إعادة الدعوة الهاشمية، وتعكس برقية الأمير عبد الله إلى نورى السعيد هذا التفكير بوضوح.[٢٠]

ولم تستجب الحكومة البريطانية لمطلب الأمير عبد الله الخاص بإصدار تصريح

---

(١٨) عبد الحميد محمد الموافى: مصر فى جامعة الدول العربية – (دراسة فى دور الدولة الأكبر فى التنظيمات الإقليمية)-(١٩٤٥-١٩٧٠)-الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٨٣-ص٧١

(١٩) جامعة الدول العربية "الواقع والطموح": على محافظة – مرجع سابق – ص ٤٠.

(٢٠) عبد الحميد محمد الموافى: مرجع سابق- ص ٧٢.

يمنح بلاده الاستقلال، كما أنها رفضت أن تقوم حكومته بأى اتصال عاجل مع الحكومة السورية وغيرها من الحكومات الأخرى بشأن الوحدة السورية.

ثم جرت عدة اتصالات غير رسمية.. بين رجال شرق الأردن وبعض المشتغلين بالقضايا العربية فى كل من سورية ولبنان وفلسطين، ورأى نورى السعيد أن يعزز هذا

المسعى فكتب فى نهاية عام ١٩٤٢ رسالة إلى مستر "ريتشارد كيزى" وزير الدولة البريطانى لمنطقة الشرق الأوسط فى القاهرة، وهى الرسالة التى أطلق عليها فيما بعد اسم "الكتاب الأزرق" وكان يقترح فيه[٢١]:

أولاً: إنشاء دولة واحدة تضم كل من سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن مع توفير الضمانات لليهود فى فلسطين والمسيحيين فى لبنان.

ثانياً: تنضم هذه الدولة الجديدة إلى العراق فيما يسمى بالهلال الخصيب.

وتتحدث وقائع التاريخ لتقول أن مصر والسعودية عارضا مشروع سوريا الكبرى بكل قوة، وعارضته أيضاً سوريا ولبنان.

وكان مثار الكثير من الخلافات أيضاً بين كل من بغداد وعمان، فقد كان نورى السعيد يطالب بضم شرق الأردن إلى بغداد، بينما كان الملك عبد الله أمير شرق الأردن يرى ضم العراق إلى شرق الأردن.[٢٢]

ورأت مصر أن لا تقف مكتوفة الأيدى إزاء ما يدور حولها من اتصالات ومباحثات، فدعت كلاً من جميل مردم رئيس وزراء سورية فيما بعد والشيخ بشارة الخورى رئيس الكتلة الوطنية فى لبنان فى ذلك الحين، لاستطلاع رأيهما فى بعض الشئون العربية.

---

(٢١) سامى حكيم: مرجع سبق ذكره– ص١٥.

(٢٢) جميل عارف: الوثائق السرية لدور مصر وسوريا والسعودية (شاهد على مولد جامعة الدول العربية) – الدولية للإعلام والنشر– الطبعة الأولى– مارس ١٩٩٥– ص٩.

وتناولت المباحثات الرسمية تطورات الموقف فى البلدين وهما يجاهدان لنيل الاستقلال والفكاك من كل قيد فرنسى، وطرق التعاون بين الدول العربية، وتشكيل جامعة عربية" لتوثيق العرى بين الدول المنضمة لها. ورحب جميل مردم بالفكرة ووافق عليها الشيخ بشارة الخورى إلا أنه أوضح حرص لبنان على التمتع باستقلاله ضمن حدوده

القائمة، والسير مع الدول العربية إلى أبعد مدى ممكن بدون أن يؤثر ذلك على سيادته وحريته.[٢٣]

وفى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٣ وجه أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى سؤالاً إلى أنطونى إيدن وزير الخارجية عما إذا كانت بريطانيا قد اتخذت أى خطوة لتحقيق التعاون السياسى والاقتصادى المنشود بين الدول العربية.

فأجاب إيدن بقوله "إن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى كل حركة بين العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية بينهم ولكن من الواضح ان الخطوة الأولى لتحقيق أى مشروع يجب ان تأتى من جانب العرب أنفسهم والذى أعرفه أنه لم يوضع حتى الآن مثل هذا المشروع الذى سينال استحساناً عاماً. ".

أحدث هذا التصريح ردود سريعة وإيجابية. فقد نشر عبد الرحمن عزام مقالاً فى صحيفة الأهرام (١٩٤٣/٢/٢٨) بعنوان: "حول الوحدة العربية" أعرب فيه عن ترحيبه بتصريح ايدن معتبراً إياه اعترافاً من جانب بريطانيا بالأمة العربية وبأمانيها.[٢٤]

ومما سبق – أرى – أن بريطانيا التى ناصبت العرب العداء، وصاحبة "وعد بلفور" والسند الأول للحركة الصهيونية، والأداة العسكرية والسياسية التى زرعت الوجود الصهيونى فى فلسطين، لا يمكن أن تنطلق نحو هذا التحرك من منطلق التعاطف مع الأمانى العربية أو استجابة لرغباتها القومية، بل استهدفت من وراء ذلك احتواء

---

(٢٣) سامى حكيم: نفسه– ص١٦.

(٢٤) جامعة الدول العربية "الواقع والطموح": على محافظة – مرجع سابق– ص٤٤.

الوعى الوطنى المتصاعد فى المنطقة العربية، وتخفيف العداء ضد الوجود البريطانى، وإيجاد كيان وحدوى بشكل ما، يحقق مصالحها، ويخضع لسيطرتها، ونفوذها.

مصر قبل إنشاء الجامعة العربية:

في أوائل الأربعينات وأثناء الحرب العالمية الثانية اضطربت الحالة الاجتماعية فى مصر، فقد ارتفعت الأسعار وزادت أعباء المعيشة واختفت السلع التى يقبل عليها غالبية الشعب، وقل الكيروسين (الجاز الذى يستخدم كوقود فى المواقد) واختفى الزيت والسكر- وقل الخبز، واستعاض عنه الكثير من الموسرين بالبطاطس والمكرونة وما إلى ذلك، وصار الناس فى بعض أحياء القاهرة يهجمون على المخابز للحصول على الخبز، ويتخطفونه من حامليه فى الشوارع.

وتعرضت الحكومة لهجوم المعارضين، لفشلها فى تجنب البلاد شبح المجاعة – ونسب ما فيه البلاد من عوز إلى الوجود البريطانى والقوات المتحالفة واستهلاكها المتزايد من الحبوب والمواد الغذائية – وفشلت محاولات الحكومة للحد من المشكلة – بمنح إعانة غلاء للمعيشة للموظفين وتخصيص مساحات من الأرض لزراعة الحبوب والمحاصيل – فشلت كل هذه الجهود- وانتشرت فى الشارع المصرى مظاهرات العداء لبريطانيا والتأييد لألمانيا وسمع البريطانيون هتاف المصريين "إلى الأمام يا روميل" وتزايدت حالات هروب الطيارين المصريين بطائراتهم إلى المواقع الألمانية – وأصبحت بريطانيا تعيش أسوأ أيام وجودها فى مصر- وتوالت المصائب على وزارة حسين سرى المتعاون مع الإنجليز. وأمام هذا، اضطربت أعصاب الإنجليز، وطلبوا إلى حسين سرى وضع حد أمام هذه الأزمات، فلم يستجب إلى طلبهم، إذ أدرك أن الزمام قد أفلت من يده ولم ير بإزاء هذه العواصف التى هبت عليه وعلى وزارته سوى الاستقالة، فقدمها فى يوم ٢ فبراير ١٩٤٢.

أحس البريطانيون أن المتاعب التى يمرون بها فى مصر ترجع إلى يد القصر وعملائه – وقرروا التدخل، وفى يوم ٢ فبراير طلب السفير البريطانى من الملك فاروق إيجاد وزارة حريصة على المعاهدة، قادرة على تنفيذها – قوية على الحكم وتتمتع بتأييد شعبى، وأن تكون الوزارة برئاسة مصطفى النحاس باشا، وحدد السفير للملك ظهر الثالث من فبراير موعداً لتنفيذ هذا المطلب محملاً الملك المسئولية عن أى اضطرابات تحدث خلال ذلك.

وافق الملك على دعوة النحاس لتأليف وزارة قومية مسبوقة بوزارة انتقالية.[٢٥] وكان ممكناً أن يتم الأمر فى هدوء وبغير حاجة إلى التدخل البريطانى المسلح الذى حدث فى يوم ٤ فبراير، لو أن النحاس قبل أن يؤلف وزارة قومية. ولكنه أبى ذلك، واعتذر لفاروق مع عدم إجابته هذا الطلب مستنداً إلى عدم استطاعته الاشتراك فى الحكم مع رجال الانقلاب.

ولما علم السفير البريطانى على أثر هذه المقابلة بأن النحاس رفض تأليف وزارة قومية برئاسته، قابل رئيس الديوان الملكى أحمد حسنين باشا وأخبره بأنه علم برفض النحاس تأليف وزارة قومية وطلب إليه أن يرفع إلى الملك نصيحة السفير البريطانى أن يكلف النحاس بتأليف وزارة وفدية، فرد عليه رئيس الديوان بأن المسألة بين الملك ورؤساء الأحزاب.[٢٦]

ومع الشد والجذب الذى استلزمه هذا الأمر- فاجأ السفير البريطانى القصر بتقديم إنذاره للملك فى الثانية عشرة والنصف من ظهر يوم ٤ فبراير وكان نصه "إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة من مساء اليوم أن النحاس سيشكل الحكومة فإن الملك فاروق يجب أن يتحمل النتائج".

وتتوالى الأحداث بسرعة رهيبة بعد هذا الإنذار. فالملك يدعو ١٧ من كبار الشخصيات المصرية فيهم النحاس ويحاول الجميع إغراء زعيم الوفد على قبول رئاسة وزارة ائتلافية إلا أنه يبقى عند تصميمه بالرفض.

---

(٢٥) د. عبد الوهاب بكر: (صفحات من تاريخ مصر...) - مرجع سابق- ص١٤٩، ١٥٠.
(٢٦) عبد الرحمن الرافعى: مصر بين ثورة ١٩١٩، ١٩٥٢- مرجع سابق - ص٤٦.

يتناقش المجتمعون فى الإنذار ويتخذون قراراً برفضه، ويرفض النحاس معهم ويوقع الجميع قرار رفض الإنذار.

وتقع الواقعة فى الساعة التاسعة من مساء يوم الأربعاء ٤ فبراير ١٩٤٢ حيث طوقت قوة بريطانية قصر عابدين واقتحم السير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة مع بعض كبار الضباط البريطانيين، القصر الملكى حيث خيروا الملك بين التنازل عن العرش وبين استدعاء النحاس باشا لتأليف وزارة برئاسته وبشروطه.. وأذعن فاروق لطلب السفير باستدعاء زعيم الوفد لتشكيل الوزارة رقم (٥٥)، ويعد حادث ٤ فبراير نقطة تحول خطيرة للغاية فى تاريخ الحياة السياسية المصرية.

فهذا الحادث أثبت تماماً حقيقة العلاقات المصرية – البريطانية – وأن الاحتلال البريطانى هو الشكل الحقيقى لهذه العلاقة مهما استتر تحت معطف التحالف أو تصريح ٢٨ فبراير أو الحماية... الخ.

كما كان الحادث بداية النهاية للشعبية التى ظل يتمتع بها الوفد على امتداد العقود الثلاثة السابقة، فإن الحزب الكبير ظل يستمد الجانب الأهم من شعبيته من وقفاته الوطنية المتتالية ضد الوجود البريطانى، أما أن يصل إلى الحكم على حراب الإنجليز وبشبهة التواطؤ معهم فهو أمر لم يألفه المصريون وكان من الصعب عليهم، أن يتقبلوه خاصة مع مرور الوقت ومع تبين أبعاد الواقعة.[٢٧]

وفى الواقع فإن أعوام ١٩٤٢ – ١٩٤٣ شهدت تزايد خصوم الوفد ومعارضيه وأصبحت ضرباتهم للوفد مؤثرة ومركزة، ولم يعد للوفد من نصير سوى الوجود البريطانى وبعض من رصيد شعبى يهبط بين الحين والآخر، ولم تترك المعارضة الوجود البريطانى، فتزايدت حركة كشف حقيقة السياسة البريطانية، والمطالبة بانسحاب القوات الأجنبية والوحدة مع السودان والاستقلال التام.

---

(٢٧) د. يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات... – مرجع سبق ذكره – ص ٤٣٦.

وبدا موقف المعارضة فى الأربعينيات مشابهاً تماماً لموقف الوفد فى العشرينيات والثلاثينيـات عنـدما كـان خـارج الحكـم، كـل ينـادى بالحريـة والديمقراطيـة والدسـتور وبالاستقلال والجلاء.(٢٨)

ثـم كانـت الخصـومة ثـم القطيعـة بـين أشـهر صـديقين فـى السياسـة المصـرية.. النحـاس ومكـرم.. وكانـت هـذه الخصـومة ثـم القطيعـة السـبب الأساسـى فـى تكـوين الـوزارة النحاسية السادسة (٢٦ مايو ١٩٤٢ – ٨ أكتوبر ١٩٤٤).(٢٩)

دور مصر فى إنشاء جامعة الدول العربية:

كانت الظروف المصرية الداخلية والعربية والدولية دافعاً لحكومة مصطفى النحـاس باشا فى أوائل عام ١٩٤٣ لأن تتحرك بصورة جديـة مـن أجل محاولـة التوصل إلـى صيغة مناسبة للوحدة العربية حيث فرضت ظروف الزعامة المصرية لقوى العالم العربى فى مجـال محاربة الاستعمار ومحاولة تحقيق الاستقلال أن تتحـرك مصر مـن أجل استغلال الموقف لتحقيق هذا الهدف خاصة بعد ارتباط المشرق العربى بعجلة المصالح البريطانية من خلال مركز تموين الشرق الأوسط والقيادة العسكرية للشرق الأوسط.

كمـا بـدأت مصر تشـعر بنـوع مـن الأمـان يمكنهـا مـن متابعة خطواتهـا فـى المجـال العربى وذلك نتيجة لابتعاد خطر الحرب عنها بعد انتصار بريطانيا فى معركة العلمين.

كـذلك كـان هنـاك اقتنـاع عربـى بـأن مصـر هـى التـى يمكنهـا أن توحـدهم وتجمعهم وبالتالى لم تقاوم الدول العربية قيادة مصر لـها، كما وعت مصر قيادتها ودورها العربى.

كذلك كان تحرك مصر فى ذلك الوقت مهماً لمواجهـة المشروعات الـهاشمية، مـن منطلـق التنـافس والرغبـة فـى إحباطهـا، إذ أن هـذه المشـروعات كانـت قـد اسـتهدفت وضـع الـهاشميين فى موقع الزعامة العربية فى المشرق وبالتالى التأثير على مكانـة مصر.

---

(٢٨) د. عبد الوهاب بكر: (صفحات من تاريخ مصر ...) – المرجع السابق – ص ١٥٥.

(٢٩) د. يونان لبيب رزق: المرجع السابق – ص ٤٤٧.

ويمكن القول أن تحسن العلاقات المصرية السعودية منذ أغسطس ١٩٤٢. كان من أهم الدوافع للتحرك من أجل تقوية الموقف العربى.

تضافرت هذه العوامل معاً ودفعت مصر إلى أن تبدأ فى العمل الجاد من أجل وضع صيغة مناسبة للوحدة العربية.(٣٠)

وكان زمام المبادرة فى هذا الشأن وفى ذلك الوقت بيد مصر، فتولت دعوة الدول العربية إلى اجتماعات ومشاورات(٣١)، وأخذ الحديث عن الوحدة العربية يرتفع من مجالات الأمانى إلى مستوى البحث والاتصالات السياسية.

فدعت مصر فى منتصف أغسطس ١٩٤٣، سوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية والعراق واليمن وشرق الأردن إلى إيفاد مندوبين عنها لتبادل الآراء فى موضوع "الوحدة العربية".

وهكذا بدأت مرحلة جديدة عرفت فيما بعد باسم "المشاورات" استعرض فيها الأوضاع السياسية القائمة فى البلاد العربية وأشكال الوحدة المرجوة.(٣٢)

وبالفعل بدأت المباحثات الثنائية فى القاهرة بين رئيس وزراء الحكومة المصرية مصطفى النحاس، وبين رؤساء الحكومات العربية الأخرى فى المشرق العربى لتتبادل وجهات النظر حول كيفية قيام (وحدة عربية) أو (اتحاد بين الدول العربية).

بدأت المشاورات الثنائية التمهيدية، بمباحثات بين رئيس الوزراء المصرى، ورئيس الوزراء العراقى، فى يوليو ١٩٤٣. تلبية لدعوة رئيس الوزراء المصرى، وكان

---

(٣٠) عبد الحميد محمد الموافى: مرجع سابق- ص٧٧: ص٨٠

(٣١) أحمد الشقيرى: الجامعة العربية (كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية)- دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع- تونس- ص٥.

(٣٢) توفيق أحمد البكرى، إبراهيم شكر الله: جامعة الدول العربية والقضايا التى عالجتها (١٩٤٥-١٩٥٧)- أبريل- ١٩٥٧- ص١.

نورى السعيد رئيس وزراء العراق، قد قام قبل زيارته لمصر بزيارات لكل من لبنان وسوريا، وفلسطين، وشرق الأردن وتباحث مع المسئولين فيها حول (شئون الوحدة العربية).

ثم واصلت مصر نشاطها فدعت فى منتصف أغسطس ١٩٤٣ كلا من حكومات سوريا، ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن وشرق الأردن إلى إيفاد مندوبين لتبادل الآراء ووجهات النظر فى موضوع الوحدة العربية. فقدم إلى مصر توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن فى ٢٨ أغسطس ١٩٤٣، ثم سعد الله الجابرى رئيس وزراء سوريا فى ٢٦ أكتوبر، وفى نفس الشهر زار مصر وفد سعودى، ثم الوفد اللبنانى برئاسة رياض الصلح رئيس الوزراء اللبنانى، واختتمت اللقاءات بزيارة الوفد اليمنى فى فبراير ١٩٤٤.[٣٣]

واتخذت المشاورات التى تمت بين مصر وكل من الدول العربية التى دعتها طابع المشاورات الاستطلاعية. تقوم فيها مصر بالتعرف على وجهة نظر كل منها فى مسألة الوحدة العربية.

وقد عكست هذه المشاورات قيادة مصر للدول العربية واعتراف الدول العربية بهذه المكانة لمصر، وقد حرصت مصر على أن تترك للبلاد العربية الحرية فى إبداء آرائها لمعرفة رأى كل منها دون التأثر بموقف الوفد المصرى.[٣٤]

وشكلت لجنة تحضيرية اجتمعت فى الإسكندرية (سبتمبر، أكتوبر ١٩٤٤) وعرفت هذه المشاورات بمشاورات الوحدة. ووقع بروتوكول الإسكندرية فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤.[٣٥]

---

(٣٣) هارون هاشم رشيد: مرجع سابق- ص٢٠.

(٣٤) جامعة الدول العربية: ملخص محاضر المشاورات مع العراق، شرق الأردن، المملكة العربية السعودية، سوريا، لبنان، اليمن – مطبعة فتحى سكر ١٩٤٩- القاهرة- ص٥، ٢٨.

(٣٥) د. أبو الفتوح رضوان: مرجع سبق ذكره- ص٢٥٨.

ولقد حرص بروتوكول الإسكندرية على إزالة مخاوف العناصر الانفصالية التى كانت تعارض الوحدة العربية الكاملة ولا تقبل الخضوع لسلطة عربية عليا، فأكد أن

الجامعة المقترحة تقوم على التعاون الاختيارى بين الدول العربية وعلى المساواة بينها، وتضمن احترام الدول العربية لاستقلال لبنان وسيادته.[٣٦]

وفى ١٨ أكتوبر عام ١٩٤٤ أقال الملك وزارة النحاس وكلف أحمد ماهر باشا بتشكيل وزارة جديدة استمرت حتى ٢٤ فبراير ١٩٤٥م، حين اغتيل أحمد ماهر.[٣٧]

وفى ٣١ أكتوبر صدر أمر ملكى رقم ٣٦ بتعيين عبد الرحمن عزام بك وزيراً مفوضاً من الدرجة الأولى فى وزارة الخارجية (مساعد وزير الخارجية للشئون العربية)، ونفذ ذلك ابتداء من ٣ نوفمبر ١٩٤٤.[٣٨] وقد أنشأت وزارة الخارجية المصرية مكتباً خاصاً للشئون العربية[٣٩]، أطلق عليه " إدارة الشئون العربية "، وكان إنشاء هذه الإدارة الجديدة فى وزارة الخارجية دليلاً على اهتمام الحكومة المصرية بالقضية العربية وتوطيد النية على تحسين العلاقات بين دول العرب ووضع برنامج شامل للتعاون الوثيق بينها.

وقد جاء إسناد هذا المنصب إلى عزام بك لما هو معروف عنه من الإلمام التام بالشئون العربية وممارسة قضاياها أعواماً طوالاً والتخصص فى هذا المضمار. فهو يعرف البلاد العربية معرفة تامة، فقد طاف أرجاءها وخبر أحوالها. وله بزعمائها وحكامها أوثق العلاقات وأطيب الصلات.[٤٠]

---

(٣٦) د. محمد حافظ غانم: محاضرات عن جامعة الدول العربية- مرجع سبق ذكره - ص٣٥.

(٣٧) د. رأفت غنيمى الشيخ: مصر والسودان - مرجع سبق ذكره - ص٣٢٠.

(٣٨) جريدة الوقائع المصرية: العدد/١٣٤- فى ٩/١١/١٩٤٤- ص١، وكذلك (أحمد عطية الله: القاموس السياسى- الطبعة الثالثة- دار النهضة العربية-١٩٦٨- ص٧٧٧.)، وكذلك (جريدة الأهرام: العدد/٢١٤٨٠- السنة٧٠- فى ٣ نوفمبر ١٩٤٤- ص٢٠).

(٣٩) مجلة الرابطة العربية:العدد/٤١٩-فى ١٨ ذوالقعدة سنة١٣٦٣هـ- ٤ نوفمبر١٩٤٤م- ص١٠

(٤٠) الأهرام: العدد/٢١٤٨١- السنة٧٠- ٥ نوفمبر ١٩٤٤- ص٢. (للمزيد أنظر ملحق ٣، ملحق ٤).

كما أسندت إليه رئاسة اللجنة الفرعية بالإنابة، تلك اللجنة التى ألفت من أعضاء اللجنة التحضيرية لإعداد مشروع لنظام (مجلس الجامعة) ولبحث المسائل السياسية.[٤١] ثم أصبح رئيساً فعلياً لهذه اللجنة إثر اغتيال أحمد ماهر باشا.[٤٢]

واشترك بعد ذلك بصفته عضواً فى الوفد المصرى فى اجتماعات اللجنة الفرعية السياسية لوضع ميثاق الجامعة العربية وفى اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام.[٤٣]

تعيين عبد الرحمن عزام أميراً للحج:

كانت أول مشكلة واجهت أحمد ماهر باشا بعد توليه رئاسة الحكومة المصرية هى محاولة إقناع الملك عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى بن حميد الدين ملك اليمن بالتوقيع على بروتوكول الإسكندرية.

وكان أحمد ماهر يعرف علاقة الصداقة والود التى كانت تربط بين الملك عبد العزيز وعبد الرحمن عزام الوزير المفوض للشئون العربية بوزارة الخارجية المصرية. فقد كان الملك عبد العزيز يثق به ويستشيره فى الكثير من الشئون المتعلقة بالسياسة الخارجية للمملكة، وأحياناً الداخلية أيضاً.

لذلك قرر أحمد ماهر بالاتفاق مع القصر الملكى تعيين عبد الرحمن عزام أميراً للحج وتكليفه بمحاولة إقناع الملك عبد العزيز بالموافقة على توقيع بروتوكول الإسكندرية.[٤٤]

---

(٤١) نبيه بيومى عبد الله: مرجع سبق ذكره- ص ١٨٨

(42) Abd al Rahman Azzam the First……..: Ibid, p13.

(٤٣) محمد عبد الوهاب الساكت: (الأمين العام لجامعة الدول العربية). اختصاصاته السياسية والإدارية ودوره فى قوات الطوارئ العربية – دراسة فى أسلوب العمل ونظامه داخل جامعة الدول العربية- دار الفكر العربى- ١٩٧٣/١٩٧٤- ص١٠٦.

(٤٤) جميل عارف: (الوثائق السرية...) – مرجع سابق- ص٧٠. (لمزيد من التفاصيل أنظر ملحق رقم ٢).

وفى نوفمبر ١٩٤٤ سافر عبد الرحمن عزام إلى المملكة العربية السعودية بصفته أميراً للحج. وعرف الملك عبد العزيز بالمهمة المكلف بها عزام، فظل بالرياض ولم يخرج للحج فى هذا العام. وقال لبعض المقربين إليه "لو قابلت عزام فسوف أدخل الجامعة العربية". وظل عزام حتى انتهى موسم الحج، وأصر أن يذهب إلى الملك عبد العزيز فى الرياض.

وفى هذه الأثناء مرض عزام بالملاريا، وحاول الأطباء إقناعه بتأجيل السفر. لكنه رفض، وعندما علم الملك عبد العزيز بذلك قرر الحضور إلى جدة والاجتماع بعبد الرحمن عزام.

استطاع عزام أن يقنع الملك عبد العزيز أن الجامعة سوف تسير فى اتجاه عربى، كما استطاع فى النهاية أن يحصل منه على وعد بدخول الجامعة العربية.[٤٥]

يقول عزام " وقد تشرفت خلال خمسة أيام بمقابلة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عشر مرات، وانتهت المحادثات مع جلالته وحكومته إلى وضع بعض المبادئ التى سيكون لها أثر عظيم فى التطور نحو اتحاد كامل. وأصبحت المملكة العربية السعودية رسمياً عضواً فى جامعة الدول العربية، وسيحضر ممثلوها قريباً للاشتراك فى جميع اللجان والقرارات التى تتخذها.... ".[٤٦]

وفى ١٦ يناير ١٩٤٥، قام الشيخ يوسف ياسين بالتوقيع على بروتوكول الإسكندرية[٤٧]، وبعد نجاح المفاوضات أوضح أحمد ماهر أن ندب عبد الرحمن عزام بك أميراً للحج فى هذا العام كان الباعث الأول عليه القيام بمهمة المفاوضات التى أدت إلى هذه النتيجة.[٤٨]

---

(٤٥) د. عمر عبد الرحمن عزام: من حديث تم بمنزله بالمعادى فى ١٥ مايو ٢٠٠٠.

(٤٦) مجلة الرابطة العربية: العدد٤٢٦– فى ٢٨ محرم سنة١٣٦٤هـ– ١٣ يناير سنة ١٩٤٥م– ص١٠.

(٤٧) جميل عارف: (الوثائق السرية...) – مرجع سابق– ص٨٢.

(٤٨) مجلة الرابطة العربية: العدد السابق– ص٨.

عزام وميثاق الجامعة العربية:

ترأس محمود فهمى النقراشى وزير خارجية مصر اجتماعات اللجنة الفرعية السياسية التى تشكلت من ممثلى الدول العربية الأعضاء فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر

العام والتى بدأت فى ١٤ فبراير ١٩٤٥ من أجل إعداد مشروع ميثاق لمجلس جامعة الدول العربية.

وقد تمثل الدور المصرى فى هذه المرحلة فى بلورة الأفكار التى تجد قبولاً عاماً من جانب أعضاء اللجنة الفرعية السياسية ووضعها فى صيغة مواد محددة فى شكل مشروع ميثاق، بالإضافة إلى التقدم بالاقتراحات التى تراها مناسبة للتوفيق بين الآراء المختلفة من أجل أن تشمل جامعة الدول العربية فى عضويتها جميع الدول التى اشتركت فى المشاورات وحتى يحظى مشروع الجامعة العربية بإجماع الدول العربية. كما قدمت مصر كافة التسهيلات من أجل وضع مشروع ميثاق جامعة الدول العربية فى شكل قانونى سليم.

فوفرت هيئة سكرتارية لاجتماعات اللجنة الفرعية السياسية واللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام وأتاحت للدول العربية الأخرى إمكان المشاركة فيها إذا رغبت...، وبعد الانتهاء من مشروع الميثاق فى اللجنة الفرعية السياسية أحيل إلى قلم القضايا لإعداده فى الصيغة النهائية وترتيب المواد حسب الموضوعات التى تعالجها محاضر اللجنة الفرعية.

وقد ارتكزت مباحثات اللجنة الفرعية السياسية على بروتوكول الإسكندرية وعلى مشروعين تقدمت بهما العراق ولبنان واعتبرتهما اللجنة مشروعين غير رسميين وأطلق عليهما مشروع نورى السعيد ومشروع هنرى فرعون، وحتى تتوصل اللجنة إلى نتائج محددة قام النقراشى باشا بعرض مادة من أحد المشروعين مع ما يقابلها من المشروع الآخر ثم بلورة ما تتفق عليه اللجنة من آراء.

فمثلاً لم ينص مشروع نورى السعيد على المقر الدائم لمجلس جامعة الدول العربية وترك هذا المكان خالياً ونص على أن تُعقد اجتماعات المجلس فى إحدى عواصم البلاد العربية. فى حين نص مشروع هنرى فرعون على أن تكون مصر هى المقر الدائم لمجلس الجامعة. ولما رأى قلم القضايا المصرى أن نص المادة الرابعة حول مقر الجامعة لا يفى بحالته التى بها بالغرض ولابد من تحديد " القاهرة " كمقر دائم لجامعة الدول

العربيـة عرض عبد الـرحمن عزام تعديلاً للمـادة الرابعة نـص علـى " تكون القـاهرة المقر الـدائم لجامعـة الـدول العربيـة ولمجلـس الجامعـة أن يجتمـع فـى أى مكـان آخـر يعينـه ". ووافقت اللجنة على ذلك.

كـذلك نـص اقتـراح نـورى السـعيد علـى أن يكـون لمجلـس الجامعـة سـكرتير عـام ومساعد له من بين أبناء كل دولة من أعضاء الجامعة. وقد أعربت مصر عن معارضتها لهذه الفكرة وكان رد عبد الرحمن عزام لـه دلالـة كبيرة إذ قال: " إن السكرتير العام مهمتـه إدارية وهو منتخب من الجميع ولا يمثل دولة معينة.. وأنه لو أخذ بـاقتراح نـورى فإن هذا يـؤدى إلـى ارتبـاك العمـل ولا مـانع مـن أن يعـين السـكرتير العـام بصـفة دوريـة ". وقـال النقراشـى باشـا: أن الـرأى يتجـه إلـى عـدم تحديـد عـدد السـكرتيرين واقتـرح نصـاً للمـادة السادسة فى المشروع وافقت عليـه اللجنـة وهو " يكون للجامعة سكرتارية دائمـة وتتـألف مـن سكرتير عـام ومسـاعديه وعدد كـافٍ من المـوظفين ويعين مجلس الجامعـة السكرتير العـام الـذى يكـون فـى الوقـت نفسـه سـكرتيراً للمجلـس ويعـين الملحـق بهـذا الميثـاق أول سكرتير عام للجامعة، ويعين السكرتير العام الموظفين اللازمين للقيام بأعمال الجامعة، ويضع المجلس نظاماً داخلياً لأعمال السكرتارية وشئون الموظفين.

وحول الخلاف الذى وقع بين مصر والمملكة العربيـة السعودية من جهة، والعراق وشرق الأردن ولبنان من جهة أخرى بشأن مدى اختصاص مجلس جامعة الدول العربيـة بنظر الخلاف بين الدول العربيـة أعضـاء الجامعة والفصل فيـه، عقـب عبـد الـرحمن عزام على ما حدث مصوراً الموقف الذى وصل إليه مشروع ميثاق جامعة الدول العربيـة بقولـه " إن اتجاهات المشروع قد بعدت كثيراً عن الغرض الواسـع الذى كنـا نأملـه لميثـاق الجامعـة ومـا كـان يرمـى إليـه روح البروتوكـول بـالنظر لخطـة التحفظ والاحتيـاط التـى سلكها بعض حضرات الأعضـاء "، " نظامنـا علـى حالتـه الراهنـة يتضـاءل إلـى لا شـئ.. فالواجـب يحـتم علينا من الآن أن نعدل ميثاقنا وأن نضع أنفسنا فى الوضع الذى يسمح لنا بأن نكون قوة يعتمد عليها فى المحافظة على السلام فى ربوع هذه البلاد العربيـة وإلا كـان مركزنـا ضـعيفاً مرتبكاً ".

كما أوضح عبد الرحمن عزام أن هذا الميثاق ليس به ما يمنع الجامعة أو إحدى الدول المشتركة فيها من التعاون فى نظام عالمى يتقرر فيما بعد للأمن والسلام وذلك لتكون هناك علاقة بين الجامعة العربية والأمم المتحدة المزمع إنشاؤها، وقد وافقت سوريا وشرق الأردن والسعودية على هذا الاقتراح، ووضعت صيغة تمكن الجامعة من المشاركة فى نظام الأمم المتحدة. وقد أضيفت عبارة تفيد ذلك بالفعل إلى نص المادة الثالثة، وذلك برغم معارضة هنرى فرعون – لبنان– الذى كان يرفض أن تكون للجامعة شخصية دولية، وتحفظ فى هذه النقطة.

كذلك اقترح نورى السعيد أن ينص فى الميثاق على أن الميثاق الحالى هو نظام عام ويجوز للدول أن تعقد فيما بينها نظاماً خاصاً يكون أوسع وأمتن، واقترح لذلك النص التالى " لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه فى هذا الميثاق أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذا التعاون"

ورأى الوفد السعودى أن يضاف فى هذه النقطة عبارة تقول " على ألا يتعارض هذا مع نصوص هذا الميثاق وروحه ولا يضر بمصلحة دولة أخرى من دول الجامعة ".

حاولت مصر تقريب وجهات النظر بين السعودية والعراق فاقترح عبد الرحمن عزام على نورى السعيد والشيخ يوسف ياسين أن يكون نص هذه المادة هو " لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه الميثاق أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذا التعاون. إن المعاهدات والاتفاقات التى سبق أن عقدتها والتى تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى لا تلزم ولا تقيد الأعضاء الآخرين " وتمت الموافقة على هذه المادة.

كذلك وضع عبد الرحمن عزام نص المادة ٢٢ والتى تنص على أنه " إلى أن تؤسس الأمانة العامة للجامعة تتولى وزارة الخارجية للحكومة المصرية المهام المشار إليها فى المادتين ٢٠، ٢١" وقد تمت الموافقة على هذه المادة. وبموجب هذه المادة فإن وزارة الخارجية المصرية تقوم بمهام الأمانة العامة للجامعة حتى يتم تأسيسها.

وأخيراً كان هناك خلاف حول حضور ممثل عرب فلسطين جلسات اللجنة الفرعية وحقه فى التصويت، فقد رأت العراق والأردن أن يكون له حق الاشتراك، بينما رأت لبنان عدم أحقيته لأنه لا يمثل دولة مستقلة، ورأت سوريا اشتراكه مع عدم أحقيته فى التصويت.

وحاولت مصر التوفيق بين الآراء نظراً للأهمية الخاصة لفلسطين، فاقترح النقراشى باشا وزير الخارجية أن يسير ممثلو الدول العربية المستقلة فى وضع مشروع ميثاق الجامعة على أن يتضمن الميثاق نصاً خاصاً يشعر باهتمام الدول العربية بقضية فلسطين وإبراز هذا الاهتمام للعالم أجمع.

وانتهت هذه المناقشات بالاتفاق على دعوة موسى العلمى ممثل عرب فلسطين لحضور الجلسات بصفة استشارية أى لا يكون له حق التصويت. ثم اقترح عزام أن يشترك ممثل فلسطين فى مجلس الجامعة، ولكن لم توافق لبنان لأن فلسطين غير مستقلة. وبعد الانتهاء من وضع مشروع الميثاق اقترح عبد الرحمن عزام نصاً للقرار الخاص بفلسطين. وقد وافقت اللجنة وقد مثل هذا النص الملحق الخاص بفلسطين فى ميثاق جامعة الدول العربية.

وعن التعاون مع البلاد العربية غير المستقلة. عملت مصر على إتاحة الفرصة أمام هذه البلاد لأن تشارك فى نشاط جامعة الدول العربية والتعاون العربى فى المجال غير السياسى نظراً لأن الجامعة العربية تعمل لأمة عربية آتية.

... واقترحت مصر أن يضاف إلى المادة الأولى من الميثاق عبارة " ويجوز للمجلس أن يدعو للاشتراك فى أعمالة بصفة مستشارين شخصيات تمثل عناصر عربية"

وانتهت المناقشات بان اقترح عبد الرحمن عزام نص الملحق الخاص بالبلاد العربية الأخرى، وجاء فيه " يتعاون مجلس الجامعة مع الأقطار العربية الغير ممثلة فى الجامعة وأن يسعى بالوسائل الممكنة ليحقق لها الاشتراك فى الجامعة على قدم المساواة مع الدول المؤسسة لها. ويجوز للمجلس أن يدعو من الأقطار العربية للاشتراك فى

جلساته كممثلين أو مستشارين أو خبراء من يستعين بهم فى جميع الأمور التى تهم تلك الأقطار ". وقد وافقت على هذا الاقتراح الدول العربية الأخرى ما عدا لبنان.[٤٩]

أنهت اللجنة أعمالها فى ٣ مارس ١٩٤٥ بعد أن أعدت مشروعاً كاملاً لميثاق الجامعة يتكون من ديباجة و٢٢ مادة ويرافقه ملحقان، الأول خاص بفلسطين والثانى خاص بالتعاون مع الدول العربية غير المشتركة فى الجامعة.

وفى ١٧ مارس ١٩٤٥ وبقصر " الزعفران " بالقاهرة اجتمعت اللجنة التحضيرية لإقرار ميثاق جامعة الدول العربية فى صيغته النهائية فقامت بمراجعة مشروع اللجنة الفرعية السياسية ونظرت فى الاقتراحات والصياغات التى أعدها الدكتور عبد الحميد بدوى (أستاذ القانون الدولى) لإخراج الميثاق وثيقة دولية وقانونية متكاملة.

انتهت اللجنة التحضيرية من إعداد الميثاق بعد إجراء بعض التنقيحات على مشروع اللجنة الفرعية فى جلستها الثانية ١٩ مارس، وبذلك تألف الميثاق من ديباجة وعشرين مادة، وثلاثة ملاحق خاصة.

الملحق الأول: خاص بفلسطين، ويعلن فيه مجلس الجامعة تولية أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى أعماله حتى يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً، ونظراً لأن وجود هذا البلد (فلسطين) واستقلاله الدولى من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه.

---

(٤٩) جامعة الدول العربية: محاضر جلسات اللجنة الفرعية السياسية لوضع مشروع ميثاق لجامعة الدول العربية- الجلسات ١١، ١٢، ١٣- مطبعة فتحى سكر- القاهرة- ١٩٤٩. وكذلك (عبد الحميد الموافى: مرجع سبق ذكره- ص١١٥: ١١٧). وحول بروتوكول الإسكندرية وميثاق الجامعة العربية (أنظر ملحق رقم ٨).

الملحق الثانى: وهو خاص بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة فى مجلس الجامعة، وبالنسبة لهذا الملحق فقد تقلص نطاقه بانضمام الدول العربية تباعاً إلى الجامعة بعد استقلالها وقد كان ينص على حث الدول الأعضاء بالجامعة

على التعاون مع الدول غير الأعضاء إلى أبعد مدى مستطاع، والعمل على إصلاح أحوالها، وتأمين مستقبلها، بكل الوسائل الممكنة.

أما الملحق الثالث: وهذا ما يهمنا- فقد اختص بتعيين أول أمين عام لجامعة الدول العربية وهو عبد الرحمن عزام لمدة سنتين.(٥٠)

ثم عقدت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام جلستها فى شكل مؤتمر لتوقيع الميثاق.(٥١) وفى الثانى والعشرين من مارس ١٩٤٥ وسط مظاهر الغبطة البالغة والحماسة المتأججة التى تعالت من كل جانب تم توقيع ميثاق جامعة الدول العربية.(٥٢)

ونستعرض فيما يلى الطريقة التى تم بها تعيين الأمين العام:

بناء على نص الفقرة الأخيرة من المادة ١٢ من ميثاق الجامعة والقاضية بتعيين أول أمين عام للجامعة فى ملحق للميثاق قام رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام بناء على الرغبة الجماعية التى أبدتها الوفود بتقديم اقتراح وافقت عليه اللجنة بتعيين عبد الرحمن عزام كأول أمين عام للجامعة؛ لأنه لم يكن غريباً عنهم إذ كان عضواً فى الوفد المصرى وعضواً فى اللجنة الفرعية السياسية لوضع الميثاق، وفى اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام. وبهذا تم تعيين أول أمين عام لجامعة الدول العربية، وأصبح نص الملحق الرابع للميثاق هو ما يلى:

" اتفقت الدول الموقعة على هذا الميثاق على تعيين سعادة عبد الرحمن عزام بك أميناً عاماً لجامعة الدول العربية، ويكون تعيينه لمدة سنتين ويحدد مجلس الجامعة فيما بعد النظام المستقبل للأمانة العامة ".

---

(٥٠) هارون هاشم رشيد: مرجع سبق ذكره- ص٢٩، ٣٠.

(٥١) عبد الحميد الموافى: مرجع سبق ذكره – ص ١٢٦.

(٥٢) جامعة الدول العربية:(ميثاقها وأهدافها وإنجازاتها)- إدارة الاستعلام والنشر – ١٩٦٣ – ص٧ (حفل توقيع الميثاق أنظر ملحق رقم ٩، ملحق رقم ١٠)

وفى هذا الوقت ثار التساؤل فى دوائر وزارة الخارجية المصرية عما إذا كان شغل عبد الرحمن عزام لمنصبه الجديد سيتم بطريقة الإعارة من الحكومة المصرية للجامعة، وذلك حتى يمكن اتخاذ الإجراءات الخاصة بإعارة الموظفين المعارين أم لا.

ويبدو أنه نظراً لأن الجامعة كانت مؤسسة جديدة فى العالم العربى ولم يتضح بعد ما إذا كانت ستنجح وتستمر فى القيام بوظائفها أم لا. فقد اتبع طريق الإعارة من الحكومة المصرية وبناء على طلب عبد الرحمن عزام فى ١٩٤٥/٥/٢٠ أصدر وزير الخارجية المصرية فى ١٩٤٥/٨/١٤ قراراً باعتبار عبد الرحمن عزام متخلياً عن منصبه كسفير فى وزارة الخارجية لتولى منصب الأمين العام للجامعة العربية بطريق الإعارة لمدة سنتين اعتباراً من تاريخ نفاذ الميثاق فى ١٩٤٥/٥/٢٠.

وقد استمر تجديد هذه الإعارة طوال فترة تولى عبد الرحمن عزام لمنصب الأمين العام وإلى حين تقديمه الاستقالة من هذا المنصب فى ١٩٥٢/٩/١٤. حيث قدم استقالته كذلك من العمل فى وزارة الخارجية المصرية.

وفى دور الاجتماع الثالث لمجلس الجامعة العربية تم وضع النظام الداخلى للأمانة العامة الذى نص فى مادته الثانية على أن يكون تعيين الأمين العام لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد، واتفق على أن يسرى هذا النص على الأمين العام عبد الرحمن عزام اعتباراً من تاريخ شغله لمنصب الأمين العام فى ١٩٤٥/٥/٢٠ وحتى ١٩٥٠/٥/١٩. وفى دور الانعقاد الثانى عشر للمجلس تمت الموافقة على قرار اللجنة السياسية بتجديد تعيين عبد الرحمن عزام لفترة أخرى، إلا أنه نظراً لما أبداه من أن ظروفه الخاصة لا تسمح لقبوله هذا التجديد لأكثر من سنة واحدة فقد وافق المجلس على الاستجابة لطلبه هذا.

وعند انتهائها مدت إلى سنتين بناء على اقتراح الحكومة اللبنانية، وبعد أن أبدت الحكومة العراقية أنه ليس لديها مانع من تجديد مدة خدمة الأمين العام إذا وافق المجلس على ذلك، وذلك فى دور الاجتماع الرابع عشر لمجلس الجامعة إلا أن عبد الرحمن عزام لم يستكملها وقام بتقديم استقالته فقبلها المجلس فى ١٩٥٢/٩/١٤.[٥٣]

- أداء القسم:

تطبيقاً للمادتين الثانية والثالثة (الفقرة الأولى) من لائحة شئون الموظفين فإن على الأمين العام قبل مباشرته العمل أن يقوم بأداء القسم التالى شفوياً أمام مجلس الجامعة.

" أقسم أن أكون مخلصاً لجامعة الدول العربية وأن أؤدى أعمالى بالأمانة والشرف ".

هذا ونظراً لأن المجلس لم يكن قد وضع لائحة شئون الموظفين إلا فى دور انعقاده الثالث بتاريخ ١٩٤٦/٤/١٠ فقد قام عبد الرحمن عزام بأداء القسم أمام المجلس بتاريخ ١٩٤٦/١١/١٨.[٥٤]

- نقد الميثاق:

وبالرغم من ذلك فقد خرج ميثاق جامعة الدول العربية ضعيفاً لا يرضى جموع الشعب العربى، وفى نفس الوقت أدى إلى جمود الجامعة. وكان أهم العيوب التى وجهت

(٥٣) محمد عبد الوهاب الساكت: مرجع سبق ذكره- ص١٣٠، ١٣١- كما تذكر مجلة أكتوبر فى العدد ١٢٢٤ فى ٢٠٠٠/٤/٩- ص٧٦. تحت عنوان " كانوا من ٥٠ سنة " (أن عبد الرحمن عزام باشا طلب من المسئولين فى الجامعة العربية عدم تجديد عقده وهو ينتهى فى هذه الأيام، ولكن جميع الوفود العربية قررت بالإجماع إعادة تعيينه أميناً عاماً للجامعة العربية. وقد طلب أعضاء الجامعة أن يكون تجديد العقد لمدة خمس سنين.. لكن عزام ألح فى أن تكون المدة سنة واحدة، وأخيراً استطاع بعض الكبراء إقناعه بأن يبقى لمدة عامين).

(٥٤) محمد عبد الوهاب الساكت: نفسه- ١٣٩، ١٤٠.

إليه، أنه شيد على أساس الاعتراف بسيادة استقلال كل دولة عضوية، والاعتراف بالمساواة التامة بين الدول العربية كبيرها وصغيرها، وعدم الالتجاء إلى القوة لفض الخلاف الذى ينشب بين دولتين عربيتين. وشرط الإجماع بدفع أى اعتداء أجنبى على أى عضو بالجامعة (مادة ٦) والإجماع فى اتخاذ القرارات (مادة ٧). وكان الأفضل الأخذ بمبدأ الأكثرية. وكان يجب أن يكون لقراراته صفة الإلزام، ولم ينتج عنه هيئة تقوم على تنفيذ القرارات واقتراح فرض العقوبات والمدد المحددة لتنفيذ القرارات، ثم اعترافه لكل دولة بحق

عقد معاهدات مع أية دولة بشرط ألا تتعارض مع أحكام الجامعة (مادة ٩) والاكتفاء بإيداع المعاهدات فى مجلس الجامعة (المادة ١٧) دون بحثها وإبداء الرأى فيها. ثم خلوه من أية إشارة صريحة إلى تكوين جيش موحد وقيادة عربية موحدة أو وحدة اقتصادية وجمركية.[٥٥]

- رأى عبد الرحمن عزام فى الجامعة العربية:

وتتلخص وجهة نظره فى أن الجامعة العربية ما هى إلا منظمة تعمل لتحقيق الوحدة العربية، وهو ما يتضح فى النقاط التالية التى أدلى بها:

١- أن الجامعة العربية- مجلسها وأمانتها ولجانها، مرآة للحكومات العربية تظهر فيها على حقيقة هيئتها ولن تستطيع الجامعة أن تعكس صورتها على الحكومات حتى يكون لها سلطان أدبى ينير السبيل لدول الجامعة. ومع ذلك فإن الجامعة العربية حتى بميثاقها ونظامها الحالي استطاعت أن تكون أداة خير وإصلاح يصل إلى كل مكان فى الأمة العربية بصفتها ندوة للتشاور الحر بين أصدقاء وملتقى للعمل المشترك.

٢- أن الجامعة هى الأداة الحرة التى تملكها الأمة العربية ملكيه مشتركة ولا سبيل للنهوض بها فى ظروفها الحاضرة إلا بالثقة والصراحة وتحكيم المصلحة العامة، وسيادة المبادئ السامية، والجامعة العربية فوق أنها ندوة الأمة العربية التى تتمتع فيها كل دولة بسيادتها الكاملة، لابد أن تبرر وجودها بقدرتها على حل المشاكل، ومنع الفتن واتقاء الأضرار التى تقوض استقلال البلاد العربية أو تعطل الوصول إلى استقلالها.

٣- أن أحد العوامل الأساسية التى ساعدت الجامعة على أداء الكثير من الخدمات للأمة العربية هو ما ساد بين أعضائها من حسن الظن والثقة المتبادلة.

٤- أن القصور بنص الفقرة الأولى من المادة ٩ من الميثاق وهى " لدول الجامعة الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق " هو التحرر من

---

(٥٥) نبيه بيومى عبد الله: مرجع سبق ذكره- ص١٨٩.

الظروف التى وجدت بها الدول العربية، وهى تضع الميثاق وهى أنها مضطرة نظراً لحالة بعضها أن تسير فى طريق ضيق، الأمر الذى جعل البعض يشعر أن الميثاق ليس هو المقصود عمله بين الدول العربية. كما جعل البعض الآخر يراه داخلاً فى النطاق الذى يجب أن تسير عليه الدول العربية ولذلك إذا أرادت دولتان أو أكثر من دول الجامعة أن توسع مدى التعاون فيما بينها فلا يصح أن تجد فى الميثاق ما يحول دون تحقيق رغباتها.[٥٦]

وعندى فقد خرجت فكرة الوحدة العربية من حيز الآمال والطموحات إلى حيز التنفيذ وتكونت جامعة الدول العربية وأصبحت حقيقة واقعة.

ويعتبر تكوين جامعة الدول العربية فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ من سبع دول عربية مستقلة من أكبر الأحداث فى تاريخ الأمة العربية بعد الحرب العالمية الثانية فقد كانت الدول العربية السبع المكونة للجامعة العربية عند إنشائها دولا متعاونة فى الحضارة والثقافة وعدد السكان، فمصر كانت دولة مستقرة إلى حد ما، وبها من النظم الديوانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ما يجعلها دولة رائدة لبقية الأعضاء...، وكانت لبنان بوضعها الاجتماعى والدينى والثقافى المتأرجح بين الانتماء العربى أو الغربى وكانت المملكة العربية السعودية ما زالت بلاداً ناشئة تعيش فى عصر القبيلة بتقاليدها وتعاليمها، واليمن بما هو معروف عنه من تخلف وجمود، وما زال يعيش فى القرون

---

(٥٦) محمد عبد الوهاب الساكت: مرجع سبق ذكره – ص٧٢، ٧٣.

الوسطى، وكان العراق بلداً حديث العهد بالاستقلال ويعانى من عدم الاستقرار، وكانت سوريا تكافح للتخلص من الاحتلال الفرنسى.. وكانت بقية البلاد العربية سواء على الخليج العربى أو فى الشمال أو الوسط الأفريقى، كلها محتلة بجنود الاحتلال الإنجليزى أو الفرنسى. كما كان الصهيونيين يدبرون بإحكام وإصرار لتكوين دولة إسرائيلية فى فلسطين بكل الوسائل.

فى ظل هذه الظروف، وتحت هذا الواقع، تكونت جامعة الدولة العربية، وبالرغم من ذلك فقد أدت خدمات كبيرة وكثيرة فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية وغيرها فى حياة الأمة العربية وذلك فى حدود طاقاتها وإمكاناتها.

ومما لا شك فيه أن الجامعة العربية كَوَنَت من الدول العربية قوة متماسكة وجعلت لها وزناً فى المجالات الدولية المختلفة وفى الأمم المتحدة والمنظمات والمؤتمرات الدولية.

تكوين الجامعة من الناحية الإدارية:

كانت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تشغل حجرتين فى الدور الثانى بمبنى وزارة الخارجية المصرية بميدان التحرير، ويقع فى مواجهة المبنى الذى تشغله الأمانة العامة للجامعة العربية فى الوقت الحاضر. وظلت الأمانة العامة للجامعة العربية تباشر عملها فى هذا المبنى ما يقرب من عشرين شهراً.[٥٧]

وكانت إحدى الحجرتين مخصصة لمكتب عبد الرحمن عزام بك، أما الحجرة

(٥٧) كان هذا المبنى واحداً من القصور الملكية، وكان مخصصاً لسكنى الأمير كمال الدين حسين ابن السلطان حسين كامل الذى أصبح سلطاناً على مصر بعد أن قام الإنجليز بعزل الخديو عباس حلمى أثناء الحرب العالمية الأولى.(لمزيد من التفاصيل أنظر- جميل عارف: الوثائق السرية...، مرجع سابق – ص ٢٠)

الأخرى فكانت تشغلها سكرتاريته وموظف صغير كان مكلفاً بالكتابة على الآلة الكاتبة.

وقع اختيار عبد الرحمن عزام فى ذلك الوقت على اثنين من الموظفين للعمل معه فى الأمانة العامة للجامعة.

الأول: هو محمد وجيه، وهو من الوطنيين المخلصين الذين كان لهم دور سياسى فى ثورة ١٩١٩.[٥٨] والثانى: هو محمد وحيد الدالى، وهو ابن أخت عبد الرحمن عزام،

وتخرج من قسم العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة واختاره عزام للعمل سكرتيرا خاصاً له وكاتماً لأسراره.(٥٩)

---

(٥٨) عمل محمد وجيه بالسلك الدبلوماسى بوزارة الخارجية المصرية، وأبعد عن العمل بالوزارة لزواجه من سيدة فرنسية، وكان القانون المصرى يحرم على الدبلوماسيين المصريين الزواج من أجنبيات. ووقع اختيار عبد الرحمن عزام على محمد وجيه نتيجة ترشيح أحمد ماهر باشا. ولم تكن لدى محمد وجيه أية اتجاهات عربية بل كان إدارياً من الدرجة الأولى. فى حين لم تكن لعبد الرحمن عزام أية نواحى إدارية، ولعل ذلك راجعاً إلى أنه لم يكن موظفاً. فقد كانت أول وظيفة حكومية له هى سفير فى عام ١٩٣٦.
ومع تعيين محمد وجيه بالأمانة العامة للجامعة العربية كلفه عبد الرحمن عزام بالعمل مديراً عاماً لإدارتها، مما أعطاها الكثير من الشكل الادارى، وكان موظفى الجامعة دائماً ما يشتكون إلى عزام بك من شخصية محمد وجيه وتشدده فى عمله. (لمزيد من التفاصيل انظر- د.عمر عزام : حديث معه تم بمنزله بالمعادى - وكذلك جميل عارف: الوثائق السرية- مرجع سابق - ص ٢١)

(٥٩) تدرج محمد وحيد الدالى فى مناصب الأمانة العامة للجامعة حتى أصبح أميناً مساعداً للشئون السياسية، ثم مديراً لمكتب الجامعة فى كندا حتى عام ١٩٧٩. وكان واحداً من القلائل الذين شهدوا عن قرب الكثير من الأحداث السياسية التى عاصرت مولد الجامعة العربية.
وينتسب وحيد الدالى إلى عائلة وطنية مناضلة، يقال أنها تنتمى إلى قبيلة جهينة بالمملكة العربية السعودية، وقد هاجرت إلى مصر، واشتهر أفرادها بشدة البأس والعنف والتطرف فى الوطنية، واستقرت بالبدرشين فى محافظة الجيزة. كما يقال أن حسين باشا الدالى - الجد الأكبر - كان قائداً لفرقة اشتهرت أيام محمد على الكبير باسم الدالتيه أو الانتحارية، وقد استعان محمد على الكبير بهذه الفرقة أثناء مذبحة المماليك (مذبحة القلعة)، وبعد أن انتهت المذبحة خاف محمد على الكبير على نفسه من بأس==

وفى أوائل عام ١٩٤٦ قرر عبد الرحمن عزام أن يقيم حفل تكريم للعاهل السعودى باسم الأمانة العامة للجامعة لكنة لم يجد مكانا صالحا لإقامة حفل التكريم.

وعرف الملك فاروق بذلك عن طريق أحد المسئولين بالديوان الملكى - وكان عزام قد عرض عليه الأمر - فقرر إقامة الحفل فى سراى المانسترلى.

وفى ١٦ يناير ١٩٤٦ أقيم الحفل... وأعجب الملك عبد العزيز بمكان القصر فوهبه الملك فاروق ليكون مقراً للجامعة العربية.

ولم يكن هذا القصر من القصور الملكية – كما تخيل الملك فاروق – ولكنة كان ملكاً لوقف عائلة مصرية قديمة. وهنا قرر فاروق تخصيص قصر والده الذى كان يعيش فيه عندما كان أميراً وقبل أن يصبح سلطاناً ثم ملكاً وهو قصر البستان فى باب اللوق ليكون مقراً للأمانة العامة للجامعة العربية.

وفى ١٩٤٦ انتقل عزام من مبنى وزارة الخارجية القديمة فى ميدان التحرير إلى قصر البستان. وأخذ يباشر عمله منه كأمين عام للجامعة العربية.(٦٠)

يبقى نقطة أخرى يجب أن نوضحها وهى الخلط بين (الجامعة) و (الأمانة العامة)

== هذه الفرقة فأغدق على أفرادها بأن أقطعهم مساحات واسعة من الأراضى، ثم قام بتفريقهم فى أنحاء البلاد حتى لا يتجمعوا ضده.(للمزيد من التفاصيل أنظر– وحيد الدالى: أسرار الجامعة العربية...– مرجع سابق – ص ٥، وكذلك جميل عارف: (الوثائق السرية... – مرجع سبق ذكره – ص ٢٠ وما بعدها، وكذلك د.عمر عزام: حديث تم بمنزله فى ٥ مايو ٢٠٠٠).

(٦٠) وفى عام ١٩٥٤ تم تخصيص قطعة من الأرض كانت معروفة أيام الاحتلال البريطانى لمصر باسم " قشلاق قصر النيل " وهى من أملاك الحكومة المصرية وتطل من ناحية على النيل ومن ناحية أخرى على ميدان التحرير (المبنى الحالى)، وقد بنى على قطعة أرض مساحتها ٦٤٠٥ متراً مربعاً وبجوارها قطعة أرض أخرى محصورة بين مبنى الأمانة العامة وفندق النيل هيلتون وتعرف باسم حديقة الزهور ومساحتها ٤٧١٠ متراً مربعاً وهى من أملاك الحكومة المصرية أيضاً، لتشغل الأمانة العامة للجامعة العربية مساحة ١١١١٥ متراً مربعاً من أرض قشلاق قصر النيل القديمة (أنظر جميل عارف: المرجع السابق – ص ١٦٠ وما بعدها).

فكثيراً ما يلتبس الأمر على الرأى العام العربى حين يرد ذكر جامعة الدول العربية، فإذا تقاعست الجامعة، وإذا ما قامت الأمانة العامة بواجباتها القومية – سواء فيما ينص عليه ميثاق الجامعة أو فيما تجتهد هى فيه – قيل فعلت الجامعة العربية، أى ينسب الإنجاز إلى الجامعة! أما إذا كان هناك فشل أو تقصير فإن الاتهامات تتوالى على الأمانة العامة.

وربما يرجع ذلك الخلط – المتعمد أحياناً – بين " الجامعة " و " أمانتها العامة " إلى اتجاه الأمانة العامة للجامعة إلى الاضطلاع بواجباتها من منظور قومى، واتجاه الأقطار العربية إلى التعلل فى مواجهة ذلك بذريعة السيادة، أو على أقل تقدير بذريعة الظروف الخاصة بالنسبة إلى قضايا العرب القومية الكبرى وفى مقدمتها الوحدة العربية وفلسطين. ولذلك، ينبغى التمييز بين جامعة الدول العربية، باعتبارها منظمة إقليمية تضم عدداً من البلدان، وتصدر قرارات عن طريق مجالس هذه الجامعة..، وبين الأمانة العامة للجامعة، باعتبارها جهازاً إدارياً وفنياً لهذه المنظمة.[٦١]

هل الجامعة العربية.. جامعة إنجليزية؟

إذا كان التحرك المصري من اجل الوحدة العربية قد نشط بعد تصريح أنطوني إيدن فليس معنى ذلك كما تقول بعض الآراء أن الجامعة العربية فكرة إنجليزية أو أنها قامت بتوجيه من الإنجليز أو أن مصر نفذت الخطة الإنجليزية بشأن الجامعة العربية انطلاقاً من حجة أن التحرك المصري للتوصل لمشروع مناسب للوحدة العربية تم في عهد حكومة النحاس باشا التي جاءت إلى الحكم بضغط من بريطانيا وإذا كان من شأن هذه الآراء أن تشوه تاريخ العرب الحديث لأنها تصور البداية العملية لتحقيق الاتحاد العربى فى القرن العشرين وكأنها من صنع بريطانيا وليست – كما هى فى الحقيقة –استجابة لدوافع وطنية نابعة من وعى الشعب العربى. فإن هذه الآراء تجانب الحقيقة

---

(٦١) د. مجدى حماد: جامعة الدول العربية (مدخل إلى المستقبل) – سلسلة (عالم المعرفة) – مطابع السياسة – الكويت – ديسمبر ٢٠٠٣ / يناير ٢٠٠٤ – ص ٥٠.

أى مدى يعد الرأى السابق الإشارة إليه والقائل بأن الجامعة العربية فكرة إنجليزية وأن مصر نفذت خطة بريطانية – مجانباً للحقيقة وهذه هى الملاحظات:

أولاً: إذا كانت بريطانيا قد عبرت عن عدم معارضتها بل وعطفها على حركة البلاد العربية من أجل دعم الروابط بينها، فإن الروابط السياسية كانت هي آخر ما أشارت إليه

بريطانيا. وذلك يعكس ترتيب بريطانيا للأولويات من حيث وجوه تدعيم الروابط بين البلاد العربية وفى ظل انتشار الدعوة للوحدة العربية بين الجماهير العربية لا يمكن لبريطانيا أن تتجاهل هذا الجانب. على أنه بالنسبة لمصر كان الجانب السياسي في مقدمة اهتمامها بالإضافة إلى أن تصريح إيدن لا يعنى أن بريطانيا هي التي قامت على إنشاء الجامعة بل الصحيح هي أن الجامعة قامت نتيجة التفاعل وتطور الوعي العربي. وليس نتيجة للدبلوماسية البريطانية.

ثانياً: إذا كانت بريطانيا ترغب في مد سيطرتها على المنطقة العربية كلها وحكمها دفعة واحدة عن طريق تنظيم واحد فإنها كانت تعرف جيداً الوضع بين البلاد العربية وبعضها والتنافس بين الحكام في مصر والسعودية والعراق وصعوبة التوصل إلى تنظيم واحد يضم البلاد العربية. هذا بالإضافة إلى أن بريطانيا كانت تعي أنه حتى في أحسن الظروف لو استطاعت البلاد العربية التجمع في تنظيم واحد فإن ما بينها من صراعات لن تتيح لها أن يكون التنظيم الجديد ضاراً بالمصالح البريطانية إلى حد كبير وبالتالي فإن تصريح إيدن جاء ليخدم المصالح البريطانية أولاً وليس بهدف دفع الحركة العربية في طريق الاتحاد.

ثالثاً: إن صيغة الجامعة العربية التي استقر رأى البلاد العربية عليها لم تكن واضحة في الوقت الذي أعلن فيه تصريح إيدن بل أن المشروعات التي كانت مطروحة فى ذلك الوقت كانت تتجه إلى تحقيق وحدة فيدرالية بين بعض الدول العربية.

نتيجة لذلك فمن الصعب بل ومن التجنى القول بأن التحرك المصرى جاء بإيعاز من بريطانيا لأن الاهتمام المصرى بالحركة العربية كان موجوداً قبل ذلك. وغاية ما يمكن أن يقال هو أن بريطانيا باعتبارها المسيطرة فى العالم العربى فى تلك الآونة قد أعطت الضوء الأخضر للتحرك أو أنها وافقت وسمحت لمصر بالتحرك الجدى فى هذا الاتجاه مراعاة للمصالح البريطانية فى ذلك الوقت وفى المستقبل. وإذا كان النحاس باشا قد وصل إلى الحكم عن طريق الإنجليز فإنه كان يحرص ألا يظهر نفسه بمظهر مخلب الإنجليز والمنفذ لرغباتهم.[٦٢]

أضف إلى ذلك أن الجامعة العربية قامت بضغط عربى لا ينكر، فالحركة العربية نابعة من داخل الشعب العربى الذى عمل لها منذ مؤتمر باريس ١٩١٣ وساهم مع الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى من أجل الوحدة العربية، وعقد المؤتمرات العربية العامة من أجل مناهضة الاستعمار، والقضاء على الحدود المصطنعة، ثم المؤتمرات التى عقدت بين الحربين العالميتين وقربت بين الشعوب العربية، أدى كل ذلك إلى نمو الوعى الوطنى العربى وفى نفس الوقت تدهور النفوذ الغربى، ووضوح خطر الصهيونية.[٦٣]

ويرى البعض أن وزير خارجية بريطانيا قد أصدر هذا التصريح ليطمئن العرب على مستقبلهم بعد الحرب العالمية الثانية، أى أنه كان مزايدة سياسية اقتضتها ظروف الحرب بين ألمانيا وبريطانيا، فقد أعلنت الحكومة الألمانية على لسان هتلر أنه فى حاله كسب ألمانيا للحرب فإنها تضمن سلامه الدول العربية وتؤكد وتؤيد استقلالها وتعمل على إيجاد اتحاد فيما بينها.

وقد صدر هذا التصريح عندما كانت القوات الألمانية تحاول احتلال جزيرة كريت تمهيدا لاحتلال سوريا والعراق إذا ما نجحت ثورة العراق بقيادة رشيد عالى الكيلانى. وأمام هذه الأحداث العسكرية الخطيرة أرادت بريطانيا بهذا التصريح، أن تهدئ من روع العرب، وهكذا ظن كثيراً من الناس أن الجامعة قامت نتيجة هذا التصريح، وهو ظن غير صحيح.[٦٤]

---

(٦٢)عبد الحميد الموافى: مرجع سابق– ص٨١.

(٦٣) نبيه بيومى عبد الله: مرجع سبق ذكره – ص١٨٦.

(٦٤) وحيد الدالى: مرجع سابق – ص ١٦.

والواقع أن جامعة الدول العربية، وإن كانت منذ القدم من أهداف التفكير السياسى العربى، إلا أن الذى عجل بإنشائها هو شعور الخوف من المستقبل نتيجة لما أظهرته الحرب العالمية الثانية من تقلبات وانفعالات دوليه غير مأمونة العواقب، وإدراك الحكومات العربية لما فى تشتيت جهودها من خطر على كيان بلادها واستقلالها.

وجامعة الدول العربية ليست نظاماً منتحلاً أو لباساً مستعاراً، إنما هى منظمه منبثقة من صميم وحدة حقيقية بين الشعوب العربية ترتكز على وحدة فى اللغة والثقافة ونظم الحياة وتقاليدها، وماض لا يمحى فى المدنية والذكريات.[٦٥]

ولعل أبلغ رد هو ما ذكره محمود فهمى النقراشى رئيس وزراء مصر فى حفل توقيع الميثاق فى ٢٢ مارس ١٩٤٥. فقد أطلقها صريحة حيث أوضح أن مصدر الوحى فى محادثات الوحدة هو الرأى العام فى العالم العربي كله. ثم ألقى العبء على أفاعيل السياسة التى حالت فترة دون تحقيق هذا الهدف كما ذكر أن إنشاء الجامعة ليس من صنع الاستعمار ولكنه صدى لصوت الجماهير العربية.

وأختتم كلمته بقوله: " فان الذى يؤلف بينها هو الحاضر والماضى والمستقبل معاً... "[٦٦]

وعندى – أن الجامعة العربية وكما جاء في ديباجة الميثاق نشأت " تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين الدول العربية. وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام تلك الدول وسيادتها وتوجيهاً لجهودها إلى ما فيه

---

(٦٥) وحيد الدالى: نفسه – ص ١٦.

(٦٦) نبيه بيومى عبد الله: مرجع سبق ذكره – ص ١٨٨. ويذكر وحيد الدالى أن عبد الرحمن عزام سئل – وهو يلقى محاضرة عن الجامعة العربية بكلية الحقوق جامعة القاهرة – أن الجامعة العربية إنجليزية ومن صنع بريطانيا. فكيف يمكن لجامعة خلقها الاستعمار أن تكون وسيله للاستقلال؟ يقول عزام: " إن هذه البدلة التي ألبسها الآن هى من قماش إنجليزى ١٠٠% من صنع بريطانيا فهل تستطيع القول أن هذه البدلة ملك بريطانيا؟==

خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها، واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية...."

وقد كان هناك العديد من المجالات أدت إلى التقارب والتفاهم بين الدول العربية، وكانت سبباً فى الوحدة (الجامعة العربية) أذكر منها:

* عقد المؤتمرات الشعبية العربية.
* تحسن المواصلات البرية والبحرية والجوية.
* إنشاء المجمع اللغوى العربى في عام١٩٣٢.

* تـأليف جمعيـات وروابـط واتحـادات ولجـان اتسـمت بالطـابع العربـى كالرابطـة الشـرقية (١٩٢١)- جمعيـه الشـبان المسـلمين (١٩٢٧) جماعـة الأخـوان المسـلمين (١٩٢٨)... وغيرها.

وأرى أن كل ذلك ساعد بلا شك علـى نشـر الفكرة العربيـة، وأوجد المنـاخ المناسب للوحـدة العربيــة. ممـا يؤكـد أن نشـأة الجامعـة العربيـة لـم تكـن علـى يـد انجلتـرا بـل كـان استجابة للرأى العام العربى.

كذلك يجب توضيح أن الحكومة البريطانية أرسلت فى عام ١٩٤٦ إلـى سفيرها فـى القاهرة السير رونالد كامبل تستفسر عن طبيعة الجامعة العربية.

وفـى ٤ مايو ١٩٤٦ أرسل أحمد لطفـى السيد وزيـر الخارجيـة المصرى بـالرد إلـى السفير البريطانى الذى أرسل بدوره مذكرة إلى الحكومة البريطانية متضمنة هذا الرد.

== أنهـا ملكـي الآن.. والجامعـة العربيـة كذلك هي ملكنـا الآن، وقد يكـون الإنجليـز لـم يقيمـوا العراقيل في سبيل إنشائها لمصلحتهم.. إذ اضطروا أمام تصريح هتلر بأن ألمانيا فـي حالـه انتصارها سوف تؤيد استقلال الدولـة العربيـة واتحادها. ولـم يسـع وزيـر خارجيـة بريطانيا وقتئذ أنطونى إيدن إلا أن يدلى بتصريحه المشهور بأنـه لـم يمـانـع من تأييد اتحـاد العرب، وكان ذلك على سبيل المزايدة بين أطراف الحـرب العالميـة الثانيـة كسباً لصداقة العرب!! "
أنظر وحيد الدالى: أسرار الجامعة العربية.... مرجع سابق – ص٣٥.

ومـن الجـدير بالـذكر أن الحكومـة البريطانيـة فـى ردهـا علـى المـذكرة المـذكورة قد أشارت إلى أنها بالرغم من تلقيها إجابات مختلفة شكلاً وعبارة من الحكومات العربيـة حول استفسارها المشار إليه، فإن وزير الخارجية البريطانى يرى أنـه علـى صـواب فـي استنتاجه أن جميع الدول التى استشيرت فى الأمر مجمعة على أن المخاطبات الموجهة إلـى حكومـة

جلاله الملك من الأمين العام لجامعة الدول العربية يمكن اعتبارها صادرة عن كل حكومة من الحكومات ذات الشأن مادامت مثل تلك المخاطبات فى حدود ونصوص ميثاق جامعة الدول العربية، وأنه متى لاحت فرصة لجلالـه الملك لتوجيه خطاب سياسى إلى حكومات الدول العربية. فإن نسخة مطابقة من تلك المخاطبة سترسل إلى الأمين العام للجامعة لعلمه شخصياً.(٦٧)

وهذا – عندى – إن دل فإنما يدل على أن بريطانيا حتى مايو ١٩٤٦ لم تكن قد اعترفت بالجامعة العربية.

نقطة أخرى يجب توضيحها وهى كيف تكون الجامعة العربية جامعة إنجليزية وعلى رأس أمانتها عبد الرحمن عزام العدو اللدود للاستعمار بصفة عامة والإنجليز بصفة خاصة، وقد وصفه السير مايلز لامبسون " بأنه كان عضواً بارزاً بوزارة على ماهر. وهو عربى متحمس وقد عمل أكثر من غيره على إبعاد مصر عن الحرب، واعتبره متعصب بعض الشئ ".(٦٨)

وتشير الوثائق البريطانية إلى " أن عزام طالب حكومة صاحب الجلاله (البريطانية) بأن تنسحب قواتها من منطقة القنال وأن تبحث عن تسويه مؤقتة للسودان، وأن تعمل نظاماً للدفاع الاقليمى، .... ".

" كما ذكرت أيضاً موقف عزام، بأن من الصعب الاعتقاد بأنه مصرى سوف يدعم بريطانيا فيما يخص الحصول على قاعدة قريبة لباب مصر الخلفى. وعلى أى حال

---

(٦٧) محمد عبد الوهاب الساكت: مرجع سابق – ص٦٣.

(68) F.O : 371 / 62985, - (خطاب من مايلز لامبسون إلى الجنرال سبيرز – بدون تاريخ).

فإنه من غير المقبول إعطاء عزام أى إشارة إلى خطط محتملة لنا فى برقة.... ".

" وفيما يخص علاقتنا بالجامعة العربية فإن من المستحسن تفهيم عزام بأننا نقدر آمال الشعوب العربية فى الاستقلال، وأن قضيه الاستقلال النهائى لن تحسم قبل صدور تقرير الدول الأربع الكبرى ".(٦٩)

وفى النهاية إذا كان الإنجليز قد بادروا بطرح فكرة إنشاء الجامعة العربية إلا أن هذه الجامعة ما كان فى وسعها ولم يكن ممكناً أن تقوم ما لم يعمل العرب بأنفسهم على إنشائها، وأن على العرب أن يلتقطوا الفكرة، وأن يستغلوا مبادرة الإنجليز باقتراح إنشاء الجامعة العربية حتى إذا ما تحقق حلم إنشائها، وأصبحت حقيقة ملموسة، أمكن العرب تطويرها لتكون أداة لتحقيق مطالبهم الوطنية.

ويمعنى آخر.. كانت الجامعة العربية خطوة على طريق الوحدة العربية.

وبالتالى، لا يمكن أن يقال أن فكرة إنشاء جامعة الدول العربية بالصورة التى بدأت عليها، ولدت فى لندن.(٧٠)

ولهذا ينبغى أن نكف القول بأن إنشاء جامعة الدول العربية إنما جاء نتيجة " مؤامرة بريطانية " استناداً إلى تصريح إيدن الشهير فى ٢٤ فبراير ١٩٤٣ الذى جاء فيه ان الحكومة البريطانية هى صاحبة الفكرة. لأن تلك الحكومة نفسها كانت قد صرحت أيضاً – عبر " وعد بلفور " – بأنها تنظر بعين العطف لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، ولم يعتبر " اليهود " ذلك التصريح بمنزلة مؤامرة مهدت لإنشاء " إسرائيل ".

إن الجامعة مربوطة فى جذورها ومبرر وجودها بفكرة الوحدة العربية. فهمها العرب، يوم وجدت، على أنها محطة من محطات السير نحو الوحدة، وفهمتها الدول الكبرى، بخاصة بريطانيا، على أنها شكل من أشكال التعامل مع نزعة الوحدة فى الأمة

---

(69) F.O : 371 / 62985, 16 Sep. 1947.

(٧٠) جميل عارف: (الوثائق السرية...) – مرجع سبق ذكره – ص ٢٥.

العربية... وظلت فكرة الوحدة موجودة دائماً، فعلاً أو ضمناً فى شكلها وكيانها.(٧١)

قضايا استقلال الدول العربية:

اعتبرت الجامعة العربية نفسها طرفاً أساسياً فى القضايا المتعلقة باستقلال الأقطار العربية الواقعة تحت الاستعمار، وكانت تلك القضايا هى أحد محاور اهتمامها الرئيسى منذ بدأت تمارس نشاطها.

وقد تعرضت الجامعة العربية عند نشأتها لعدة اختبارات. فقد تطورت الأحداث فى سوريا ولبنان نتيجة لرفضهما عقد اتفاقات مع فرنسا تتيح لها التمتع بإمتيازات خاصة والحصول على قواعد عسكرية، مما أدى إلى قصف فرنسا للمدن السورية فى مايو ١٩٤٥. [٧٢]

وفى أول عمل دبلوماسى بصفته أميناً عاماً للجامعة قام عبد الرحمن عزام باتصالات مع دار السفارة البريطانية فى القاهرة ومع الوزير المفوض الأمريكى مطالباً بتدخل الحكومتين الأمريكية والبريطانية لوقف مذابح الفرنسيين فى دمشق.

وأثمرت هذه الاتصالات عن نتائج إيجابية عندما أصدرت الحكومة البريطانية تعليماتها إلى قيادة الجيش التاسع البريطانى بالتدخل لوقف عدوان الجنود الفرنسيين على المواطنين السوريين وفك الحصار عن مدينة دمشق.[٧٣]

... واستمرت جهود الجامعة فى تأييد مطالب سوريا ولبنان فى الاستقلال فى داخل الأمم المتحدة. وما لبث أن تحقق هذا الاستقلال وجلت القوات الفرنسية وغيرها عن البلدين بفضل تضافر الجهد العربى وتدعيم الجامعة لموقف سوريا ولبنان وما قامت به مصر فى ذلك.[٧٤]

---

(٧١) مجدى حماد: مرجع سبق ذكره – ص ٣٠.
(٧٢) عبد الحميد الموافى: مرجع سبق ذكره – ص ١٣٢.
(٧٣) جميل عارف: المرجع السابق – ص ٩٩.
(٧٤) عبد الحميد الموافى: نفسه – ص ١٣٣.

كما ساهمت الجامعة العربية فى استقلال ليبيا، فبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها قررت الدول العظمى أن يعقد وزراء خارجيتها مؤتمراً فى لندن فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ للبحث فى مصير المستعمرات الإيطالية بعد هزيمة المحور، وقد أثار ذلك اهتمام الدول العربية... وانتهى رأى مصر ورأى الأمانة العامة للجامعة العربية – ولم يكن قد انقضى على مولدها أكثر من شهور – على أن تتضافر الجهود العربية لإعلان وجهة النظر العربية والدفاع عنها أمام مؤتمر لندن... وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٥ سافر أمين عام الجامعة العربية إلى لندن وقدم مذكرة فى هذا الشأن إلى مؤتمر وزراء الخارجية يشرح فيها وجهة النظر العربية بالنسبة للقضية الليبية.(٧٥)

وتوالت المؤتمرات والمباحثات والاجتماعات ولعب عبد الرحمن عزام والجامعة العربية دوراً هاماً فى ذلك حتى تحصل ليبيا على استقلالها.

وبالفعل – وفى ١٢ فبراير ١٩٥٠ أصدر المعتمد الفرنسى أمراً بإلغاء جميع سلطات فرنسا فى فزان، وفى ٤ ديسمبر ١٩٥١ صدر أمر ملكى بريطانى بإنهاء الإدارة البريطانية على طرابلس وبرقة، واحتفل فى قصر المنار فى بنى غازى فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١، بإعلان ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة.

وفى ١٩ فبراير ١٩٥٢ أجريت أول انتخابات فى ليبيا، ثم انضمت إلى الجامعة العربية فى ٢٨ مارس ١٩٥٣.(٧٦)

وفى المغرب أيضاً قامت الجامعة العربية بدور كبير إذ نجح المندوب الذى أوفدته الأمانة العامة إلى مراكش فى مارس ١٩٥١ فى جمع كل الزعماء المغاربة فى ميثاق قومى وقعوه جميعاً وتتفقوا فيه على عدم الانخراط فى الوحدة الفرنسية التى تدعو إليها فرنسا وعدم قبول سياسة المراحل وإمكان قبول فترة انتقالية لتصفية النظام،

---

(٧٥) جامعة الدول العربية: محضر جلسات دور الاجتماع العادى الثالث لمجلس الجامعة العربية محضر الجلسة الثامنة– ص ١٣٥،(وحول المذكرة التى قدمها عزام لمؤتمر لندن أنظر ملحق ١١)

(٧٦) محمد على رفاعى: الجامعة العربية وقضايا التحرر – الطبعة الأولى – مطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر – القاهرة – مايو ١٩٧١ – ص ٣٨، ٤٠.

وتعهدوا بألا يتفاوض أحدهم مع المستعمر إلا بعد إعلان الاستقلال. وقد استضافت الجامعة العربية عدداً من الأمراء فى الوطن العربى وقدمت إليهم الدعم اللازم مادياً ومعنوياً ومكنتهم من مواصلة نضالهم فى القاهرة وأنشأت مكتب " المغرب العربى " وتولت الإنفاق عليه. وقد أقدمت الجامعة العربية على بعض التصرفات الرمزية التى توضح مدى حماستها لقضايا التحرر واستعدادها لدعم نضال الأحرار فى الوطن العربى. وعلى سبيل المثال فإن مندوباً عن الأمين العام للجامعة هو الذى رتب بالاتفاق مع السلطات المصرية، مسألة هروب عبد الكريم الخطابى فى أثناء عبوره قناة السويس على ظهر سفينة كانت تقله من منفاه إلى جنوب فرنسا. وكان مجلس الجامعة قد أتخذ قراراً ببذل المساعى لتحرير الزعيم المغربى. وبالفعل نزل الأمير العربى إلى مصر وظل بها لمدة عشر سنوات كافح فى أثنائها إلى جانب زعماء بلاد شمال أفريقيا أمثال الزعيم المغربى علال الفاسى والحبيب بورقيبة والطيب سليم من تونس ومحمد خضير والشاذلى المكى من الجزائر وأحمد السويفى وبشير السعداوى وطاهر الزاوى وعمر الغويلى والفيتورى السويحلى من ليبيا.

وكان كل هؤلاء المجاهدين يجتمعون فى مكتب المغرب العربى الذى أنشأه عبد الرحمن عزام.(٧٧)

أى أن الجامعة العربية استطاعت أن تساهم مساهمة ناجحة فى تحقيق واستخلاص استقلال سوريا ولبنان وليبيا والمحافظة على أوضاع مختلف البلاد والممالك العربية المنضوية تحت لوائها.(٧٨)

الجامعة العربية وفلسطين:

شكلت القضية الفلسطينية اهتماماً رئيسياً للجامعة منذ بداية إنشائها، بل أن بعض الآراء تعتبرها من الأسباب الرئيسية لإنشاء الجامعة ذاتها.(٧٩)

---

(٧٧) جامعة الدول العربية "الواقع والطموح": حسن نافعه – الفصل الرابع (الدور السياسى للجامعة العربية فى استقلال بعض الأقطار العربية وفى القضية الفلسطينية) مرجع سابق– ص١٣٦.
(٧٨) مجلة الجامعة العربية: العدد ١٠ – السنة الأولى – ١٠ مايو ١٩٥٢ – ص ٦.
(٧٩) عبد الحميد محمد الموافى: (مصر فى جامعة الدول العربية...) – مرجع سابق – ص ١٣٧.

لقد كان عمر المشكلة الفلسطينية عندما نشأت الجامعة العربية ثمانية وعشرين عاماً وكان الاستعمار العالمى بقيادة بريطانيا قد عمل طوال تلك الأعوام على تطوير هذه المشكلة ووضع الوطن العربى عامة وفلسطين بشكل خاص فى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الملائمة لتنفيذ مخطط إقامة الدولة الصهيونية فى قلب الوطن العربى على أنقاض الشعب العربى الفلسطينى والقضاء على عروبة فلسطين، ولم يكن أمام الجامعة منذ اليوم الأول لقيامها إلا أن تعطى اهتماماً لهذه القضية المصيرية فقد كانت الحرب العالمية الثانية فى أيامها الأخيرة تقترب بسرعة من نهايتها وكانت زعامة الاستعمار العالمى بفعل هذه الحروب قد أصبحت للولايات المتحدة الأمريكية صاحبة المصالح الهائلة فى الوطن العربى، وكانت الصهيونية العالمية بتخطيط مع الاستعمار الجديد قد بدأت فى تفجير وتصعيد الصراع الدموى فى فلسطين، الأمر الذى أدى إلى انشغال الرأى العام العربى بالأحداث الخطيرة التى كانت بوادرها الدموية قد بدأت فى الظهور والتفاقم، وهكذا ولدت الجامعة العربية لتواجه منذ اللحظة الأولى مسئولية الحكومات العربية تجاه المشكلة الفلسطينية بما يعنيه ذلك من التصدى للقوى الاستعمارية والصهيونية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية التى خرجت من الحرب العالمية الثانية أقوى وأغنى دولة عرفها التاريخ.(٨٠)

وبعد الحرب كانت مشكلة فلسطين من أكثر المشاكل العربية احتداماً، وزادت عنفاً وتوتراً مع الأيام.. إلى أن أعلنت بريطانيا فى عام ١٩٤٧ عن عزمها إنهاء الانتداب عن فلسطين فى ١٤ مايو ١٩٤٨، وعرضت الأمر على الأمم المتحدة فوافقت على تقسيمها بين العرب والصهاينة وإنشاء دولة لكل منهما على أرض فلسطين.

وفى ١٧ سبتمبر ١٩٤٧ أعلنت مصر حالة الطوارئ وعقد اجتماع لهيئات الشباب طالب بجلاء الإنجليز عن فلسطين وإلغاء الانتداب وأن توجه الجهود العربية ضد الصهيونية. ثم ألفت " هيئة وادى النيل العليا " لإنقاذ فلسطين لتنظم حملات التبرع وتدعو لإنشاء كتائب للتحرير.

---

(٨٠) د. محمد نصر مهنا: مشكلة فلسطين أمام الرأى العام العالمى (١٩٤٥-١٩٦٧) – دار المعارف – ١٩٧٩ – ص ٣١.

وكان الأخوان المسلمون وحزب مصر الفتاة على رأس التنظيمات السياسية المصرية تأييداً للكفاح المسلح ضد الصهيونية. ونظر كلاهما إلى فلسطين كمجال لحرب مقدسة وطنية دينية ضد الصهيونية، وكانت المظاهرات تتحول أحياناً إلى أعمال الثأر من اليهود المقيمين فى مصر بتدمير بعض المتاجر والمحال. ومع تصاعد الموقف أعلن حزب مصر الفتاة عن تأليف عدة أفواج للنضال ضد الصهيونية فى فلسطين وسافر أحمد حسين مع هذه الأفواج إلى سوريا باعتبارها خط الدفاع الأساسى، كما ألف الأخوان المسلمون كتائب للجهاد وأقاموا معسكراً للجبهة الجنوبية بفلسطين.[٨١]

وفى هذه الفترة قررت الجامعة العربية التدخل فى فلسطين من خلال استخدام قوات من المتطوعين تقوم الجامعة بتمويلهم وتسليحهم.[٨٢] وبادر عبد الرحمن عزام تنفيذاً لقرارات مجلس الجامعة بإنشاء لجنة صندوق إنقاذ فلسطين. ونجحت اللجنة العسكرية التى أنشئت بالأمانة العامة للجامعة العربية على عقد عدة صفقات لشراء أسلحة من مخلفات الجيوش البريطانية فى ليبيا والصحراء الغربية لتسليح قوات المتطوعين، كما نجحت تلك اللجنة فى استيراد أسلحة أخرى من إيطاليا وأسبانيا.

وتم تجميع الأسلحة والمهمات العسكرية فى منطقة مرسى مطروح. ونقلت شحنات الأسلحة والمتطوعين لحساب الأمانة العامة للجامعة العربية إلى الأراضى اللبنانية وإلى فلسطين.[٨٣]

ويدأ التفكير من جانب الدول العربية فى التدخل المسلح فى فلسطين فى أثناء الدورة السابعة لمجلس الجامعة (١٩٤٧/١٠/٧ – ١٩٤٨/٢/٢٢) فقد وافق المجلس على تقرير لجنة رؤساء الوفود حول التدابير الواجب اتخاذها للدفاع عن فلسطين.[٨٤]

---

(٨١) طارق البشرى: الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥–١٩٥٢ – الطبعة الثانية – دار الشروق – ١٩٨٣ – ص ٢٥٩.

(٨٢) عبد الحميد محمد الموافى: مرجع سبق ذكره – ص ١٤٣.

(٨٣) جميل عارف: (الوثائق السرية ...) – مرجع سابق – ص ٢٠٤ وما بعدها.

(٨٤) عبد الحميد الموافى: مرجع سبق ذكره – ص ١٤٤.

فى المقابل كانت حكومة " النقراشى " تعانى من الفشل فى التوصل إلى حل للقضية الوطنية سواء من خلال المفاوضات المباشرة أو من خلال التحكيم الدولى – وكانت صورة " الملك الصالح " الذى كان يتمتع بها الملك قد أخذت فى الشحوب مع تزايد قوة نفوذ رجال القصر.

وكانت قضايا البناء الداخلى ومحاولة الهروب من المشكلة الوطنية تسدان الطريق أمام الحكومة التى تصادمت مع حركة الاضرابات التى انتشرت وبالمطالب الاقتصادية للجماهير التى تصاعدت، وهدد هذا كله بتفكيك الجهاز الحكومى للدولة.

كان لا بد إذن من حدث داو يصم الآذان يخرج بالحكومة والنظام من هذا الطريق المسدود، وينقل اهتمام الجماهير إلى مشكلة أخرى غير القضية الوطنية وغير الصراع الاجتماعى الداخلى.

ولم يكن هناك من منفذ سوى " فلسطين ".

ففلسطين ستنسى الشعب تهاوى الحكومة وانهيارها – وفى نفس الوقت كانت فلسطين مجالاً لاسترداد الملك بعضاً لسمعته التى كانت قد انهارت فى الأعوام السابقة.

فتلاقت أرادات الحكومة والقصر فى محاولة استعادة هيبة الدولة التى هدها الفوران الشعبى من ناحية، ومسعى الملك الحثيث منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى أن يمتلك حكم البلاد وأن تكون السياسة العربية ملهاه الخاص، إلى جانب حرصه على بناء زعامة عربية لنفسه ينافس فيها العائلة الهاشمية فى العراق وشرق الأردن.

غير أن سوء حالة الجيش كانت تقف بين الحكومة وبين استغلال هذا الظرف – لكن هذا الحائل لم يستمر طويلاً – فقد انصاع النقراشى لرغبة الملك – وطلب فى ١٠ مايو ١٩٤٨ من رئيس مجلس الشيوخ عقد البرلمان فى جلسة سرية سريعة للنظر فى مسألة فلسطين.(٨٥)

---

(٨٥) د. عبد الوهاب بكر: "الجيش المصرى وحرب فلسطين..." – مرجع سابق – ص ٥٥.

فى نفس الوقت كان النقراشى مصراً على ألا تلجأ مصر إلى القوة المسلحة حتى لا يدفع الجيش المصرى إلى حيث تكون القوات المرابطة فى منطقة قناة السويس وراء ظهره.[٨٦]

وفجأة تغير الموقف وقرر الملك فاروق دخول الجيش المصرى الحرب ودون علم رئيس الوزراء ودون موافقة البرلمان ولم يكن هذا القرار مطابقاً لما أُتخذ من قرارات فى مؤتمر رؤساء الدول العربية فى عالية (لبنان ١٩٤٧). وذلك لعدم استعداد الجيش المصرى سواء فى التسليح أو التدريب وهكذا كانت بقية الجيوش العربية. ولعدة أسباب قيل أن الملك أتخذ هذا القرار حتى يتمكن من مواجهة الأزمات الداخلية ويعلن الأحكام العرفية، وفى نفس الوقت يتقرب إلى الشعب وحتى لا يسبقه الأخوان ومصر الفتاة فى الكفاح والشعبية وحتى لا يترك أى قيادة أخرى عربية للسيطرة على الموقف والمقصود هنا الملك عبد الله.[٨٧]

فى ذلك الوقت طالب عزام من الملك ضرورة اتخاذ إجراء عسكرى فعال حيث أن الأمر يتعلق مباشرة بسمعة مصر. وكان الملك فى ذلك الوقت محاطاً بعصابة من منافقى القصر والمتملقين. ممن يمكن شراء ولائهم، والذين كانت آراؤهم تعكس الكثير من المصالح غير المصرية. وكان مما يساعد الجانب السلبى بقوة، هو ميل كبار قادة الجيش بزعامة حيدر باشا وزير الدفاع جدياً إلى توقع الحرب العالمية أو الإعداد لها.

وهكذا كان فاروق يواجه مأزقاً، ففى الوقت الذى كان عزام يطالب فيه باستعداد جدى للحرب، والتى كانت عدا الاعتبارات العسكرية المحضة، تتطلب قدراً عالياً من التضامن والهدف العربى، كان الملك يواجه عمليات حث من أصحاب نفوذ آخرين فى القصر، تعكس اتجاهات ملوك عرب آخرين، وخاصة ملك الأردن عبد الله، الذى كان يعمل بنشاط للتعامل مع اليهود سراً للوصول إلى تقسيم فلسطين لصالح الأردن، ولكن فاروق استطاع أن يقاوم هذه الضغوط القوية.

---

(٨٦) طارق البشرى: مرجع سابق – ص ٢٦٦.

(٨٧) نبيه بيومى عبد الله: مرجع سبق ذكره – ص ٨٢.

كانت طريقة عبد الرحمن عزام فى المناقشة بسيطة نسبياً، فكان يرى أن الدول العربية التى أعربت جدياً عن التزامها بحرب تحرير فلسطين فى مجلس الأمن فى حاجة إلى تذكيرها بأن الواجب يفرض عليها احترام مثل هذا الالتزام. وحث عزام فاروق على أن يستخدم نفوذه وهيبته لدى الزعماء العرب الآخرين لجعلهم يوافقون على ما تريده مصر. كما أن الحرب الوشيكة كانت تطلب بالمثل أن تستعد الجيوش العربية لهذا الاحتمال، وأنها تحتاج إلى مساندة بواسطة تعبئة مناسبة للموارد.(٨٨)

ودخلت مصر الحرب، وكان اشتراك الجيش المصرى فى الحرب عبارة عن فخ نصبته بريطانيا لمصر فى فلسطين، حتى تذل الجيش الذى يدعى أن له القدرة على ملء الفراغ. ولذلك حرصت بريطانيا على إشراك القوات المصرية، وهى تعلم أن جيوش الدول العربية، إما حديثة التكوين قليلة العدد. وإما جيوش لحفظ الأمن، أو للعرض أو واقعة تحت الاستعمار. وعموماً كانت كلها ينقصها التدريب والتسليح. وليست هناك قيادة واحدة، وتنسيق فى تدريبها. وهى تعلم فى نفس الوقت أنها أعدت اليهود لهذه المعركة وخاصة فى الحرب العالمية الثانية. وبهذا تتمكن من إحراج الحكومة المصرية، بأن جيشها غير قادر على حماية مصر وبالتالى قناة السويس وأن أمنها مرتبط بالوجود البريطانى.(٨٩)

ولعل حرب ١٩٤٨ مع إسرائيل، كانت واحدة من أسوأ الحروب فى التاريخ الحديث – من وجهة النظر العربية – فقد كانت نتاجاً غير عادى فى تصورها، والإعداد لها، لقد وضعت موضع التنفيذ بوساطة فريق دولى من الملوك، ورؤساء الوزارات والسياسيين، يطيعون جميعاً ولاءات مختلفة، والكثيرون مستعدون سراً للغدر بواحد من الآخرين لأسباب انتهازية، ومن بين هؤلاء جميعاً أصبح فاروق الضحية البريئة، وكان على بلده مصر أن تدفع أغلى ثمن من الرجال والأموال وتكاليف الحرب الأخرى. لقد فقدت مصر عدة آلاف من الشهداء والجرحى، بالإضافة إلى سمعتها، وفقد الملك عرشه فى النهاية!(٩٠)

(٨٨) عادل ثابت: مرجع سبق ذكره – ص ١٨٣.
(٨٩) نبيه بيومىعبد الله: مرجع سبق ذكره – ص ١٩٢.
(٩٠) عادل ثابت: المرجع السابق – ص ١٨٢.

وفى هذه المرحلة بدأت الدول العربية تتنصل من تحمل المسئولية، وتعلق كل أخطائها على كاهل جامعة الدول العربية.

وأصبحت الجامعة العربية هى المقصرة، وهى التى خسرت حرب ١٩٤٨. وفى هذا الوقت كان المقصود بالجامعة العربية، ليس دولها الأعضاء بزعمائها وحكوماتها، بل الأمانة العامة للجامعة وأمينها العام عبد الرحمن عزام متناسين أن الجامعة هى الدول الأعضاء صاحبة الجيوش والسلطان وليست الأمانة العامة للجامعة التى تضم الأمين العام وبعض الموظفين.

ولكن الأمة العربية وفى ثورة غضبها ممثلة فى دولها وصحافتها ومؤسساتها المختلفة فى حرب ١٩٤٨، بدأت حملة شرسة ضد الجامعة العربية وقد بلغ من حال الهياج فى ذلك الوقت أن المظاهرات كانت تطوف بالشوارع تهتف بسقوط الجامعة، وتوارى جميع المسئولين عن الحرب وأوقفوا التصريحات. ما عدا أمين الجامعة العربية، الذى مرض نتيجة لحالة نفسية وكان الذين يعلمون حقيقة الأمر يطالبونه بالكلام والتصريحات دفاعاً عن الجامعة العربية، والإفصاح عن المسئولين الحقيقيين الذين كانوا السبب فى هذا الفشل الذى منيت به الدول العربية وجيوشها فى حرب فلسطين. إلا أنه كان يقول: "لو تكلمت لخرجت أنا وحدى البرئ من مسئولية هزيمة هذه الحرب، ولأدين جميع المسئولين فى الدول العربية. وأنا لا أريد أن أبرئ نفسى لأدين الآخرين، لأن فى ذلك هدماً للجامعة العربية الناشئة".[٩١]

كان لعبد الرحمن عزام رأي فى حرب فلسطين قبل أن تبدأ.. فقد أوضح أنه ليست هناك ضرورة لإعلان رسمى للحرب، واقترح بدء حملة مكثفة لتحويل كل الموارد العربية الممكنة إلى إنشاء وتجهيز قوة عربية قوية.

وكان له دور كبير كذلك فى التخطيط للحرب، فقد كان عزام يعتمد أساساً فى هذه الحرب على المتطوعين، وكان يأمل ألا تكون حرباً تقليدية. بل حرب طويلة

---

(٩١) وحيد الدالى: مرجع سبق ذكره – ص ٢٤٠.

لاستنزاف قوى العدو، ولم يرد دخول جيوش لأن ذلك سيؤدى إلى مفاوضات وصلح وتجتمع الدول من أجل المفاوضات.

كما كان يرى أن يتم تحرير فلسطين عن طريق تسليح الفلسطينيين أنفسهم وقيام حرب تحريرية يقوم بها المتطوعون فى كل البلاد العربية، وكانت نظرته أن تكون الحرب طويلة أشبه بحرب العصابات مثلما حدث فى ليبيا ضد الاستعمار الإيطالى واستطاعت هذه القوات استنزاف إيطاليا سنوات طوال، وفى نفس الوقت لم تستطع إيطاليا مفاوضة أى جهة مسئولة لأنها لا تعلم من أين تأتى هذه الهجمات. وكان يرى أن النصر آتٍ لا محالة لو اتبعت الدول العربية هذه الفكرة، ولكن حدث غير ذلك فقد كانت الخيانات العربية هى التى حطمت فلسطين.[٩٢]

ورداً على الاتهامات التى وجهت إليه وإلى الجامعة العربية، تقدم عبد الرحمن عزام بتقرير شفهى إلى الملك عن الوضع السياسى والعسكرى. استعرض فيه أسباب الهزيمة: " علينا أن نشترك جميعاً فى اللوم لإساءة تقدير قوة اليهود، والثقة الزائدة فى قوة جيوشنا النظامية، فهى مكونة من جنود محترفين وضباط متفرغين، وكان ينبغى أن تتمكن بسهولة من تحطيم جش المستوطنين الإسرائيليين. ولكننا كنا مخطئين، فالإسرائيليون كانوا مستعدين وقاتلوا جيداً، وقد كرسوا أنفسهم تماماً لنضالهم. أما بالنسبة للجيوش العربية، فإن المصريين وحدهم يمكن القول بأنهم قاتلوا بالفعل. أما الأردنيون فقد تركوا ميدان المعركة دون إنذار وتركوا فراغاً على جناحنا الأيمن استغله اليهود الذبن نجحوا فى حصارنا بالفالوجة ".

" ... أما فيما يتعلق بإعداد الإمدادات العسكرية للحرب، فقد كانت لا شئ فعلاً. وفى حين كانت إسرائيل تلقى بحوالى ٧٠% من مواردها فى جهدها الحربى، فإن العرب لم يستخدموا حتى ١% ولو أننا عبأنا ١٠% وهى نسبة متواضعة لاحتياطنا، لاستطعنا أن يكون لدينا جيش حديث من مليون رجل تحت تصرفنا، وقوة جوية قوية تتكافأ معا.

---

(٩٢) د. عمر عبد الرحمن عزام: حديث بمنزله بالمعادى فى ١٨ مايو ٢٠٠٣.

وليس هناك أى داع للبكاء على اللبن المسكوب، وعلينا أن ننظر الآن إلى الإمام ونضع سياسة جديدة من أجل فلسطين تقوم على أساس خبراتنا ".(٩٣)

وأخيراً – يمكن القول أن الدول العربية كانت سبباً فى الهزيمة – فقد دخلت الحرب وهى تتظاهر جميعها بأن هدفها تحرير فلسطين والعمل على استقلالها – لكن الواقع كان غير ذلك.

فالملك عبد الله كان يريد فلسطين كلها والقدس بصفة خاصة – والعراق كان يريد منفذاً على البحر الأبيض ولو عن طريق شرق الأردن ولهذا كان يظهر تضامنه مع عبد الله – وكانت سوريا متلهفة على " الجليل " كما كانت تريد الوصول إلى البحر المتوسط عن طريقه – وكانت لبنان تتطلع برغبة وشغف إلى الجليل الأوسط.

ومصر التى لم يكن لها مطامع إقليمية – كانت تسيطر عليها فكرة الزعامة والاعتراف بها كدولة عربية كبرى – وفوق هذه الأسباب الخاصة بكل دولة فقد كان هناك الإغراء المشترك بتحقيق انتصار سريع على إسرائيل.

كانت هناك تقلبات شديدة الحساسيات والتقديرات المتبادلة للنوايا بين العرب وبعضهم البعض – " فالملك عبد الله " على سبيل المثال عندما دخل بقواته فلسطين تنفيذاً لقرارات الجامعة العربية – واصل اتصالاته السرية المستترة مع الجانب اليهودى بغرض تدبير حصول الفيلق العربى على المناطق التى خصصت للعرب بمقتضى مشروع التقسيم الصادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧.

" والملك فاروق " عندنا اتخذ قراره المفاجئ بإرسال قواته إلى فلسطين – فوت على الملك عبد الله هذا المشروع – وقد أدى هذا الإجراء الذى اتخذه الملك فاروق إلى تشجيع الحكومات العربية على أن تحذو حذو مصر فترسل قواتها.

وهكذا فإن أسباب الفشل فى حرب فلسطين ترجع إلى النظام السياسى والاجتماعى

---

(٩٣) عادل ثابت: مرجع سبق ذكره – ص ١٨٧، ١٨٨.

وأن النصر الذى حققه اليهود لا يرجع إلى تفوق شعب على آخر، وإنما إلى تفوق نظام على آخر. وتعارض الخط السياسى مع القدرات العسكرية والتفوق النوعى للقوة العسكرية الإسرائيلية – وسوء التخطيط المصرى للعمليات – وخيانة الدول العربية.[٩٤]

ومن جهة أخرى – ظلت الجامعة العربية حريصة على بقاء تدعيم الكيان الشرعى لفلسطين العربية، حريصة أيضاً على إبقاء مكانها فى المجلس بين الدول العربية غير شاغر.

وقد اتخذ المجلس فى ١٣ أبريل ١٩٥٠ القرار التالى:

نظر المجلس فى موقف الدول العربية من المسألة الفلسطينية فى وضعها الراهن وقرر بالإجماع فيما عدا مندوب المملكة الأردنية الهاشمية الآتى:

أولاً: تأكيد القرار الذى اتخذته اللجنة السياسية بإجماع الدول الأعضاء فى ١٣ أبريل ١٩٤٨ وهو القرار الذى ينص على أن دخول الجيوش العربية فلسطين لإنقاذها يجب أن ينظر إليه كتدبير مؤقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال أو التجزئة لفلسطين وأنه بعد إتمام تحريرها تسلم إلى أصحابها ليحكموها كما يريدون.

ثانياً: اعتبار هذا القرار نافذاً ومعبراً عن السياسة الحالية للدول العربية فى هذا الشأن.

ثالثاً: إذا أخلت أى دولة من الدول العربية بهذا القرار تعتبر ناقضة لعهدها ولأحكام ميثاق جامعة الدول العربية وذلك وفقاً للفقرة الأولى من المادة الثانية من الميثاق وللملحق الخاص بفلسطين.

رابعاً: عند وقوع هذا الإخلال تدعى اللجنة السياسية للاجتماع واتخاذ ما يلزم من إجراء وفقاً لأحكام الميثاق.[٩٥]

---

(٩٤) د. عبد الوهاب بكر: الجيش المصرى... – مرجع سابق – ص ١٤٥، ١٥٨.

(٩٥) جامعة الدول العربية: محضر جلسات مجلس الجامعة – الجلسة السادسة من دور الانعقاد العادى الثانى عشر بتاريخ ١٩٥٠/٤/١٣.

إذن – لقد أكدت حرب عام ١٩٤٨ ضعف مقدرة جامعة الدول العربية على تكتيل أو تجميع كل إمكانيات الدول الأعضاء بها واستخدامها لتحقيق هدف واحد حتى ولو كان ذلك هو المواجهة مع إسرائيل مما أدى إلى فقدان الثقة من جانب العرب فى الجامعة وقدراتها. مما كاد يصيب الجامعة بالشلل. وإذا كان ضعف قدرة الجامعة يعود فى قدر منه إلى ضعف الالتزامات التى يفرضها الميثاق على الدول الأعضاء. إلا أن السبب الرئيسى فى ضعف الجامعة يرجع أساساً إلى الدول الأعضاء التى تستطيع إذا رغبت أن تتجاوز الحدود التى تفرضها النصوص إلى ما هو أقوى منها.

اتفاقية الدفاع المشترك:

أظهرت حرب ١٩٤٨ حاجة الدول العربية أعضاء الجامعة إلى ضرورة العمل على تحقيق أمنها خاصة فى ظل تضخيم الانتصار الإسرائيلى وتزايد الشكوك المتبادلة بين الدول والقيادات العربية.

أدى ذلك إلى قيام مصر فى أكتوبر ١٩٤٩ بتقديم اقتراح الضمان الجماعى العربى الذى يعد بمثابة بعث جديد لجامعة الدول العربية. وكانت تهدف من وراء هذا الاقتراح تحقيق صيغة عربية من التعاون العسكرى بين الدول العربية.

وفى ١٣ أبريل ١٩٥٠ وبعد مشاورات ومناقشات عديدة تمت الموافقة على مشروع معاهدة الدفاع المشترك، وتم توقيعها فى ١٧ يونيه من جانب كل من سوريا والمملكة العربية السعودية ولبنان ومصر واليمن... ثم وقعها العراق فى ٢ فبراير ١٩٥١، وتبعها الأردن ولم تصبح المعاهدة سارية المفعول إلا فى ٢٢ أغسطس ١٩٥٢.

وقد قال عبد الرحمن عزام " أن وضع هذه المعاهدة أعظم من وضع ميثاق الجامعة نفسه لأن الدول العربية لأول مرة فى حياتها قد خرجت بمعاهدة من نوع جديد هى تلك المعاهدة.. والتى تتحمل الدول بموجبها أكبر المسئوليات ".[٩٦]

---

(٩٦) د. سيد نوفل: العمل العربى المشترك، ماضيه ومستقبله، الكتاب الأول – معهد الدراسات والبحوث العربية – القاهرة – ١٩٦٨ – ص ١٢٨ وما بعدها، وكذلك أنظر (عبد الحميد الموافى: مصر فى جامعة الدول العربية – مرجع سابق – ص ١٥٠، ١٥٧).

مشروع توحيد العملة بين دول الجامعة العربية:

قامت اللجنة الاقتصادية والمالية للجامعة العربية فى عام ١٩٤٥ بدراسة موضوع توحيد النقد فى دول الجامعة العربية، ورأت قبل الأخذ برأى قاطع فى هذا الموضوع القيام بدراسة النظم النقدية فى الدول العربية.

وفى ١٢ فبراير ١٩٤٨ اقترح الوفد العراقى تشكيل لجنة من الخبراء لدراسة هذا الموضوع. وقد قرر مجلس الجامعة فى ٢٢ فبراير ١٩٤٨ إحالة الاقتراح إلى الحكومات العربية لدراسته.

واستقر الرأى – أخيراً – إلى مشروع معدل بصورة اتفاقية بين دول الجامعة العربية بخصوص توحيد النقد. وتتضمن هذه الاتفاقية إصدار عملة رسمية موحدة بين دول الجامعة باسم الدينار العربى " له وزن قانونى ٣.٥٨١٣٤ جرام من الذهب " ويعتبر العملة القانونية فى دول الجامعة العربية الموقعة على الاتفاقية وتتعهد الدول العربية بإلغاء عملاتها الحالية وسحبها من التداول فى خلال ثلاث سنوات، ورؤي تقديم هذه البيانات إلى دول الجامعة العربية لدراستها وإبداء الرأى فيها لتتمكن الأمانة العامة من جمع اللجنة الاقتصادية والمالية لتبدى رأيها النهائى وتقدمه إلى الجهات المختصة لتقرر ما تراه مناسباً.(٩٧)

ويبدو لى أن انشغال دول الجامعة العربية بالمشكلة الفلسطينية فى ذلك الوقت حال دون إتمام نجاح هذه الفكرة.

عزام بك وحصوله على الباشوية:

لوحظ أن عبد الرحمن عزام لم يحصل على لقب الباشوية إلا بعد توليه منصب الأمين العام للجامعة العربية بأربع سنوات. ولم يكن هناك تفسيراً لذلك إلا أن البعض اعتقد أنه عدم رضا ملك مصر على أمين الجامعة.

---

(٩٧) توفيق أحمد البكرى، إبراهيم شكر الله: مرجع سبق ذكره – ص ٣٥٥، ٣٥٨.

والحقيقة أن الملك فاروق أراد أن ينعم على عزام بهذا اللقب قبل ذلك بسنوات إلا أنه كان يطلب من رئيس الديوان الملكى بأنه من الخير أن يظل بعيداً عن اللقب، ولكن جاءت فترة رأى الملك فاروق أنه أصبح من غير اللائق أن يظل أمين عام الجامعة العربية المصرى الجنسية لا يحمل لقب باشا، فى ذلك الوقت الذى يحمل فيه هذا اللقب كثير من المصريين الذين هم أقل شأناً من الأمين العام، فأنعم عليه الملك باللقب فى عام ١٩٤٩ دون سؤاله هذه المرة.[٩٨]

استقالة عزام من الجامعة العربية:

ذكرنا فيما سبق – أن نكسة ١٩٤٨ كانت وراء خروج عبد الرحمن عزام من الجامعة العربية – ونضيف إلى ذلك أنه وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بعث نورى السعيد إلى مجلس قيادة الثورة يخبرهم أن عبد الرحمن عزام يقف حجر عثرة فى سبيل التفاهم بين القاهرة وبغداد – وقد كان هناك خلاف فى الرأى بين عزام ونورى حول طبيعة الجامعة العربية – وتصور أعضاء مجلس قيادة الثورة فى مصر أن عزام يقف عقبة فى سبيل التفاهم بين القاهرة وبغداد. وطالبوه بأن يتقدم باستقالته.[٩٩]

وفى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ تقدم عبد الرحمن عزام باستقالته إلى مجلس الجامعة العربية بناءً على طلب الجهات التى تعدها جزءاً من إعادة تنظيم السلك السياسى الذى ينتمى إليه الأمين العام.

أثارت استقالة عبد الرحمن عزام عاصفة عنيفة عند عرضها على مجلس الجامعة العربية. فوقف الشيخ يوسف ياسين رئيس وفد المملكة العربية السعودية فى الاجتماع معلناً معارضة حكومته فى قبول الاستقالة. حيث أوضح أن حكومته ترى أن قبول استقالة عزام من منصب الأمين العام للجامعة العربية يعتبر بمثابة لطمة قاسية لكيان الجامعة العربية كله. وتقدم باقتراح باسم حكومته يطلب تأجيل البت فى هذه الاستقالة لمدة أسبوعين حتى يتسنى له إقناع عزام بسحبها.

---

(٩٨) وحيد الدالى: مرجع سابق – ص ١١١.
(٩٩) جميل عارف: صفحات من... – مرجع سابق – ص ٣٢٣.

وجاء الأمير فيصل إلى القاهرة – وكان وزيراً للخارجية وقتها – وحاول أن يفعل شيئاً، لكن عزام كان مصراً على الاستقالة.

وفى ١٥ سبتمبر ١٩٥٢ وافق مجلس جامعة الدول العربية على قبول استقالة عبد الرحمن عزام مع صرف مرتب شهر كمكافأة، إلا أنه بادر بتحويل هذا المبلغ إلى اللجنة العليا لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين.

لم يتمالك الشيخ يوسف ياسين نفسه عندما تمت موافقة مجلس الجامعة العربية على قبول الاستقالة. وكان أن قال أمام أعضاء المجلس " أنه ليوم حزين فى تاريخ أمة العرب الذى تمت فيه الموافقة على الاستقالة... "(١٠٠)

وفى أواخر عام ١٩٥٤ طلب جمال عبد الناصر من عبد الرحمن عزام أن يعود إلى مكانه كأمين عام للجامعة العربية، وأن مصر سوف تقوم بكل الاتصالات لإعادة انتخابه مرة أخرى، إلا أنه اعتذر وفضل أن يبقى بعيداً عن الجامعة.

عبد الرحمن عزام بعد الجامعة العربية:

ذهب عبد الرحمن عزام إلى المملكة العربية السعودية حيث اتخذه الملك سعود مستشاراً خاصاً له واشترك فى التحكيم بين المملكة العربية السعودية وكل من سلطنة عمان وأبو ظبى فى النزاع الحدودى بينهم حول واحة البوريمى والذى تم فى جنيف بسويسرا.

وواحة البوريمى تقع فى الركن الجنوبى الشرقى للمملكة العربية السعودية فيما يعرف بمنطقة (الظاهرة) وتفجر هذا النزاع بسبب عمليات البحث عن النفط الذى ظهر فى منطقة الخليج العربى وسعت الشركات الأمريكية والبريطانية فى الحصول على أكبر

---

(١٠٠) مجلة الجامعة العربية: العدد ٥ – المجلد الأول – فى ١٩٥٢/١٠/٤، وكذلك جميل عارف: صفحات... مرجع سابق – ص ٣٣٠، ٣٣١ .وللإطلاع على نص الاستقالة أنظر (ملحق رقم ١٢)

قدر من الامتيازات النفطية، وهو ما أدى إلى تنازع الطرفين على ملكية المناطق المتنازع عليها بعد اكتشاف النفط أو احتمالات وجوده فيها.[(١٠١)]

يرجع النزاع إلى شهر أكتوبر ١٩٥٥، عندما أوعزت بريطانيا إلى سعيد بن تيمور سلطان مسقط – الذى يعمل فى حكومته إنجليزيان هما " نيل أنيز " وزير خارجيته، كولونيل " ووتر فيلد " قائد قواته – باحتلال البوريمى، وطرد شيخها " صقر بن سلطان آل حمودة " الذى يدين بالولاء لجلالة الملك سعود.

وقد فعلت بريطانيا هذا على أثر مناورة محبوكة لعرقلة سير التحكيم الدولى لتقرير مصير البوريمى، عندما رأت أنه يسير فى غير اتجاه مصلحتها، وقامت بسحب ممثلها فى اللجنة الدولية، وماطلت فى تعيين غيره.

ونجحت قوات مخلب القط – سلطان مسقط – المزودة بالأسلحة البريطانية الحديثة فى تدمير قرى البوريمى الآمنة، وفى تشريد سكانها وطاردتهم إلى داخل حدود المملكة السعودية.

وللنزاع، فضلاً عن الرغبة فى الاستئثار بالذهب الأسود الدفين فى باطن تلك الجهات أسباب سياسية أيضاً... فبريطانيا التى تقهقرت فى مصر، وفى السودان، تريد أن تتشبث بمركزها على ساحل الخليج العربى (الفارسى)، المركز الذى ثبتت فيه قرناً ونصف قرن، فهو كل ما بقى لها فى الشرق الأوسط... والولايات المتحدة التى تستخرج من الظهران مليون برميل من البترول فى اليوم، تريد أن تحتفظ بصداقة عاهل الجزيرة ولا تملك إلا أن تؤيده فى نزاعه مع بريطانيا وإلا اتهمها العرب بأنها تمالئ الاستعمار وأحست والولايات المتحدة بدقة موقفها فبعث " دالاس " وزير خارجيتها إلى لندن بالرسالة تلو الأخرى يحثها على ضرورة الوصول إلى حل فيما يختص بمشكلة البوريمى التى رفعها الملك سعود إلى مجلس الأمن.[(١٠٢)]

---

(١٠١) فتحى محمد العفيفى: مشكلات الحدود السياسية فى منطقة الخليج – رسالة دكتوراه تحت النشر – كلية الآداب – جامعة الزقازيق – ١٩٩٨ – ص ٣٥٢، ٤٨٦.

(١٠٢) مجلة المصور: العدد ١٣٦٢ – فى ٢٠ يناير ١٩٥٦م – ص ٣٤، ٣٥.

ظل عبد الرحمن عزام فترة طويلة يعمل مستشاراً لدى المملكة العربية السعودية، ثم انتقل إلى بيروت واضطر أن يعيش بعيداً عن بلده أكثر من ١٥ عاماً. إلا أنه عاد إلى مصر بعد ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ وقضى بها عدة أسابيع سافر بعدها إلى (كان) بجنوب فرنسا مع ابنه عمر حيث وافته المنية بإحدى المستشفيات الخاصة هناك فى ٣ يونيه ١٩٧٦م.[١٠٣] ونقل جثمانه إلى القاهرة على طائرة سعودية خاصة ليجرى تشييع جنازته من مسجد مبنى الجامعة العربية بميدان التحرير، ودفن بمسجد عزام بحلوان.[١٠٤]

كان أغلب الظن أن ينفرط عقد الجامعة العربية بعد وقت قصير من تشكيلها. بل كان أغلب الظن أنها لن تستطيع أن تثبت وجودها وقيل باختصار أن هذه الأمم التى انفصلت عن تركيا وكانت عبئاً ثقيلاً عليها لا تصلح لأن تكون مجموعة صالحة فى هيئة الجامعة العربية لكن دول هذه الجامعة كانت أقوى من أن تجعل الأعداء يظنون بها الظنون أو يتقولون عليها واستطاعت بمضى الوقت أن تثبت وجودها، فقد استطاعت أن تساهم مساهمة ناجحة فى تحقيق واستخلاص استقلال سوريا ولبنان والمحافظة على أوضاع مختلف البلاد والممالك العربية المنضوية تحت لوائها.

ولعل جزءاً كبيراً من الفضل فى خلق هذه الجامعة العربية وفى وضع أسسها والمحافظة عليها والنضال فى سبيلها والكفاح من أجلها يرجع إلى عبد الرحمن عزام ذلك الرجل الذى كرس وقته وحياته وكل عزيز لديه فى سبيل رفع شأن الجامعة العربية وإعزازها. ومع أنه كان يتعرض كثيراً لحملات ممن يقفون فى طريقه إلا أنه كان يمر بها مر الكرام، لأنه يعتقد أنه بسبيل العمل لغرض سامٍ غرض اجتمع الغرب كله على أن يكافحه ويحاربه لكى يقضى عليه الفضاء المبرم.

---

(١٠٣) جريدة الأخبار: العدد ٧٤٧٦ – فى ١٩٧٦/٦/٣م – ص ١١.

(١٠٤) د. عمر عبد الرحمن عزام: من حديث تم بمنزله فى ١٨ مايو ٢٠٠٣.

الخاتمة

الخاتمة

****

لقد استهدفت هذه الدراسة إلقاء الضوء على شخصية عبد الرحمن باشا عزام، تلك الشخصية التى لعبت دوراً كبيراً فى تاريخ مصر والأمة العربية والإسلامية.

نشأ عبد الرحمن عزام فى أسرة عربية الأصل ترجع أصولها إلى شبه الجزيرة العربية، أسرة تتمسك بالعادات والتقاليد العربية، وهو الابن الخامس للمرحوم حسن بك عزام نائب مديرية الجيزة فى الجمعية التشريعية ومجلس شورى القوانين. وجده هو سالم بك عزام ناظر الجيزة الذى نفى فى عهد الاحتلال الإنجليزى إلى السودان وتوفى ودفن بالخرطوم.

كما نشأ متأثراً بأفكار الحزب الوطنى وبزعيمه مصطفى كامل مما جعله يبادر فى عام ١٩٠٨م وهو طالب بالمدرسة السعيدية الثانوية أن يؤسس جمعية وطنية أطلق عليها اسم جمعية " الرابطة الإسلامية " وكانت تنادى بأفكار الحزب الوطنى.

كان عبد الرحمن عزام هو الأول من بين أفراد عائلته الذى تلقى تعليمه بالمدارس الحكومية، ولم يتلق تعليمه فى الأزهر الشريف كأخوته الأربعة.

فقد سافر إلى لندن لدراسة الطب وأسس هو ومجموعة من الطلبة المصريين الذين كانوا يدرسون هناك " جمعية أبو الهول " والتى هاجم من خلالها بريطانيا، وأفصح عن عدائه لها مما كان له أكبر الأثر فى جذب انتباه الإنجليز له.

وفى عام ١٩١٣ م وأثناء حرب البلقان أنضم عبد الرحمن عزام للجيش العثمانى وشارك فى استعادة أدرنة. ونال العديد من الأوسمة والنياشين التركية نظراً لشجاعته.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى عاد إلى مصر، ولم يبق بها طويلاً فقد أعلنت بريطانيا الحماية على مصر، فحاول أن يلتحق بالجيش العثمانى مرة أخرى، فرفض طلبه ومنع من السفر، وأضطر إلى تكملة دراسته بمدرسة القصر العينى، وقضى معظم

وقته فى إثارة زملائه الطلبة، وفى تنظيم المظاهرات المعادية لبريطانيا. لدرجة أن المدير البريطانى للقصر العينى هدده بالفصل وأتهمه بأنه جرثومة الفساد بالمدرسة.

ذهب إلى ليبيا بعد ذلك وبقى بها سبع سنوات مناضلاً ضد الاحتلال الإيطالى وقد أكسبته هذه الفترة خبرة واسعة فى المجالين السياسى والعسكرى.

وبعد عودته لمصر عام ١٩٢٢، وجد أن هناك اتجاهاً لإحياء الماضى الفرعونى البعيد وما خطه بعض الكُتاب المعاصرون من آراء حول تخلف مصر والعرب فى عهد الخلافة الإسلامية ونادى البعض بعودة مصر إلى جذورها الفرعونية القديمة حتى تتمكن من تحرير مستقبلها. على أن تلك الآراء لم تؤثر فى عزام وروحه العربية الإسلامية وهو الذى عاش وحارب مع العرب لفترة طويلة، ومضى فى مناصرته للعرب وقضاياهم فكتب العديد من المقالات مهاجماً الإيديولوجيتين الفرعونية والغربية، مؤكداً أن مستقبل مصر يكمن فى إسلامها وعروبتها وأنه إذا كان إحياء الخلافة قد أصبح مستحيلاً فلا مناص من البحث عن شكلاً جديد يجمع بين شتات الأمة الإسلامية. ولقد بات واضحاً أن كلمتى العروبة والإسلام كلمتان مترادفتان عند عزام.

وبعد صدور دستور ١٩٢٣ أجريت انتخابات أول برلمان مصرى ورشح الوفد عبد الرحمن عزام لعضوية مجلس النواب عن دائرة العياط بمحافظة الجيزة. وفاز بأغلبية ساحقة وأصبح أصغر النواب سناً فى ذلك الوقت، وكان يرى أن الاتحاد بين الدول العربية ضرورة لاستقلالها واستمر فى تبنى ومناصرة القضية العربية والإسلامية طيلة وجوده بالمجلس. وكان يحلم بدولة عربية واحدة عاصمتها القاهرة، وتمتد من المحيط الهندى إلى المحيط الأطلسى.

وفى عام ١٩٢٨ اشتغل عبد الرحمن عزام بالصحافة وكان رئيساً لتحرير جريدة الكشاف التى أنشأها أحمد عبود المقاول المصرى كجريدة تنطق بلسان حزب الوفد المصرى، واشترط عزام لقبول العمل فى الجريدة أن يكون له مطلق الحرية والتصرف فى اتجاهاتها السياسية دون أى تدخل من صاحبها فى أى أمر من أمور التحرير، وبعد

صدور الجريدة بثلاثة أسابيع اختلف عزام مع صاحبها وتركها ولم تستمر بعد ذلك إلا أسابيع قليلة.

لقد كان عزام يتمتع بحاسة صحفية مرهفة ساعدته بجانب سعة إطلاعه فى كافة الشئون السياسية والاقتصادية والعسكرية، نتيجة لكثرة قراءاته، فى استخلاص الاستنتاجات مما يقرأ مع ربط الحوادث بشكل يثير الإعجاب. وقد ساعده على ذلك إجادته للغة العربية واللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية والتركية.. وإلمامه باللغة الإيطالية.. ثم أنه كان لبقاً، وصفه بعض الصحفيون بأنه مُحدث ساحر يستطيع التأثير على سامعيه ببساطة وقدرة كبيرة على الإقناع.

وبجانب ذلك كان أول سياسى مصرى، يدعو إلى ما يمكن أن نسميه مذهب الوسطية بين مختلف الإيديولوجيات. فقد كان يرى أن الضرورة تحتم نشأة فلسفة سياسية جديدة لا تستورد شعارات من هنا أو هناك ولا تقيد نفسها بقيد معين وتتعامل مع الجميع على حد سواء.

وكان عزام أول من تبنى فكرة الإعداد العسكرى للحرب الشاملة أو المقاومة الشعبية. وقد جسد فكرته فى إنشاء ما سمى فى أواخر الثلاثينات بالجيش المرابط، وكانت فكرة هذا الجيش أنه يتعدى الحدود الموضوعة للجيش النظامى فقد كانت معاهدة ١٩٣٦ تنص على ألا يتجاوز عدد الجيش المصرى ١٨ ألف جندى. ولكى يكسر هذا القيد دون خروج على نص المعاهدة استصدر قانوناً بإنشاء الجيش المرابط لينتشر فى أوسع دائرة داخل البلاد ويتدرب على الأداء العسكرى المحدود وعلى المساهمة فى الخدمات الاجتماعية الأساسية. وبهذا كان هناك حوالى ٣٦ ألف جندى فيما بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٢ قد تدربوا فى معسكرات الجيش كمحاربين.

كما كان من أهداف هذا الجيش أن يصبح كل مصرى قادراً على حمل السلاح فى وقت قصير وبأقل النفقات، وتكون النتيجة فى النهاية أن يصبح المصريون جميعاً مدربين على حمل السلاح، وهذا هو الخطر الذى أرادت بريطانيا القضاء عليه قبل بلوغ هذا الجيش هذه الغاية، فكم من الأفكار الوطنية والمبادرات الاجتماعية وقف الاستعمار

البريطانى فى طريق تحقيقها إمعاناً فى تخلف المصريين عسكرياً، وحتى لا يصبحوا قوة لمقاومته وإخراجه من بلادهم.

كان عبد الرحمن عزام محبوباً ومقدراً من كافة الزعماء العرب على اختلاف ميولهم السياسية والحزبية والدينية، وكانوا يثقون فيه كل الثقة، ولقد ساعدته هذه الثقة على أن يكون أميناً عاماً للجامعة العربية. وكان من الصعب على كثيرين من الساسة العرب من يستطيع محاجاته فى أى مشكلة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية.. فهو حجة فى المسائل السياسية الدولية ولديه قدرة فائقة على ربط الأحداث العربية واستخلاص الأفكار التى تحقق المصالح العربية. ومن قوته على التأثير على أية دولة من دول الجامعة السبع وقتئذ، وُصِفَ بأنه الدولة الثامنة فى الجامعة العربية، وقيل أنه كان أقوى هذه الدول.

وهناك نقطة أخرى ينبغى أن نذكرها وهى أن عبد الرحمن عزام هو الأمين العام الوحيد للجامعة العربية الذى لم يعين بالأسلوب الذى عُين به من جاءوا بعده، فقد عُين بملحق خاص من ملاحق ميثاق الجامعة. واعتقد أن هذا كان مصدراً من مصادر قوته.

وبعد نكبة فلسطين فى عام ١٩٤٨ بدأت الأمة العربية حملة شرسة ضد الجامعة العربية بوصفها هى التى خسرت الحرب، وفى هذا الوقت كان المقصود بالجامعة العربية، ليس الدول الأعضاء، بل الأمانة العامة ممثلة فى عبد الرحمن عزام.

ولكن توضيحاً لما سبق نقول أن عزام لم يكن موافقاً على إعلان الحرب على اليهود بالصورة التى تمت بها، ولكنه كان يرى أن تكون أشبه بحرب العصابات مثلما حدث بليبيا ضد الاستعمار الإيطالى. واستطاع المتطوعون فى ليبيا من استنزاف إيطاليا سنوات طوال وفى نفس الوقت لم تستطع إيطاليا مفاوضة أى جهة مسئولة لأنها لا تعلم من أين تأتى هذه الهجمات.

لقد كان هناك بعض الخيانات العربية أدت إلى الهزيمة والتى لو أفصح عنها عزام فى ذلك الوقت لسقطت الجامعة العربية. فكان دائماً يفضل السكوت حتى لا تهدم الجامعة وكان يقول: لو تكلمت لخرجت أنا وحدى البرئ من مسئولية الهزيمة فى هذه الحرب،

ولأدين جميع المسئولين فى الدول العربية... وأنا على استعداد دائماً لامتصاص غضب الأمة العربية دفاعاً عن جامعتها حتى يظهر الله الحق.

تبقى نقطة أخيرة أحب أن أذكرها وهى أن فكرة استخدام البترول كسلاح فى الحرب لم تكن وليدة حرب أكتوبر ١٩٧٣، بل لقد قيل أن عبد الرحمن عزام باشا كان أول من واتته فكرة الضغط الاقتصادى باستخدام سلاح البترول العربى أثناء حرب ١٩٤٨. إلا أنها لم توضع موضع التطبيق.

وأخيراً. قد يشكك البعض فى قيمة جامعة الدول العربية ودورها فى المنطقة ولكن ذلك يبدو تجاوزاً للواقع التاريخى، فمهما كانت المصاعب والتحديات التى واجهتها تلك المنظمة وعلى رأسها أمينها العام عبد الرحمن عزام إلا أنها – كما يثبت السياق التاريخى – قد حافظت على حد أدنى من وحدة الصف العربى فى كل الظروف.

لم يكن هذا الرجل جزءاً من تاريخ مصر وحدها، ولكنه كان حقبة كاملة من تاريخ النضال العربى. عاش مجاهداً فى سبيل عروبته ومات مؤمناً بوحدة الشعوب العربية. لقد كانت حياته سفراً من المعارك السياسية والدبلوماسية والعسكرية امتدت ما يقرب من نصف قرن وقد كان عزام كما قيل عنه " هو السيف الذى يقطع الماء، والماء الذى يطفئ النار. لقد جمع بين الدبلوماسية والحكمة ولا شك فهو داهية العرب ".

****

الـــــــــــملاحـــــــــــق

ملحق رقم (١)

تطور الهيئات النيابية والبرلمانية المصرية

مجلس النواب المصرى (١٩٢٨- ١٩٥٠)

فى ٢٨ يونيو ١٩٢٨ صدر مرسوم بتأجيل انعقاد البرلمان لمدة شهر

وفى ١٩ يوليو ١٩٢٨ صدر مرسوم بحل البرلمان.

الهيئة النيابية الرابعة:

- دور الانعقاد العادى الأول ١١ يناير ١٩٣٠ – ١٧ يونيو ١٩٣٠

وفى ٢٢ يونيو ١٩٣٠ صدر مرسوم بتأجيل انعقاد البرلمان لمدة شهر،

وفى ١٢ يوليو ١٩٣٠ صدر مرسوم بفض الدورة البرلمانية.

الهيئة النيابية الخامسة:

- دور الانعقاد العادى الأول ٢٠ يونيو ١٩٣١ – ٢١ يوليو ١٩٣١
- دور الانعقاد العادى الثانى ١٧ ديسمبر ١٩٣١ – ٧ يوليو ١٩٣٢
- دور الانعقاد العادى الثالث ١٥ ديسمبر ١٩٣٢ – ٢٧ يونيو ١٩٣٣
- دور الانعقاد العادى الرابع ١٤ ديسمبر ١٩٣٣ – ٢٨ يونيو ١٩٣٤

وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٣٤ صدر مرسوم بحل البرلمان.

الهيئة النيابية السادسة:

- انعقاد فى هيئة مؤتمر لوفاة الملك فؤاد الأول فى ٨ مايو ١٩٣٦ لاتخاذ الإجراءات الدستورية المترتبة على ذلك.
- دور الانعقاد العادى الأول ٢٣ مايو ١٩٣٦- ٢٤ أغسطس ١٩٣٦
- دور الانعقاد غير العادى ٢- ١٩ نوفمبر ١٩٣٦ لنظر معاهدة الصداقة مع بريطانيا.
- دور الانعقاد العادى الثانى ٢١ نوفمبر ١٩٣٦- ١٤ يوليو ١٩٣٧
- دور الانعقاد غير العادى ٢٣ أكتوبر ١٩٣٧ – ١٠ نوفمبر ١٩٣٧
- دور الانعقاد العادى الثالث ١٨ نوفمبر ١٩٣٧-٣ يناير ١٩٣٨

وفى ٢ فبراير ١٩٣٨ صدر مرسوم بحل مجلس النواب

الهيئة النيابية السابعة:

- دور الانعقاد العادى الأول ١٢ أبريل ١٩٣٨ – ١٧ أكتوبر ١٩٣٨
- دور الانعقاد العادى الثانى ١٩ نوفمبر ١٩٣٨ – ٨ أغسطس ١٩٣٩
- دور الانعقاد غير العادى ٢ أكتوبر ١٩٣٩- ١٧ أكتوبر ١٩٣٩
- دور الانعقاد العادى الثالث ١٨ نوفمبر ١٩٣٩-٥ نوفمبر ١٩٤٠
- دور الانعقاد العادى الرابع ١٤ نوفمبر ١٩٤٠- ١٨ أكتوبر ١٩٤١
- دور الانعقاد العادى الخامس ١٥ نوفمبر ١٩٤١- ٧ فبراير ١٩٤٢

وفى ٧ فبراير ١٩٤٢ صدر مرسوم بحل مجلس النواب

الهيئة النيابية الثامنة

- دور الانعقاد العادى الأول ٣٠ مارس ١٩٤٢- ٩ سبتمبر ١٩٤٢
- دور الانعقاد العادى الثانى ١٩ نوفمبر ١٩٤٢ – ١٥ يوليو ١٩٤٣
- دور الانعقاد غير العادى١٤ سبتمبر ١٩٤٣- ١٦ سبتمبر ١٩٤٣
- دور الانعقاد العادى الثالث ١٨ نوفمبر ١٩٤٣- ٩ أغسطس ١٩٤٤

وفى ١٥ نوفمبر ١٩٤٤ صدر مرسوم بحل مجلس النواب.

الهيئة النيابية التاسعة:

- دور الانعقاد العادى الأول ١٨ يناير ١٩٤٥- ٦ أغسطس ١٩٤٥
- دور الانعقاد غير العادى ٨ أكتوبر ١٩٤٥- ١٦ أكتوبر ١٩٤٥
- دور الانعقاد العادى الثانى ١٢ نوفمبر ١٩٤٥- ٢٥ يوليو ١٩٤٦
- دور الانعقاد العادى الثالث ١٤ نوفمبر ١٩٤٦- ١٠ يوليو ١٩٤٧
- دور الانعقاد العادى الرابع ١٢ نوفمبر ١٩٤٧- ٦ يوليو ١٩٤٨
- دور الانعقاد العادى الخامس ١٨ نوفمبر ١٩٤٨- ٨ أغسطس ١٩٤٩

الهيئة النيابية العاشرة:

- دور الانعقاد العادى الأول ١٦ يناير ١٩٥٠- ٧ أغسطس ١٩٥٠

على الدين هلال: السياسة والحكم فى مصر (العهد البرلمانى ١٩٢٣ – ١٩٥٢) – مطبعة جامعة القاهرة – ١٩٧٧ – ص ٢٩٠، ٢٩١.

(ملحق ٢)

بيان من سعادة أمير الحج

تفضل جلالة ملكنا المحبوب فقلدنى شرف إمارة الحج فى هذا العام. وسأسافر صبيحة السبت مع البعثة التى اعتادت الحكومة المصرية ان توفدها إلى الحجاز سوياً تحمل معا كسوة البيت الحرام ومبرات مصر إلى أهل الحرمين.

وقد شاءت الأقدار أن تختص مصر بهذا الشرف العظيم فلم تقصر فى القيام بواجبها وحملت الأمانة بعزم وبشر وحافظت على التقاليد التى تتولى حراستها منذ مئات السنين، ولم تعصف بما فى يدها من أمانة تقلبات الزمن ولا تلك التيارات المادية الجارفة وقد شهدت القاهرة منذ أيام عرض الكسوة والمحمل بالمراسم التاريخية التى كانت مصر الخالدة جديرة دائماً بتخليدها.

وإنى مغتبط كل الاغتباط بان يكون لى شرف قيادة الحجيج هذا العام إلى المكان الذى ولد فيه أعظم إنسان، ثم إلى المكان الذى ختمت فيه أعظم رسالة.

ففى مكة سنلهم من وحى ذلك الجهاد السلمى الطويل أول دروسه، فيعلم الناس أنهم يستطيعون أن يبلغوا بالحكمة والموعظة الحسنة من تغيير الأفكار وإقامة النظم الجديدة ما لا يبلغونه بالعنف وسفك الدماء وسيلهمون درساً آخر، وهو أن الحياة فى سبيل المثل العليا أعز وأسعد وأنفع منها فى سبيل لذات مؤقتة مادية، وأن مطالب الروح أشق منالاً. فإذا رجع الحجاج من مكة وقد وعوا هذه الدروس فإنهم يرجعون بالسلم الذى نشعر جميعاً بأن العالم اليوم فى أشد الحاجة إليه.

وأما فى المدينة فسيجدون فى روضتها مثوى أعظم الأتقياء، مثوى الرسول الذى نال من النجاح فى عشرين سنة ما لم ينله أحد قبله ولا بعده.

فإذا فكر الحجاج فى سيرته فى المدينة وحجوا وقد وعوا دروساً كثيرة ابتدأت بالإخاء بين الطوائف والشعوب، ثم تدرجت هذه الطوائف والشعوب إلى الأمة المتحدة التى لم يعرف التاريخ أعظم منها، وإلى الدولة التى لم يعرف العالم أعدل ولا أرحم منها،

سنسمع من وحى المدينة دروساً فى الاجتماع والسياسة وفى أدب الحرب وأدب العلاقات الدولية تلقيها علينا السيرة النبوية من وراء حجب العصور فتظل على هذا العصر جديدة صالحة لعظة الدنيا وهى أحوج ما نكون اليوم لهذه العظات.

وأنى لأرجو أن يرجع الحجاج العرب خاصة، مصريون وغير مصريين وقد وعوها، فإنهم يكونون رسل الوحدة العربية التى تصبو إليها أقطار العروبة

سيرجعون وقد ألهموا الأمل والعزم والسياسة الصادقة والأبوة الجامعة من سيرة الرسول الأكرم الذى يزورون قبره فى المدينة، والذى أخرج من شتات العرب وفقرائهم خير أمة أخرجت للناس وجعلها قائمة بالقسط والبر بين الناس فإذا اقتدوا به واستجابوا له كانوا رسل أمة المستقبل، تلك الأمة الجديدة ذات الرسالة الروحية الجديدة التى نرجوه ويرجوا العرب أجمعون أن تحيا وتعظم فى ساحة هذا الشرق مهبط الأديان والرسل منذ آلاف السنين.

وأنه ليسرنى ويبعث فى نفسى آمالاً كباراً أن أكون أمير الحج فى السنة التى اجتمع فيها بالقاهرة رسل الدول العربية ليضعوا أسس المستقبل العزيز السعيد الحر الذى يكافئ تاريخهم ويلائم مكانتهم بين البشر.

وأحمد الله أن تكون هذه النهضة الجديدة للعرب فى عهد الفاروق ملكنا الشباب المحبوب الذى امتلأت نفسه بعظم رسالته فى أمته، والذى تجد الأمة العربية فى شخصه راعياً حفيظاً على عزتها، جديراً بأمانتها حقق الله به الآمال

عبد الرحمن عزام

مجلة الرابطة العربية:العدد ٤٢١ – ٢ ذو الحجة سنة ١٣٦٣ هـ – ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٤م – ص ٩، ١٠.

(ملحق ٣)

جامعة الدول العربية

وموافقة جلالة الملك عبد العزيز

تلقى حضرة صاحب الدولة الدكتور احمد ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس الجنة التحضيرية للمؤتمر العربى من سعادة أمير الحج الأستاذ عبد الرحمن عزام بك الكتاب التالى:

الحكومة العربية السعودية على أحسن ما يرجو العرب، وكان الفضل الأكبر فى ذلك لحكمة جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله فقد أشرف على هذه المحادثات بروح ملؤها العطف وبرغبة أكيدة فى بناء مجد الأمة العربية وعزتها، فتفضل بإرشادنا إلى مبادئ قويمة من شأنها أن تخطو باتحاد العرب وتعاونهم خطوات موفقة. وتأييداً لذلك أمر مندوبه فى اللجنة التحضيرية سعادة الشيخ يوسف يس بتوقيع بروتوكول الإسكندرية باسم الحكومة السعودية. وإنى إذ أهنئ دولتكم على توفيقكم الذى سترونه فى رد جلالة الملك على كتابكم ونصائحكم التى زودتموني بها أؤكد لدولتكم أن سرورى بما وجدت من محبة صادقة وأخوة كاملة يشعر بها جلالة الملك عبد العزيز لجلالة مليكنا المحبوب فاروق الأول لا يقل عن سرورى بأنه كان لهذه المحبة أكبر الأثر فى الوصول إلى اتفاق يرضاه الجميع.

وقد وجدت شعوراً فياضاً فى جميع الدوائر هنا لتنمية العلاقات الأخوية والمصالح المشتركة بين مصر والمملكة العربية السعودية فى جميع الشئون، هذا الشعور يحيطه ويغذيه جلالة الملك عبد العزيز بعزمه وهمته الغالية وذلك ما أعده من توفيق الله لدولتكم وأنتم تسيرون إلى بناء جامعة الدول العربية وتتولون رياسة العمل التحضيري، لذلك ولا شك أن العرب فى وطنهم العام سيستبشرون بجمع الشمل الذى هو مقدمة لظهور أمتهم العظيمة بالمظهر الذى أمر الله به من الاتحاد والكرامة، كما أنى لا أشك فى أن عناية الله ترعى مساعى مليكنا المحبوب فاروق الأول لهذه الوحدة، فهى تبشر بأن الأمة العربية الكبيرة سيجدد عهدها وتحمل رسالتها وتحتل المكان اللائق بها بين أمم العالم وسأودع اليوم جلالة الملك وأبحر غداً إن شاء الله.

وقد دعا دولة رئيس الوزراء الصحفيين وأطلعهم على الكتاب المتقدم ثم قال لهم: أعد هذه الموافقة فألا طيباً لمستقبل البلاد العربية جميعاً، ولست فى حاجة إلى القول أن موافقة جلالة الملك العظيم عبد العزيز آل سعود كانت ضرورية لاستكمال أسباب النجاح التى ينشدها زعماء البلاد العربية جميعاً، ومن الواضح أن ندب عبد الرحمن عزام بك أميراً للحج فى هذا العام كان الباعث الأول عليه القيام بمهمة المفاوضات التى أدت إلى هذه النتيجة السارة وإلا لم يكن بدونها يمكن السير إلى الأمام سيراً مرجو النجاح.

ثم قال دولته: أن عزام بك حمل معه كتاباً كريماً من جلالة الملك فاروق إلى جلالة الملك عبد العزيز كما حمل إلى جلالته كتابين آخرين أحدهما منى والآخر من وزير الخارجية. وقد تفضل العاهل العظيم فاستجاب للرغبة الإجماعية والأمنية التى ينشدها أبناء العرب جميعاً.

وقد ختم دولة الرئيس كلامه فى هذا الشأن بقوله: أنى أتوقع أن يحذو صاحب الجلالة الإمام يحيى ملك اليمن حذو جلالة الملك عبد العزيز فيتوج الاتفاقية العربية بموافقته الكريمة وبذلك يصبح الطريق معبداً وممهداً لبلوغ الأهداف العليا التى يهدف إليها العرب أجمعون.

وأظنكم قد أدركتم الآن المعنى الذى أنطوى عليه تصريحى لكم منذ بضعة أيام حين قلت لكم أن استئناف مباحثات الوحدة العربية فى القاهرة مرهون بعودة عبد الرحمن عزام بك.

مجلة الرابطة العربية:العدد ٤٢٦ – ٢٨ محرم سنة ١٣٦٤ هـ – ١٣ يناير سنة ١٩٤٥م– ص٧، ٨.

(ملحق ٤)

المملكة العربية السعودية

واشتراكها فى الجامعة العربية

أدلى سعادة عبد الرحمن عزام بك وزير الشؤون العربية بحديث قال فيه أن اجتماع مكة وجدة سيكون استهلالاً سعيداً إن شاء الله فى حياة الأمة العربية، وسيكون له شأن فى تاريخ الوحدة العربية.

" وقد تشرفت خلال خمسة أيام بمقابلة جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود عشر مرات وانتهت المحادثات مع جلالته وحكومته إلى وضع بعض المبادئ التى سيكون لها أثر عظيم فى التطور نحو اتحاد كامل وأصبحت المملكة العربية السعودية رسمياً عضواً فى جامعة الدول العربية، وسيحضر ممثلوها قريباً للاشتراك فى جميع اللجان والقرارات التى تتخذها.

وأنى أعتقد ان كل جهود صادقة تبذل فى سبيل وحدة الأمة العربية وتطورها الجديد سترعاه العناية الإلهية لأن كل شئ فى نظرى يدل على ذلك، وهذه العناية تهيئ لقيام الأمة العربية الكبرى بدورها فى العالم الجديد. فعلى العرب أن يفكروا فى ذلك وأن يعدوا أنفسهم لحمل رسالتهم لمصلحة البشرية ومصلحتهم الخاصة، وعليهم أن يدركوا أنهم أمة مستقلة "

وقد تلقى سعادة عبد الرحمن عزام بك البرقية التالية من جلالة الملك عبد العزيز.

" نشكر لسعادتكم شعوركم الكريم فى برقيتكم الرقيقة، وإن ما لقيتموه هو بعض الواجب لسعادتكم فى بلاد هى بلادكم "

وذلك رداً على البرقية التالية التى أرسلها إلى جلالته:

" بمناسبة مغادرتى هذه البلاد العزيزة أرفع لجلالتكم أبلغ آيات الشكر على عطفكم الكريم وإن ما لقيته من حسن توجيهكم الأبوي سأذكره دائماً مقروناً بالمحبة والإخلاص أدام الله جلالتكم ذخراً للإسلام والعروبة "

مجلة الرابطة العربية: العدد ٤٢٦ – ٢٨ محرم سنة ١٣٦٤ هـ – ١٣ يناير سنة ١٩٤٥م – ص١٠.

(ملحق ٥)

تصريحات لمعالى عزام بك

بشأن الوحدة العربية

وصل إلى القاهرة معالى الأستاذ عبد الرحمن عزام بك وزير مصر للشؤون العربية بعدما نجح فى مهمته الكبيرة بشأن الجامعة العربية.

واستقبله الأستاذ إسكندر الوهابى وكيل إدارة المراسم بوزارة الخارجية بالنيابة عن معالى وزيرها.

– لجان الوحدة والمملكة السعودية

وقد صرح معاليه أن المملكة العربية السعودية قررت الاشتراك فى جميع لجان الوحدة الفرعية وأن سعادة الشيخ يوسف يس بك السكرتير الخاص بجلالة الملك عبد العزيز بن سعود سيصل إلى القاهرة فى اليومين القادمين للاشتراك فى أعمال لجنة الدستور.

– موافقة اليمن

وقال رداً على سؤال بشأن موقف اليمن أننى أترقب موافقة جلالة الملك يحيى على إمضاء بروتوكول الإسكندرية ومما يعزز تفاؤلى أن جلالة الملك ابن السعود اتصل بجلالته وتلقى منه رداً على أنه سائر فى طريق الموافقة كما أن دولة رئيس الوزراء أرسل إلى جلالته كتاباً نقله إليه السيد الكبسى وعلى أى حال فإنى مستبشراً خيراً وسيشترك مندوب اليمن فى جميع لجان الوحدة اشتراكاً فعلياً.

واعتقد أن الوحدة العربية كتب لها النجاح باشتراك جلالة الملك ابن السعود فيها وأن العالم العربى كله بات ينتظر النتائج الطيبة التى سيسفر عنها مشروع الجامعة العربية.

– الملك فاروق

وختم معاليه حديثه قائلاً ويسرنى بهذه المناسبة أن أقول أن شعور بلدان العرب نحو مصر شعور طيب ويزيد رجالها أوثق الصلات مع مصر وأن جلالة الملك بن سعود يحب أخاه فاروقاً حباً كبيراً ويكن له أسمى ما يكنه الأخ لأخيه من ضروب الوفاء.

مجلة الرابطة العربية: العدد ٤٢٦ – ٢٨ محرم سنة ١٣٦٤ هـ – ١٣ يناير سنة ١٩٤٥م – ص١٣.

(ملحق ٦)

الوحدة العربية بقلم عبد الرحمن عزام

أن المعلومات التى تصلنى من الأقطار العربية تدل على نهضة حقيقية مباركة لشباب هذه الأمة فى كل مكان فهى تتجه نحو هدف سام طالما صبا إليه أنصار الوحدة العربية ودعاتها، ولا تقنع الشبيبة بغير هذا الهدف وأن الأقطار والشعوب العربية المستقلة أو شبه المستقلة كلها أعضاء فى جسم واحد هو جسم الأمة العربية وأن لها أن تعيش وتنمو وترقى لتكون أعضاء قوية فى ذلك الجسم.

ترمى هذه النهضة كذلك إلى الوحدة العربية الحقيقية والفعلية والتى لا يمكن فيها أن تعلو مصلحة ذاتية أو وقتية على مصلحة المجموعة، ولا يمكن أن تتعارض فيها مطامح وأغراض مع المطمح الأسمى والغرض الأوحد وهو أن تكون هذه الأمة فى نظر نفسها وفى نظر العالم تمثل وجوداً واحداً عزيزاً قوياً.

وقد بلغنى أن ميثاق الدول العربية، ولو أنه لقى إجماعاً فى كل البرلمانات إلا أنه لقى كذلك اعتراضات كثيرة من الذين يريدون خطوات واسعة إلى الأمام وأن الذين صدقوا عليه قد جمعهم المعنى الكريم، وهو أن هذا الميثاق هو الخطوة الأولى فى سبيل الغاية المشتركة.

وإنى رغم اشتراكى فى الشعور والمطلب مع طلاب الخطوات الواسعة والذين كانوا يرغبون فيها منذ الآن فإنى مطمئن على صواب الذين تلقوا هذا الميثاق على أنه عمل كبير خالد فى تاريخ الأمة العربية واعتبروه كافياً للحالة الراهنة.

وأقول لهؤلاء الذين كانوا يرغبون فى تحقيق كل أمانيهم فى الحال أن هذا الميثاق أداة صالحة لتحقيق أمانيهم سريعاً، فهو لم يسد الباب فى وجه طلاب التوسع فى روابط أقوى ومسئوليات أعظم بل خير ما فيه أنه أداة مرنة تسمح بالتطور وإدراك أبعد الغايات من غير أن تصطدم أجزاؤه بعضها ببعض فاللجان التى كونها تستطيع- متى عملت جادة ان تشيد باستمرار الروابط المرجوة وأن توحد بين أطراف هذه الأمة فى شتى مصالحها وشئونها من غير ضجة ولا احتكاك بمصالح محلية أو خارجية ومجلس الجامعة هو أداة مرنة كذلك قابلة للتطور فى اتجاه الوحدة إلى أبعد مدى.

والآن أصبحت الأمة العربية تملك هذه الأداة، فعلى مقدرتها فى استخدامها والانتفاع منها يتوقف المستقبل، وبمقدار يقظة الرأى العام فى جميع الأقطار العربية وتحمسه لمطالبة يكون النجاح.

ولم يحرم ميثاق الجامعة – الأقطار العربية غير المستقلة من المشاركة فى أعمال الجامعة فرغم عدم تمثيلها فى مجلس الجامعة فإن الميثاق كلف هذا المجلس بتعرف مصالحها وأمانيها والعمل على تحقيقها.

أما اللجان، وهى ميدان العمل الواسع، فكل الأقطار العربية مستقلة وغير مستقلة لها أن تشترك فيها، وقد اختص الميثاق فلسطين بعناية خاصة، فاعتبرها مستقلة شرعاً وأشركها فى أعمال مجلس الجامعة ومكنها بذلك من رعاية مصالحها فى الجامعة بنفسها.

كل هذا كان من شأنه أن تلقت الأمة العربية فى مختلف أقطارها ميثاق جامعة الأمم العربية بغبطة واضحة ينبئ بها إجماع الرأى فى التصديق على الميثاق فى برلمانات متعددة، وقد صدقت أربع دول على الميثاق، وبذلك تكون الجامعة قد تكونت قانوناً وأصبحت أمراً واقعاً وأنى أدعو الله أن تكون هذه الجامعة نواة الوحدة الشاملة التى ستظهر معها رسالة هذه الأمة التاريخية العظيمة، واضحة فعالة فى سير الحوادث والآمال البشرية.

عبد الرحمن عزام

أمين عام الجامعة العربية

مجلة الرابطة العربية: العدد ٤٣٩ – ١ جمادى الأول سنة ١٣٦٤ هـ – ١٤ أبريل سنة ١٩٤٥م – ص٩، ١٠.

(ملحق ٧)

كلمة عبد الرحمن عزام بك

الأمين العام لجامعة الدول العربية

الآن وقد اختتم هذا المؤتمر العربى عمله وأصبحت جامعة الدول العربية حقيقة واقعة وتفضلتم بانتخابى للأمانة العامة، فإنى أتقبل تكليفكم مستعيناً على العمل بإيمان يتزايد بحق هذه الأمة فى البعث الذى يؤهلها له ماض كريم وجهاد متواصل.

هذا الماضى الكريم يرجع إلى بضعة آلاف من السنين ويكاد يشمل تاريخ الحضارة البشرية كلها. فمصر القديمة وقد علمت الناس الزراعة والصناعة والكتابة وبابل وأشور وفينيقية واليمن وقرطاجنة وما نشروا من عرفان وعمران كل أولئك هم أصول الأمة المستعربة الحالية تمثلها هذه الجامعة.

ولقد تعاقبت الموجات العربية منذ خمسة آلاف سنة على ساحة هذه الأمة من الفرات إلى النيل فالمغرب حتى جاءت الموجة الكبرى تحمل أعظم رسالة روحية للغرب فصهرت الجميع فى بوتقة واحدة وأقرت أصول المساواة المطلقة بين الأجناس والجماعات والأفراد وسندت مبادئ العدل والحرية على سند من العقيدة والوجدان، وأتمت الدور الحاسم فى إخراج أمتنا الجديدة محدودة المعالم واضحة الوجود وكما أن لهذه الأمة أن تدعى أن آباءها أكرم الآباء وأعظمهم أثراً فى الحضارة البشرية فهى تستطيع بحق أن تفخر بأن منها أعظم الرسل وأكبر المصلحين وكفى بموسى وعيسى ومحمد فخراً وعزاً.

وإنى لأرجو أن يكون ميلاد هذه الجامعة اليوم بشيراً يبعث المبادئ التى عاش لها رسلنا وحماها آباؤنا الأولون.

ولا أريد أن أشق عليكم بإلقاء أشعة متعددة على نواح كثيرة من رسالة الأمة العربية التى تعتبر هذه الجامعة رمزها.

والحقيقة هى أن الجامعة وميثاقها ليست إلا عنواناً لميثاق غير مكتوب أخذه علينا آباؤنا ورسلنا من قبل وأخذناه على أنفسنا اليوم

وإذا كان الميثاق الذى أمضيتموه الآن هو عنوان الكتاب بأن الرسالة المطوية فى الكتاب هى المقصودة فى هذا العهد

والعنوان يؤدى غرضه فى توجيه الرسالة إلى قدرها السعيد قدر هذه الأمة فى عالم جديد.

وإنى أكرر الشكر لحضراتكم إذ تفضلتم فأكرمتمونى بأن أكون حرفاً فى هذا العنوان فلتبدأ هذه الجامعة عملها ويد الله تباركها وترعاها.

مجلة الرابطة العربية:العدد٤٣٦– ٩ ربيع ثان سنة١٣٦٤ هـ – ٢٤ مارس سنة ١٩٤٥م – ص١٣، ١٤

(ملحق ٨)
بروتوكول الإسكندرية
وميثاق جامعة الدول العربية

أولاً: البروتوكول

الموقعون على هذا رؤساء الوفود العربية فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام وأعضاؤها وهم

رئيس اللجنة التحضيرية

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا
رئيس مجلس وزراء مصر ووزير خارجيتها ورئيس الوفد المصرى

الوفد السورى

حضرة صاحب الدولة السيد سعد الله الجابرى
رئيس مجلس وزراء سوريا ورئيس الوفد السورى
حضرة صاحب الدولة السيد جميل مردم بك
وزير الخارجية
سعادة الدكتور نجيب الارمنازى
أمين السر العام لرياسة الجمهورية
سعادة الأستاذ صبرى العسلى
نائب دمشق

الوفد الأردني

حضرة صاحب الدولة توفيق أبو الهدى باشا
رئيس مجلس وزراء شرق الأردن ووزير خارجيته ورئيس الوفد الأردني
سعادة سليمان سكر بك
سكرتير مالى وزارة الخارجية

الوفد العراقى

حضرة صاحب الدولة السيد حمدى الباجه جى
رئيس مجلس وزراء العراق ورئيس الوفد العراقى
حضرة صاحب المعالى السيد أرشد العمرى
وزير الخارجية
حضرة صاحب الدولة السيد نورى السعيد
رئيس مجلس وزراء العراق سابقا
حضرة صاحب السعادة السيد تحسين العسكرى
وزير العراق المفوض بمصر

الوفد اللبنانى

حضرة صاحب الدولة رياض الصلح بك
رئيس مجلس وزراء لبنان ورئيس الوفد اللبنانى
حضرة صاحب المعالى سليم تقلا بك
وزير الخارجية
سعادة السيد موسى مبارك
مدير غرفة حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية

الوفد المصرى

حضرة صاحب المعالى أحمد نجيب الهلالى باشا
وزير المعارف العمومية
حضرة صاحب المعالى محمد صبرى أبو علم باشا
وزير العدل
حضرة صاحب العزة محمد صلاح الدين بك
وكيل وزارة الخارجية

إثباتا للصلات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين البلاد العربية جمعاء، وحرصا على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها، واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية قد اجتمعوا بالإسكندرية بين يوم الاثنين ٨ شوال سنة١٣٦٣(الموافق٢٥سبتمبر سنة١٩٤٤) ويوم السبت ٢٠ شوال سنة١٣٦٣ (الموافق ٧ أكتوبر سنة١٩٤٤) فى هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربى العام، وتم الاتفاق بينهم على ما يأتى

أولا–جامعة الدول العربية

تؤلف "جامعة الدول العربية" من الدول العربية المستقلة التى تقبل الانضمام إليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى "مجلس جامعة الدول العربية" تمثل فيه الدول المشتركة فى "الجامعة" على قدم المساواة وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات، وعقد اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية، تحقيقا للتعاون فيها،وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة، وللنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها، فيما عدا الأحوال التى يقع فيها خلاف بين دولتين من أعضاء الجامعة، ويلجأ فيها الطرفان إلى المجلس لفض هذا الخلاف، ففى هذه الأحوال تكون قرارات "مجلس الجامعة" نافذة ملزمة ولا يجوز على كل حال الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة،ولكل دولة أن تعقد مع دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الأحكام أو روحها ولا يجوز فى أية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية،أو أية دولة منها ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين دولة أخرى من دول الجامعة، أو

غيرها، للتوفيق بينهما وتؤلف منذ الآن لجنة فرعية من أعضاء اللجنة التحضيرية لإعداد مشروع لنظام"مجلس الجامعة" ولبحث المسائل السياسية التى يمكن إبرام اتفاقات فيها بين الدول العربية

ثانيا – التعاون فى الشئون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها

(١) تتعاون الدول العربية الممثلة فى اللجنة تعاونا وثيقا فى الشئون الآتية

أ- الشئون الاقتصادية والمالية، بما فى ذلك التبادل التجارى، والجمارك، والعملة، وأمور الزراعة والصناعة

ب- شئون المواصلات، بما فى ذلك السكك الحديدية، والطرق، والطيران، والملاحة، والبرق والبريد.

ج- شئون الثقافة

د- شئون الجنسية، والجوازات والتأشيرات، وتنفيذ الأحكام، وتسليم المجرمين، وما الى ذلك.

هـ- الشئون الاجتماعية

و- الشئون الصحية

(٢) تؤلف لجنة فرعية من الخبراء لكل طائفة من هذه الشئون، تمثل فيها الحكومات المشتركة فى اللجنة التحضيرية، وتكون مهمتها إعداد مشروع قواعد التعاون فى الشئون المذكورة ومداه وأداته

(٣) تؤلف لجنة للتنسيق والتحرير، تكون مهمتها مراقبة عمل اللجان الفرعية الأخرى، وتنسيق ما يتم من أعمالها أولا فأول، وصياغته فى شكل مشروعات اتفاقات،وعرضه على الحكومات المختلفة

(٤) عندما تنتهى جميع اللجان الفرعية من أعمالها،تجتمع اللجنة التحضيرية،لتعرض عليها نتائج بحث اللجان، تمهيدا لعقد المؤتمر العربى العام

ثالثا- تدعيم هذه الروابط فى المستقبل

مع الاغتباط بهذه الخطوة المباركة،ترجو اللجنة أن توفق البلاد العربية فى المستقبل الى تدعيمها بخطوات أخرى، وبخاصة إذا أسفرت الأوضاع العالمية بعد الحرب القائمة عن نظم تربط بين الدول العربية بروابط أمتن وأوثق

رابعا – قرار خاص بلبنان

تؤيد الدول العربية الممثلة فى اللجنة التحضيرية مجتمعة احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده الحاضرة،وهو ما سبق لحكومات هذه الدول أن اعترفت به بعد أن انتهج سياسة استقلالية أعلنتها حكومته فى بيانها الوزارى الذى نالت عليه موافقة المجلس النيابى اللبنانى بالإجماع فى٧أكتوبر سنة١٩٤٣م

خامسا – قرار خاص بفلسطين

(١) ترى اللجنة أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية،وأن حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير إضرار بالسلم والاستقرار فى العالم العربى كما ترى اللجنة أن التعهدات التى ارتبطت بها الدولة البريطانية، والتى تقضى بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الأراضي العربية، والوصول الى استقلال فلسطين، هى من حقوق العرب الثابتة التى تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب، ونحو استتباب السلم والاستقرار وتعلن اللجنة تأييدها لقضية فلسطين، بالعمل على تحقيق أمانيهم المشروعة، وصون حقوقهم العادلة وتصرح اللجنة بأنها ليست أقل تألما من أحد لما أصاب اليهود فى أوروبا من الويلات والآلام على يد بعض الدول الأوروبية الدكتاتورية، ولكن يجب أن لا يخلط بين مسألة هؤلاء اليهود وبين الصهيونية، إذ ليس أشد ظلما وعدوانا من أن تحل مسألة يهود أوروبا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم

(٢) يحال الاقتراع الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية فى "صندوق الأمة العربية" لإنقاذ أراضى العرب فى فلسطين الى لجنة الشئون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه،وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية فى اجتماعها المقبل

وإثباتا لما تقدم، وقع هذا البروتوكول بإدارة جامعة فاروق الأول بالإسكندرية فى يوم السبت ٢٠ شوال سنة ٣٦٣ الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤م

إمضاءات

مصطفى النحاس	سليمان سكر
أحمد نجيب الهلالى	حمدى الباجه جى
محمد صبرى أبو علم	أرشد العمرى
محمد صلاح الدين	نورى السعيد
سعد الله الجابرى	تحسين العسكرى
جميل مردم	رياض الصلح
نجيب الارمنازى	سليم تقلا
صبرى العسلى	موسى مبارك
توفيق أبو الهدى	

ثانياً: ميثاق جامعة الدول العربية

ان حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية
وحضرة صاحب السمو الملكى أمير شرق الأردن
وحضرة صاحب الجلالة ملك العراق

وحضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية

وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر

وحضرة صاحب الجلالة ملك اليمن

تثبيتا للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة الى تربط بين الدول العربية،وحرصا على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها،وتوجيها لجهودها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية

قد اتفقوا على عقد ميثاق لهذه الغاية،وأنابوا عنهم المفوضين الآتية أسماؤهم

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية
قد أناب عن سوريا

حضرة صاحب الدولة السيد فارس الخورى،رئيس مجلس الوزراء

حضرة صاحب الدولة جميل مردم بك،وزير الخارجية

حضرة صاحب السمو الملكى أمير شرق الأردن
قد أناب عن شرق الأردن

حضرة صاحب الفخامة سمير الرفاعى باشا،رئيس الوزراء

حضرة صاحب المعالى سعيد المفتى باشا،وزير الداخلية

حضرة صاحب العزة سليمان النابلسى بك،نائب سر الحكومة

حضرة صاحب الجلالة ملك العراق
قد أناب عن العراق

حضرة صاحب المعالى السيد أرشد العمرى،وزير الخارجية

حضرة صاحب الفخامة السيد على جوده الايوبى،وزير العراق المفوض بواشنطن

حضرة صاحب المعالى السيد تحسين العسكرى،وزير العراق المفوض بالقاهرة

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية
قد أناب عن المملكة العربية السعودية

سعادة الشيخ يوسف ياسين،نائب وزير خارجية المملكة العربية السعودية

سعادة السيد خير الدين الزركلى،مستشار مفوضية المملكة العربية السعودية بالقاهرة

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية
قد أناب عن لبنان

حضرة صاحب الدولة السيد عبد الحميد كرامى،رئيس الوزراء

سعادة السيد يوسف سالم، وزير لبنان المفوض بالقاهرة

حضرة صاحب الجلالة ملك مصر
قد أناب عن مصر

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا،رئيس مجلس الوزراء

حضرة صاحب السعادة محمد حسين هيكل باشا،رئيس مجلس الشيوخ

حضرة صاحب المعالى عبد الحميد بدوى باشا،وزير الخارجية

حضرة صاحب المعالى مكرم عبيد باشا،وزير المالية

حضرة صاحب المعالى محمد حافظ رمضان باشا،وزير العدل

حضرة صاحب المعالى عبد الرازق أحمد السنهورى بك،وزير المعارف العمومية

حضرة صاحب العزة عبد الرحمن عزام بك،الوزير المفوض بوزارة الخارجية

حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن

قد أناب عن اليمن

الذين بعد تبادل وثائق تفويضهم التى تخولهم سلطة كاملة،والتى وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل قد اتفقوا على ما يأتى

مادة ١

تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق. ولكل دولة عربية مستقلة الحق فى أن تنضم الى الجامعة،فإذا رغبت فى الانضمام،قدمت طلبا بذلك يودع لدى الأمانة العامة، ويعرض على المجلس فى أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب

مادة ٢

الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها،وتنسيق خططها السياسية، تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها،والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها كذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها فى الشئون الآتية

(أ) الشئون الاقتصادية والمالية،ويدخل فى ذلك التبادل التجارى،والجمارك،والعملة،وأمور الزراعة والصناعة

(ب) شئون المواصلات،ويدخل فى ذلك السكك الحديدية،والطرق والطيران،والملاحة،والبرق،والبريد

(ج) شئون الثقافة

(د) شئون الجنسية،والجوازات،والتأشيرات،وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين

(هـ) الشئون الاجتماعية

(و) الشئون الصحية

مادة ٣

يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلى الدول المشتركة فى الجامعة،ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها وتكون مهمته القيام على تحقيق أغراض الجامعة،ومراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات فى الشئون المشار إليها فى المادة السابقة،وفى غيرها

ويدخل فى مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل، لكفالة الأمن والسلام،ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية

مادة ٤

تؤلف لكل من الشئون المبينة فى المادة الثانية لجنة خاصة تمثل فيها الدول المشتركة فى الجامعة،وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه،وصياغتها فى شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها،تمهيدا لعرضها على الدول المذكورة ويجوز أن يشترك فى اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية الأخرى،ويحدد المجلس الأحوال التى يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين،وقواعد التمثيل

مادة ٥

لا يجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو اكثر من دول الجامعة،فإذا نشب بينهما خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها،ولجأ المتنازعون الى المجلس لفض هذا الخلاف،كان قراره عندئذ نافذا وملزما وفى هذه الحالة لا يكون للدول التى وقع بينها الخلاف الاشتراك فى مداولات المجلس وقراراته ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة،وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها،للتوفيق بينهما وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء

مادة ٦

إذا وقع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة،أو خشى وقوعه فللدولة المعتدى عليها،أو المهددة بالاعتداء،أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فورا ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء،ويصدر القرار بالإجماع،فإذا كان الاعتداء من إحدى دول الجامعة،لا يدخل فى حساب الإجماع رأى الدولة المعتدية وإذا وقع الاعتداء بحيث يجعل حكومة الدولة المعتدى عليها عاجزة عن الاتصال بالمجلس،فلممثل تلك الدولة فيه أن يطلب انعقاده للغاية المبينة فى الفقرة السابقة.وإذا تعذر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة،حق لأى دولة من أعضائها أن تطلب انعقاده

مادة ٧

ما يقرره المجلس بالإجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة فى الجامعة،وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزما لمن يقبله وفى الحالتين تنفذ قرارات المجلس فى كل دولة وفقا لنظمها الأساسية

مادة ٨

تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى،وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول وتتعهد بأن لا تقوم بعمل يرمى الى تغيير النظام فيها

مادة ٩

لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق،أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض.والمعاهدات والاتفاقات التى سبق

ان عقدتها،أو التى تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى لا تلزم ولا تقيد الأعضاء الآخرين

مادة ١٠

تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية،ولمجلس الجامعة أن يجتمع فى أى مكان آخر يعينه

مادة ١١

ينعقد مجلس الجامعة انعقادا عاديا مرتين فى العام فى شهرى مارس وسبتمبر، وينعقد بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة الى ذلك،بناء على طلب دولتين من دول الجامعة

مادة ١٢

يكون للجامعة أمانة عامة دائمة تتألف من أمين عام،وأمناء مساعدين،وعدد كاف من الموظفين ويعين مجلس الجامعة بأكثرية ثلثى دول الجامعة الأمين العام،ويعين الأمين العام بموافقة المجلس الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسيين فى الجامعة

مادة ١٣

يعد الأمين العام مشروع ميزانية الجامعة،ويعرضه على المجلس للموافقة عليه قبل بدء كل سنة مالية ويحدد المجلس نصيب كل دولة من دول الجامعة فى النفقات،ويجوز أن يعيد النظر فيه عند الاقتضاء

مادة ١٤

يتمتع أعضاء مجلس الجامعة،وأعضاء لجانها،وموظفوها الذين ينص عليهم فى النظام الداخلى،بالامتيازات والحصانة الدبلوماسية أثناء قيامهم بعملهم.وتكون مصونة حرمة المبانى التى تشغلها هيئات الجامعة

مادة ١٥

ينعقد المجلس للمرة الاولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية،وبعد ذلك بدعوة من الأمين العام .ويتناوب ممثلو دول الجامعة رئاسة المجلس فى كل انعقاد عادى

مادة ١٦

فيما عدا الأحوال المنصوص عليها فى هذا الميثاق،يكتفى بأغلبية الآراء لاتخاذ المجلس قرارات نافذة فى الشئون الآتية

(أ) شئون الموظفين

(ب) إقرار ميزانية الجامعة

(ج) وضع نظام داخلى لكل من المجلس،واللجان،والأمانة العامة

(د) تقرير فض أدوار الاجتماع

مادة ١٧

توضع الدول المشتركة فى الجامعة،الأمانة العامة نسخا من جميع المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها أو تعقدها مع أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها

مادة ١٨

إذا رأت إحدى دول الجامعة أن تنسحب منها،أبلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة ولمجلس الجامعة ان يعتبر أية دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة،وذلك بقرار يصدره بإجماع الدول عدا الدولة المشار إليها

مادة ١٩

يجوز بموافقة ثلثى دول الجامعة تعديل هذا الميثاق،وعلى الخصوص لجعل الروابط بينها امتن وأوثق،ولإنشاء محكمة عدل عربية،ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام ولا يبت فى التعديل إلا فى دور الانعقاد التالى للدور الذى يقدم فيه الطلب.وللدولة التى لا تقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذه،دون التقيد بأحكام المادة السابقة

مادة ٢٠

يصدق على هذا الميثاق وملاحقه وفقا للنظم الأساسية المرعية فى كل من الدول المتعاقدة،وتوضع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة،ويصبح الميثاق نافذا قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة عشرة يوما من تاريخ استلام الأمين العام وثائق التصديق من أربع دول

حرر هذا الميثاق باللغة العربية فى القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٦٤(٢٢ مارس سنة ١٩٤٥) من نسخة واحدة تحفظ فى الأمانة العامة وتسلم صورة منها مطابقة للأصل لكل دولة من دول الجامعة

<u>ملحق خاص بفلسطين</u>

منذ نهاية الحرب العظمى الماضية،سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدول العثمانية،ومنها فلسطين،ولاية تلك الدولة،وأصبحت مستقلة بنفسها،غير تابعة لأية دولة أخرى،وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن فيها،وإذا لم تكن قد مكنت من تولى أمورها،فان ميثاق العصبة فى سنة١٩١٩لم يقرر النظام الذى وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها،فوجودها واستقلالها الدولى من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه،كما انه لا شك فى استقلال البلاد العربية الأخرى،وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلا دون اشتراكها فى أعمال مجلس الجامعة ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية انه نظرا لظروف فلسطين الخاصة والى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا،يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى أعماله

ملحق خاص

بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة فى مجلس الجامعة

نظرا لأن الدول المشتركة فى الجامعة ستباشر فى مجلسها وفى لجانها شئونا يعود خيرها وأثرها على العالم العربى كله، ولأن أماني البلاد العربية غير المشتركة فى المجلس ينبغى له ان يرعاها، وأن يعمل على تحقيقها فان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية، يعنيها بوجه خاص أن توصى مجلس الجامعة، عند النظر فى اشتراك تلك البلاد فى اللجان المشار إليها فى الميثاق، بأن يذهب فى التعاون معها إلى أبعد مدى مستطاع، وفيما عدا ذلك بألا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها، وتفهم أمانيها وآمالها، وبأن يعمل بعد ذلك على صلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيئه الوسائل السياسية من أسباب

ملحق خاص

بتعيين الأمين العام للجامعة

اتفقت الدول الموقعة على هذا الميثاق على تعيين سعادة عبد الرحمن عزام بك أمينا عاما لجامعة الدول العربية ويكون تعيينه لمدة سنتين،ويحدد مجلس الجامعة فيما بعد النظام المستقبل للأمانة العامة.

مجلة الرابطة العربية: العدد ٤٣٦ – ٩ ربيع ثان سنة ١٣٦٤ هـ – ٢٤ مارس سنة ١٩٤٥م – من ص١٠ إلى ص ٢١.

(ملحق ٩)

حفل توقيع الميثاق

بعد توقيع الميثاق وفى حفل دُعِيَ إليه أعضاء وفود الدول العربية المشاركة فى توقيع الميثاق دخل الجميع إلى مسرح القصر الملكى حيث كانت من بين فقرات الحفل أنشودة أنشدتها الآنسة أم كلثوم وقد نظمها الشاعر الكبير الأستاذ/محمد الأسمر:

زهر الربيع أرى، أم سادة نجب
وروضة أينعت، أم حفلة، عجب
تجمع الشرق فيها فهو مؤتلق
كالعقد يلمع فيه الدر والذهب
كفاه أن يد (فاروق) تنظمه
وأنه الأمل، للشرق مرتقب
بنى العروبة هذا القصر كعبتنا
وليس فيه من الحجاج مغترب
عجبت للنيل، وهو الماء ينسكب
يكاد من لفحات الشرق يلتهب
حياكم وهو جذلان، وقال لكم
إن العروبة فيما بيننا نسب
" هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم
فصافحوها تصافح نفسها العرب "

- مجلة الرابطة العربية، العدد ٤٣٦، ٩ ربيع ثان سنة ١٣٦٤هـ - ٢٤ مارس سنة ١٩٤٥، ص ١٥.

(ملحق ١٠)

حفل توقيع الميثاق

شدت السيد أم كلثوم قصيدة زهر الربيع للشاعر محمد الأسمر والملحن زكريا أحمد. بعد أن أجرت عليها عدة تغييرات فقد استبدلت أم كلثوم كلمة الفاروق فى الثالث.. واختارت بدلاً منها كلمة الله.

ليس هذا فقط... بل أن أم كلثوم حذفت بيتاً بكامل كلماته من هذه القصيدة وفيه حديث صريح عن الملك فاروق أيضاً.

إذ قال فيه الشاعر:

هو السماء وفاروق به قمر　　　وأنتم فى السماء السبعة الشهب

أى أن أم كلثوم غنت سبعة أبيات فقط مع أن عدد أبياتها ثمانية أبيات بالإضافة إلى أنها غيرت عنوان القصيدة من " فرحة الشرق " إلى " زهر الربيع "

وتكون ما شدت به أم كلثوم هى الكلمات التالية:

زهر الربيع يُرى أم سادة نُجب　　　وروضة أينعت أم حفلة عجب
تجمع الشرق فيها فهو مؤتلف　　　كالعقد يلمع فيه الدر والذهب
كفاه أن يد الله تنظمه　　　وأنه أمل للشرق مرتقب
بنى العروبة هذا القصر كعبتنا　　　وليس فيه من الحجاج مغترب
عجبت للنيل يطفى كل ذى لهب　　　يكاد من نفحات الشوق يلتهب
حياكم وهو جذلان وقال لكم　　　إن العروبة فيما بيننا نسب
هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم　　　فصافحوها تصافح نفسها العرب

وكتبت هذه القصيدة بمناسبة توقيع مندوبو الأمم العربية الميثاق العربى فى سنة ١٩٤٥ وقد أقيمت لها حفلة كبرى بسراى عابدين وحضر هذه الحفلة الملك فاروق. وقد قصد من هذه القصيدة تحية ممثلى العروبة. وقد اقترح المغفور له صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى على الشاعر محمد الأسمر نظم هذه القصيدة. كما اقترح أن يكون آخرها بيت حافظ بك إبراهيم المذكور فى آخرها.

أما عن الشاعر فهو محمد الأسمر وقد ولد فى دمياط عام ١٩٠٠ ومن أهم أعماله ديوانين الأول هو " تغريد الصباح " وهو أول مجموعة شعرية له ثم ديوان الأسمر الذى صدر فى عام ١٩٥٠ وكذلك له كتاب فى النثر بعنوان " مع المجتمع ".

حنفى المحلاوى: " شعراء أم كلثوم" – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ٢٠٠١، ص ١٥٨.

(ملحق ١١)

مذكرة عبد الرحمن عزام (أمين الجامعة العربية)

إلى مؤتمر وزراء الخارجية بلندن ١٩٤٦

" ليبيا بلد عربى تحده تونس وبلاد المغرب غرباً ومصر شرقاً والصحراء الكبرى جنوباً، ويقطن هذه البلاد منذ قرون قوم من أصل عربى يتكلمون لغة واحدة ويتبعون تقاليد وعادات واحدة ويتدينون بدين واحد، وهى بلاد مترامية الأطراف غير أنها فقيرة الموارد، وقد ظلت منذ ذلك الحين بلاداً متحدة يعيش سكانها داخل حدودها يتبادلون محصولات أراضيهم ويتعاونون على استغلالها، ولم تكن هناك أية حدود تفصل بين المناطق وبعضها، وكان البدو الرحل من السكان يتنقلون فى أنحاء البلاد فى حرية تامة طلباً للمرعى وكثيراً ما استوطنوا حيث طاب لهم المقام.

" والبلاد فى طبيعتها غير قابلة للتجزئة فكل فكرة ترمى إلى تقسيمها سواء إلى مناطق أو ولايات أو دوائر نفوذ أو وضع أى قسم منها تحت نظام الانتداب، فكرة لا شك عائدة بالضرر على البلاد اقتصادياً واجتماعياً وأدبياً فضلاً عن أنه لم يسبق أن حصل تقسيم للبلاد منذ آلاف السنين.

وقد ورث الليبيون عن أجدادهم حب العرب التقليدى للحرية وتاريخهم الطويل ملئ بالأدلة على دفاعهم المجيد عن بلادهم آخرها مقاومتهم العنيفة للعدوان الإيطالى وقد دامت هذه المقاومة أكثر من عشرين عاماً ضحوا فى أثنائها بما يقرب من نصف تعداد سكان البلاد.

وجلى أنه لا يمكن إرغام هذا الشعب على قبول أى حل لا يتفق مع أمانيه القومية.

" وتتلخص هذه الأمانى كما عهدتها بنفسى فى الرغبة فى بقاء بلادهم موحدة وفى أن تترك لهم الحرية فى إدارة شئونهم بأنفسهم وأن تصبح ليبيا عضواً فى جامعة الدول العربية. وقد استقيت معلوماتى هذه من اتصالاتى الشخصية بأهل ليبيا وقد فوضنى زعماؤهم ورؤساؤهم فى أن أوضح قضيتهم وأدافع عنها.

" ولقد تأكدت من هذه الحقائق جميع دول الجامعة وأرسل بعضها على انفراد مذكرات فى هذا الصدد إلى مجلسكم ويمكنكم أن تتأكدوا بأنفسكم من ذلك وإنى لعلى يقين من أنه إذا جرى استفتاء فى البلاد تحت إشراف ممثلى الأمم المتحدة إذا دعت الحال إلى ذلك لأسفر عن أن الشعب الليبى أجمع سيطلب بصوت واحد تحقيق أمانيه القومية.

" ولا شك فى أن أى تأخير فى الوصول إلى حل يحقق هذه الأمانى سيؤدى إلى خيبة أمل مريرة ليس فى ليبيا فحسب بل وفى أنحاء العالم العربى أجمع.

" ومن الطبيعى أنه إذا دعت الحال إلى فترة انتقال أن تسند مهمة إرشاد الشعب الليبى إلى تحقيق هدفه المنشود وهو الاستقلال التام إلى دولة عربية أو إلى الجامعة بأجمعها. ولا شك فى أن اختيار أمة عربية للوصاية على شعب عربى فى جوهره لمما يتفق مع الروح التى تسود المنظمة العالمية الجديدة ".

سامى حكيم: استقلال ليبيا بين جامعة الدول العربية والأمم المتحدة – دار الكتاب الجديد – ١٩٦٥ – ص ١٩، ٢٠، ٢١.

(ملحق ١٢)
نص استقالة عبد الرحمن عزام

" حضرة رئيس مجلس جامعة الدول العربية.

منذ انتخبت لأمانة الجامعة العربية بإجماع دولها لأول مرة فى مارس ١٩٤٥ جدد انتخابى منذ ذلك الحين بالإجماع ثلاث مرات، وقد حدثت فى هذه السنين العصيبة أحداث جسام كافحنا فيها أعداء كبار من المستعمرين والصهيونيين، وكلما ثقل علىَّ حمل الأمانة وأردت الخلاص من المسئولية الملقاة علىَّ، منعنى صوت ضميرى من الهرب مما أنا فيه.. والآن وقد شعرت بأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخلينى من حمل هذه الأمانة فإننى أرجوكم أن تعرضوا على المجلس استقالتى من منصبى مع تصميمى على عدم العدول عنها..

وإنى متأكد أن الله العلى القدير الذى رعى هذه الجامعة فى أحلك الأيام وأشد العواصف سيرعاها دائماً، وأن أمتنا قد أخذت طريقها إلى الحرية الكاملة والعزة التى يريدها الله لها والمساواة التى هى لب ديننا، وأن الأمور ستسير فى مصر العزيزة، وفى الأقطار العربية نحو الوحدة والتعاون بعونه تعالى.

وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام..

تحريراً فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ عبد الرحمن عزام

جميل عارف: صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية (عبد الرحمن عزام) – الجزء الأول – المكتب المصرى الحديث – ص ٣٢٧.

ملحق رقم (١٣)

(ح٨٤) (ملحق ١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز عصام

السلام عليك . وصلنا خطابك المؤرخ ٥ فبراير فنشكرك
تماما عن صاحب "أنتاليس" الذي تريد أن تؤرخ لمصر منذ ١٩٢٢
فبالنسبة لي تأتي كما تعلم كنت شابا متحمسا للحركة الوطنية
أثناء الدراسة ومنذ ١٩١٢ كنت رئيس الطلبة في لندن
وألفنا جمعية أبو الهول Sphinx Society وكنت طاهرا فرد
وكان كل همنا هو مصر وإخراج الإنجليز منها وكانت الدولة
العثمانية صاحبة السيادة "الإسمية" هي خير نصير للحزب الوطني
فلما أعلنت إيطاليا الحرب عليها سافرت إلى استانبول
في ١٩١٢ وتطوعت مع الجيش الذي استرد Adrianople
وتعرفت على أنور باشا عن طريق الزعماء المصريين اللاجئين
لاستانبول ومنهم فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويش
والدكتور أحمد فؤاد وبعض الشبان المصريين الذين يدرسون
في استانبول . وكنت في سن العشرين ولكن أستحي أن
حتى أن جريدة الشعب أكبر جرائد الحزب الوطني كتبت في أكتوبر ١٩١٢
في صفحتها الأولى مقالا عني وحسني [illegible] وفعل حربي في حرب البلقان
سواء في ألبانيا أو أدرنة ... الخ

(٢٨٥)

ورجعت الى لندن واستأنفت دراستى وكتبت كتابا طبع
ونشر فى استانبول بالعربية قبيل الحرب العامة ١٩١٤ عن حرب البلقان
وفى لندن استمر النشاط الوطنى فى جمعية أبو الهول وغيرها
ومن الغريب أننى وقتئذ تعرفت على محام انجليزى مستر
الذى مع ليموس وهو وطنى يطلب الجنسية البلادية و
ويصدر مع صديق له اسمه دوس محمد مجلة للدفاع عن حرية أفريقيا فشاركت
فيها بالمقال القليل والتحرير دفاعا عن حرية الأفريقيين
ثم أعلنت الحرب العامة وأنا فى جنيف ممثلا لطلبة لندن
آخذا فى مؤتمر كبير حضره زعماء الحزب الوطنى المنفيين ومن أهمهم
فريد بك رئيس الحزب والدكتور منصور رفعت واسماعيل
لبيب وأحمد الراعى الكاتب الأول فى صحف الحزب الوطنى
فى مصر وغيرهم وكان هذا المؤتمر منعقدا فى الأسبوع الأخير من
يوليه ١٩١٤ فأعلنت الحرب العامة أثناء انعقاده وكان
موضوع خطبتى فيه استبداد كتشنر فى مصر.
وعدت لمصر فى أواخر أغسطس والتحقت بمدرسة الطب
فورا وبعد سنة إذ كنت فى السنة الرابعة. وكنت عضوا
فى الحركة السرية المصرية هربت الى ليبيا والتحقت بالقوة
السنوسية العثمانية التى هاجمت الحدود المصرية ١٩١٥.

(٢٨٦)

٧

وابتدأت حياتي الثورية الفعلية لتحرير مصر فأضيف الى تحرير ليبيا وغرب أفريقيا فوصلت الى الحدود التونسية مع القوى المجاهدة من أهل ليبيا والعثمانيين من الأتراك وغيرهم من المسلمين، وفي أغسطس سنة ١٩١٧ سافرت من مصراته في غواصة ألمانية الى تركيا وعدت بعد زيارة برلين وفيينا بغواصة ألمانية ١٩١٨ فوصلت في ذلك محو عام ونصف سنة. فاتت في أثناء مطلع الثورة المصرية الفعلية ١٩١٩. وكنت وقتئذ في أصعب أيام الحرب في طرابلس حيث انقطعنا عن الدنيا وقامت السيادة (من المحتل) وقد عقد صلح بين الحلفاء وأعدائهم (وهم الانجليز) ومركز الحرب كان في الغرب (في طرابلس). ووقع على عاتق عندئذ حمل ليبيا بعد عجز الزعماء على خلافهم وأجمعوا على قبولي وسيطا بينهم فلما سلمت الدولة العثمانية أعلنا جمهورية طرابلسية في نوفمبر ١٩١٨ في مسلاته وكتبت مذكرتها وعملت لإخراجها وأصبحت مستشارا لهذه الجمهورية بانتخاب مؤتمر وطني من زعماء البلاد والعشائر. وكانت رئاستها متمثلة في مجلس رئاسة منتخب من أربعة مشارك مع الانتخاب العام فكونوا من زعماء السويحلي وعبد النبي بالخير والباروني والمريض واعتذر عن العضوية الرسمية بعد ذلك سليمان الباروني لأنه كان عضوا في مجلس الأعيان العثماني ولكنه كان مجاهد قديم ومستمر في الجهاد. ويطول شرح ~~هذه~~ ما حدث في السنة الخمسة بعد اعلان الجمهورية وعودتي لمصر بمرافقة السيد

٨٩

٢٦٦

(٢٨٧) ٤

وذلك

ادريس ملك ليبيا الحالى/ فى أوائل ١٩٢٢

وقد كان آخر ما فى الجعبة هو مخطط ١٩٢٢ من زعماء

طرابلس/ لفرضه اقترحوا عليهم على السيد أدريس أمارة

ليبيا كلها ومطلوب اليه آملا أن يشارك فى حرب

الطليان الذين هادنهم لمصلحة الأنجليز ~~[illegible]~~ منذ اتفاقية زويتينه

١٩١٦ . والواقع أن هذه الخطة (الوثيقة) وهى نتيجة

لأن فاعلين زعماء الغرب (طرابلس) أنه لا فرصة للعمل لوحدة ليبيا

من تغيير دعوتنا للجمهورية لدوام الحرب وبدعوة السنوسية للمشاركة

فى الحرب على أن يكون رئاسة الدول المتحدة السيد أدريس

بصفته أميرا... أصبحت المسألة محيرا لمن تقبل السيد ادريس البيعة ولكنه لأسباب صحية وغيرها أراد السفر

الى مصر أولا وكان استقلال مصر قد أعلن فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ فرافقته الى. ولما

وصلنا مصر ~~[illegible]~~

أنتصار الطليان فى طرابلس فيما تحملته من البلاد وأصبحت عودتى لا معنى لها. ~~[illegible]~~ وكانت

فكرة تشكيل مجلس نواب [illegible] الأستقلال ~~[illegible]~~ فانتخبت عضوا فى

مجلس النواب فى مصر المستقل، ~~[illegible]~~ وكنت

أصغر الأعضاء سنا (ابن [illegible]) وقابلت الدكتور [illegible] ثقة

سعد باشا فأخذنى معه لمفاوضة ماكدونالد

فى عام ١٩٢٤ وطالت غيبة زغلول باشا طول الصيف بين

باريس ولندن ثم فشلت المفاوضات مع ماكدونالد أول وزارة عمالية فى تاريخ بريطانيا

وأصبحت مشتركا فى كل الحركات الوطنية المصرية ورغم التحامى

بحزب الوفد كنت صديقا ومتعاونا مع بقايا الحزب الوطنى

ص (٢٨٨)

وغيره من الهيئات المتطرفة والمعتدلة المصرية
ذهبت الى ليبيا وقرينا مسلما
وللصحف، وزحفت من الجراد في ليبيا بعد ثمانية سنة عربيا في النزعة
وصارت الوحدة العربية أعظم شأنا عندي من
كل الأحزاب المحلية. X وهي لذلك السبيل لسكونه مصريا وقفيح وهكذا وتدريجيا صرت المركز المصري
للدعوة العربية للوحدة وما صدرت مقالاتي في ذلك ما الأقطار
الأخرى المشرقية بعد أن عرفت في المغرب وعرفته. X ولما حضرت مؤتمر فلسطين ١٩٣١ في القدس خطبت
خطبة قوية بالنسبة للحرية والوحدة. وكلمة في آخر ليلة وآخر المؤتمر خطبت وأخرها
خطبة عما يجري في ليبيا وكانت من أقسام الجلسات
أثرت في المؤتمر كله. وكان الانجليز قد اتفقوا مع
مفتي فلسطين الحاج أمين بأنهم لا يأذنون لعقد
المؤتمر إلا إذا وعد بأن لا يهاجم دولة أجنبية ولم
أجنبية كفرنسا بالشام وعلى الخصوص موسوليني وإيطاليا
في ليبيا. فلما هجمت على ايطاليا وموسوليني لم
يستطع أحد أن يسكتني لأنني أبلغت الجميع
فقضية على الانجليز ~~ووصولي الى مصر~~ خطفا وأسافر
بسرعة الى عكا لا أدري والتشفت بعد
ذلك أنني في غزة معتقلا. ثم أرسلت الى مصر
وفي حدودها تركوني. ثم اعتذروا الى في مصر
بعد ذلك. بأنهم كانوا أعداء موسوليني ~~بد~~

(٢٨٩) ٦/

بأن لا تذكر اسمي لم التبعة في المؤتمر الإسلامي الفلسطيني

وفي هذه المؤتمر نشأت أول مؤسسة قيادية عربية/ تدعو للوحدة العربية واشتركت فيها (ممثلة في شخصي) مصر/ وكان من بين أعضائها شكري القوتلي ورياض الصلح وغيرهم أذكر بكلمة في مصر من عنى بالدعوة العربية وكان الاعتماد على أن مصر ليست عربية وأنني وحيدا في الدعوة بها ولكنهم عملوا مني في تلك الهيئة السرية. وكتبت بعدئذ مقالا في مجلة العرب بالقدس عنوانه "العرب أمة المستقبل" وكان موفقا فيما نقلته الصحف العربية/ وقررت الحكومة العراقية تدريسه في مدارسها وكان الأمير شكيب قد أعجب به كثيرا فكتب إلى القدس يطلب الإذن منه بطبع المقال وتوزيعه. وكانت مجلة العرب يحررها تلميذ له هو السيد عجاج نويهض. وأصبحت معروفا ومقصودا في الشرق العربي بعد أن كان قد عرفني المغرب العربي. وظلت مصر في كفاحها مع الإنجليز لا تعترف إلا بوطنيتي المصرية. وعرضت علي الوزارة فيها في ١٩٢٨ واعتذرت ولكني بقيت وطنيا مصريا متطرفا مجاهدا في نظر المصريين ولكن المشفق لهم بجاهدهم بجميع أفرادها [illegible] وأخرجهم للصراع وبقيت الوطني المتطرف مع الإنجليز/ حتى أن سعد باشا لما دخلت عليه مرة في مجلسه بحضور [illegible] وكانوا المستعمرين يدعون أنه اشتغل بقيد ذلك [illegible] المصرية. قال تعالى يا أبا عوف "هذا عربي" قال واحد صفر وواحد صفر ثم قلت صفر ثان قال لا بل صفر لأمة ثلاثة فقلت بل ثلاثة. قال إذا صاروا كذلك فأنا معك. واشتهر هذا القول ونقلته الصحف سنة ١٩٢٥ أو ١٩٢٦

(٢٩٠) ٧

فلما دارت الأيام ~~وتغيرت~~ وعلمت مصر أن المجموع مثلاثة
لا حيف أن تدفعت الى العروبة وهي اليوم أكثر العرب
تضحية في سبيل الفكرة التي دخلت كارهة. وفي الحقيقة
بغير إيمان مصر ينقطع المشرق العربي عن مغربه وتسود الشيع
المختلفة.

والآن تحلو الأحلام الى أن كل شئ حتى اليهود يعملون لتقريب
عهد الوحدة الشاملة العربية. وأصبح الإيمان به
يشمل كل الفئات والأحزاب والعامة والخاصة.

ولولى ~~[illegible]~~ مصادفات لم أكن أقصد أن أكتب هذا ولكني وأنا أكتب
إليك أن تدفعت إليه وفي الحقيقة أنه معروف ولكن قد يفيد
صاحبنا روماني. وأنت تعلم كثيرا من حياتي السياسية
في مصر سواء في مجلس النواب أو الصحافة أو الإذاعة أو الوزارة
والجيش المرابط والتحضير لمؤتمر الجامعة كوزير للشئون العربية
في الخارجية ... الخ

ولا أدري متى أستطيع أن أراه (أي روماني) فقبل بعد
موسم الحج وعودتي من المملكة إن شاء الله (إذا ذهبت) الأمر
سأجتمع به هنا أو في روما ونيويورك. وكذلك مع صاحبك
الآخر الذي تقول أنه يكتب رسالة.

(٢٩١)

١

ثم بعد فان الوالده بصحه جيده الحمد وتلح على الذهاب بشرط
ان أكون معها لقضاء فتره معك فى نيويورك . والله الميسر
عمر عاد بالسلام وحدثنا عن صلاته معك ملخونيا مختصراً
الأمور متوترة جداً على الجبهات العربيه الأسرائيليه .
وكذلك الحاله فى سوريا والأردن لا تهاون ومصر كثيراً على استشاف
القتال الآن
يظهر انى خلطت بين روحانى والآخر الذى قلت أنه يكتب رسائل
الدكتوراه عنى فى برنستون أو الثالث الذى يكتب على مصر منذ ١٩٢٢
ولعدك عنى يشعرنى بالحاجه للمعين أعاننى الله .
فالكتب ان شئت ورقم عن الثلاثه وما يريدون تركه لك
كانت الوالده وفى قالت لى ان أحد الأساتذه فى كاليفورنيا
قرأ الرسائل الخالده وهو يميل الى الأسلام وللدا لعصر اسأله .
ويريد عنوانى
جاءنا على بن محمدك وهو فى طريقه للعمل محامى لشركه صفا فى جده
وسافر أمس وحدثنا كثيراً عن الحاله فى مصر وهى أحسن كثيراً مخجه
نظر الناس بالنسبه للقوت .
وقد استغربت أنك لم تقلق ولم تشر لرفع الحراسه وورد فكلفنا النيابه
والحمد لله منذ شهر قد كتبت لك بذلك لأفرحك وقد يكون كتابى
لم يصلك . وقد بعثت لك مع القصاصات المطبوعه قصاصه من جريده
الأهرام وقد جاءنا على محمد عزام بنسخه من الوقائع المصريه وقد أخذتها

خطاب من عبد الرحمن عزام إلى ولده

(٢٩٢) ٩

في قرارهم (اما الطبع لم يكن ذلك في الوقائع المصرية) بل في قرار
اللجنة بالأسباب وأشارت الى قصاصة من الأهرام.
~~[illegible]~~ أننا لم نرتكب أي مخالفة لقانون الاصلاح الزراعي
والله هو الرزاق.

(٢٥٥١ يناير)
وصلني منذ مدة طويلة تلغراف من عبد المنعم شاكر فضل لي أنني
تحملت كل ما يمكنني. وحصلت مرارا على وعود قاطعة بشأن
مساعدتكم وليس في يدي شيء وسأستأنف ذلك عند
عودتي في موسم الحج ان شاء الله فأخبرني اذا كان سعينا
الأخير قد أثمر.

لقد أطلت عليك فأستودعك الله وأسأله ان يرعاك بعنايته

عبد الرحمن عزام

بيروت ١٨ فبراير ١٩٦١

مرفق - مرسل طيه بعض قصاصات جرائد
قد تفيد من قراءتها
ومرسل في ظرف على حده مجلة البترول
العربي لشهر يناير وبعض قصاصات أخرى

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق

١-الوثائق العربية غير المنشورة:

أ. دار المحفوظات العمومية بالقلعة.

- ملف خدمة عبد الرحمن عزام.

مسلسل ٢١٧٧ – محفظة ١٥٤٢ – عين ١٩٦ – مخزن ٤٢.

ب. دار الوثائق القومية.

- محافظ مكتب المشير.

دولاب ٧ – محفظة ١١٦ – ملف ٤ " القوات المرابطة ".

٢-الوثائق الإنجليزية غير المنشورة:

- مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية " Foreign office " ومنها مجموعة:

- F.O 371

أعوام	أرقام
1923	8883
	8988
1939	23336
1947	62985

٣-الوثائق العربية المنشورة:

أ. مضابط مجلس النواب المصرى.

- مضابط جلسات مجلس النواب المصرى عام ١٩٢٤م.

- القسم الرابع من تقرير لجنة فحص الطعون وتحقيق صحة النيابات – سنة ١٩٢٤.
- مضبطة الجلسة العاشرة – فى ٣٠ مارس ١٩٢٤.
- مضبطة الجلسة السابعة عشر – فى ١٣ أبريل ١٩٢٤.
- مضبطة الجلسة الثالثة والعشرين – فى ٢٧ أبريل ١٩٢٤.

- مضبطة الجلسة الثانية والأربعين – فى ٩ يونيه ١٩٢٤.
- مضبطة الجلسة الثالثة والأربعين – فى ١٠ يونيه ١٩٢٤.
- مضبطة الجلسة الخامسة والأربعين – فى ١٢ يونيه ١٩٢٤.

- **مضابط جلسات مجلس النواب المصرى عام ١٩٢٦م.**
  - مضبطة الجلسة الثانية – ١٢ يونيه سنة ١٩٢٦.
  - مضبطة الجلسة الحادية عشر – فى ٣١ يونيه سنة ١٩٢٦.
  - مضبطة الجلسة السادسة عشر – فى ٢٤ يوليه ١٩٢٦.
  - مضبطة الجلسة السابعة والعشرين – فى ٨ أغسطس سنة ١٩٢٦.
  - مضبطة الجلسة الثلاثين – فى ١١ أغسطس سنة ١٩٢٦.
  - مضبطة الجلسة الثانية والثلاثين – فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٦.
  - مضبطة الجلسة الثالثة والثلاثين – فى ١٦ أغسطس ١٩٢٦.
  - مضبطة الجلسة الثالثة والأربعين – فى ٣٠ أغسطس ١٩٢٦.

- **مضابط جلسات مجلس النواب المصرى عام ١٩٢٧م.**
  - مضبطة الجلسة الحادية والعشرين – فى ٢٤ يناير ١٩٢٧.
  - مضبطة الجلسة الثلاثين – فى ١٦ فبراير ١٩٢٧.
  - مضبطة الجلسة الثانية والخمسين – فى ٣ مايو ١٩٢٧.
  - مضبطة الجلسة الثانية والستين – فى ١٩ مايو١٩٢٧.

- **مضابط جلسات مجلس النواب المصرى عام ١٩٢٨م.**
  - مضبطة الجلسة الخامسة والأربعين – فى١٠ أبريل سنة ١٩٢٨.
  - مضبطة الجلسة الرابعة والثمانين – فى ٢٣ يونيه سنة ١٩٢٨.

- **مضابط جلسات مجلس النواب المصرى عام ١٩٣٠م.**
  - مضبطة الجلسة الأولى – في ١١ يناير ١٩٣٠م.
  - مضبطة الجلسة الثانية – في ١٥ يناير ١٩٣٠م.
  - مضبطة الجلسة الثالثة – في ٢٠ يناير ١٩٣٠م.
  - مضبطة الجلسة السابعة – في ٢٩ يناير ١٩٣٠م.
  - مضبطة الجلسة العاشرة – في ١٠ فبراير ١٩٣٠م.
  - مضبطة الجلسة الثانية والعشرين – في ٣ أبريل ١٩٣٠م.

- مضبطة الجلسة الثالثة والعشرين – في ٧ أبريل ١٩٣٠م.
- مضبطة الجلسة السابعة والعشرين– فى ١٤ أبريل ١٩٣٠م.
- مضبطة الجلسة السادسة والثلاثين – في ٢٨ أبريل ١٩٣٠م.
- مضبطة الجلسة الخامسة والأربعين – فى ٤ يونيه ١٩٣٠م.

- ملحق لمجموعة مضابط الدور الأول للفصل التشريعى الرابع.
- ملحق محضر الجلسة الأولى – في ٢٠ يونيه ١٩٣١.
- ملحق مضبطة الجلسة الأولى فى ٢٣ مايو ١٩٣٦.

ب. مكتبة جامعة الدول العربية:

- ملخص محاضر المشاورات مع العراق، شرق الأردن، المملكة العربية السعودية، سوريا، لبنان، اليمن – مطبعة فتحى سكر ١٩٤٩– القاهرة.
- محاضر جلسات اللجنة الفرعية السياسية لوضع مشروع ميثاق لجامعة الدول العربية– الجلسات١١، ١٢، ١٣– مطبعة فتحى سكر– القاهرة– ١٩٤٩.
- محضر جلسات مجلس الجامعة العربية – الجلسة السادسة من دور الانعقاد العادى الثانى عشر بتاريخ ١٣ أبريل ١٩٥٠م.

ثانياً: المذكرات

- أحمد شفيق باشا: مذكراتى فى نصف قرن – الجزء الأول – ١٩٣٤ – القاهرة.
- أحمد شفيق باشا: مذكراتى فى نصف قرن – الجزء الثالث – القسم الثانى – (من يناير ١٩٠٣: ١٩١٤) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٨م.
- د. محمد حسين هيكل:مذكرات فى السياسة المصرية– الجزء الأول (١٩١٢: ١٩٣٧) من الحماية إلى معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية – دار المعارف– القاهرة – ١٩٧٧م.
- د. محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة المصرية – الجزء الثانى – دار المعارف.
- محمد فريد: أوراق محمد فريد – (مذكراتى بعد الهجرة، ١٩٠٤–١٩١٩) – المجلد الأول– ٢٠٠٢– الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- جميل عارف: صفحات من المذكرات السياسية لأول أمين عام للجامعة العربية "عبد الرحمن عزام"– الجزء الأول– المكتب المصرى الحديث.

ثالثاً: الدوريات

- جريدة الوقائع المصرية: العدد ٩٧ في نوفمبر ١٩٢٩م.
- جريدة الوقائع المصرية: العدد ٨٢ فى ١٨ أغسطس ١٩٣٩م.
- جريدة الوقائع المصرية: العدد ٨٤ فى ٢٤ أغسطس ١٩٣٩م.
- جريدة الوقائع المصرية: العدد ٩١ في ٤ أغسطس ١٩٣٩م.
- ملحق جريدة الوقائع المصرية: العدد ٩١ فى ٤ أغسطس ١٩٣٩م.
- جريدة الوقائع المصرية: العدد ١٣٤ فى ١٩ نوفمبر ١٩٤٤م.
- جريدة الأهرام: العدد ١٨٥٥١ فى ٩ أغسطس ١٩٣٦م.
- جريدة الأهرام: العدد ١٩٧٣٣ فى ١٩ أغسطس ١٩٣٩م.
- جريدة الأهرام: العدد ١٩٧٤٤ فى ٣٠ أغسطس ١٩٣٩م.
- جريدة الأهرام: العدد ١٩٧٤٥ فى ٣١ أغسطس ١٩٣٩م.
- جريدة الأهرام: العدد ١٩٧٨١ فى ٦ أكتوبر ١٩٣٩م.
- جريدة الأهرام: العدد ١٩٧٨٩ فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٩م.
- جريدة الأهرام: العدد ١٩٨٣٨ فى ٢ ديسمبر ١٩٣٩م.
- جريدة الأهرام: العدد ٢٠١٢٠ فى ١٠ سبتمبر ١٩٤٠م.
- جريدة الأهرام: العدد ٢١٤٨٠ فى ٣ نوفمبر ١٩٤٤م.
- جريدة الأهرام: العدد ٢١٤٨١ فى ٥ نوفمبر ١٩٤٤م.
- جريدة الأهرام: العدد ٤١٧٧٠ فى ١٧ أبريل ٢٠٠١م.
- جريدة دمياط: فى ٢ ديسمبر ١٩٤٠م.
- جريدة المصري: فى ٢ سبتمبر ١٩٣٩م.
- جريدة المصرى: فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩م.
- جريدة المصرى: فى ٤ سبتمبر ١٩٣٩م.
- جريدة المصرى: فى ٢٩ سبتمبر ١٩٣٩م.
- جريدة المصرى : فى ٢ أكتوبر ١٩٣٩م.
- جريدة المصرى: فى ١٣ أكتوبر ١٩٣٩م.
- جريدة المصرى : فى ٣ نوفمبر ١٩٣٩م.
- جريدة الدستور: فى ٢٨ أغسطس ١٩٣٩م.

- جريدة الدستور: فى ٣٠ أغسطس ١٩٣٩م.
- جريدة الدستور: فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩م.
- جريدة الدستور: فى ١ أكتوبر ١٩٣٩م.
- جريدة الدستور: فى ١٩ ديسمبر ١٩٣٩م.
- جريدة الدستور: فى ٤ فبراير ١٩٤٠م.
- جريدة الدستور: فى ٦ مارس ١٩٤٠م.
- جريدة البلاغ: فى ٢٩ أغسطس ١٩٣٩م.
- جريدة البلاغ: فى ٦ سبتمبر ١٩٣٩م.
- جريدة البلاغ: فى ٣١ أكتوبر ١٩٣٩م.
- جريدة البلاغ: فى ٧ ديسمبر ١٩٣٩م.
- جريدة البلاغ: فى ٢٧ يناير ١٩٤٠م.
- جريدة البلاغ: فى ٣ فبراير ١٩٤٠م.
- جريدة البلاغ: فى ١٣ مارس ١٩٤٠م.
- جريدة المقطم: فى ٢٩ أغسطس ١٩٣٩م.
- جريدة المقطم: فى ٣٠ أغسطس ١٩٣٩م.
- جريدة المقطم: فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩م.
- جريدة المقطم : فى ٢٨ يناير ١٩٤٠م.
- جريدة الاثنين: فى ٤ سبتمبر ١٩٣٩م.
- جريدة الوفد: فى ٣١ أغسطس ١٩٣٩م.
- مجلة روز اليوسف: فى ٦ ابريل ١٩٤٠م.
- مجلة روز اليوسف: العدد ٩١١ فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٥م.
- مجلة نصف الدنيا: العدد ٥٨٧ فى ١٣ مايو ٢٠٠١م – مؤسسة الأهرام.
- مجلة نصف الدنيا: العدد ٥٨٩ فى ٢٧ مايو ٢٠٠١م – مؤسسة الأهرام.
- مجلة نصف الدنيا: العدد ٥٩٠ فى ٣ يونيه ٢٠٠١م – مؤسسة الأهرام.
- مجلة المصور: فى ٨ سبتمبر ١٩٣٩م.
- مجلة المصور: العدد ٧٨٩ فى ٢٤ نوفمبر ١٩٣٩م.
- مجلة المصور: فى ١٦ فبراير ١٩٤٠م.

- مجلة المصور: فى ٢١ مارس ١٩٤٠م.
- مجلة المصور: فى ٢٣ أغسطس ١٩٤٠م.
- مجلة المصور: العدد ١٣٦٢ فى ٢٠ يناير ١٩٥٦م.
- مجلة آخر ساعة المصورة: العدد ٢٦١ فى ٢ يوليه ١٩٣٩م.
- مجلة آخر ساعة المصورة: العدد ٢٧٢ فى ١٧ سبتمبر ١٩٣٩م.
- مجلة آخر ساعة: العدد ٢٠٠٥ فى ٢٨ مارس ١٩٧٣م.
- مجلة الرابطة العربية:العدد ٤١٩ فى ٤ نوفمبر١٩٤٤م.
- مجلة الرابطة العربية:العدد ٤٢١ فى ١٨ نوفمبر١٩٤٤م.
- مجلة الرابطة العربية: العدد ٤٢٦ فى ١٣ يناير ١٩٤٥م.
- مجلة الرابطة العربية، العدد ٤٣٦ فى ٢٤ مارس ١٩٤٥م.
- مجلة الرابطة العربية:العدد ٤٣٩ فى ١٤ أبريل ١٩٤٥م.
- محب الدين الخطيب: مجلة الفتح- العدد٦٥٣- فى ٢١ ربيع أول ١٣٥٨هـ.
- محب الدين الخطيب: مجلة الفتح- العدد ٦٥٤- فى ٢٨ ربيع أول ١٣٥٨هـ.
- محب الدين الخطيب: مجلة الفتح – العدد ٦٦٩- العام ١٤- ١٦ رجب ١٣٥٨هـ.
- محب الدين الخطيب: مجلة الفتح – العدد ٦٧٠ – العام ١٤ – ٢٣ رجب ١٣٥٨هـ.
- مجلة الهلال: الجزء الرابع- السنة ٤٢- فى ١ فبراير ١٩٣٤م.
- مجلة العزيمة: فى ٢ أبريل ١٩٤٠م.
- مجلة الجامعة العربية: العدد ١٠ – السنة الأولى فى ١٠ مايو ١٩٥٢م.
- مجلة الجامعة العربية: العدد ٥ – المجلد الأول فى ٤ أكتوبر ١٩٥٢م.
- مجلة أكتوبر: العدد ١٢٢٤ فى ٩ أبريل ٢٠٠٠م.
- مجلة الشباب: العدد ٣١١ فى يونيو ٢٠٠٣م.

٤-الوثائق العربية غير المنشورة:

ملفات موجودة بالمكتبة الخاصة بالدكتور/عمر عبد الرحمن عزام

وصادرة عن الإدارة العامة للجيش المرابط (رئاسة القوات المرابطة) بعنوان: "نظم المعسكرات".

رابعاً: اللقاءات الشخصية

- لقاء مع دكتور/ ممدوح عزام
  - تم بمنزله بالمعادى فى ٥ مايو ٢٠٠٠م.
- عدة لقاءات مع دكتور مهندس/ عمر عبد الرحمن عزام
  - تمت بمنزله بالمعادى فى: ٥ مايو ٢٠٠٠،

    ١٥ مايو ٢٠٠٣،

    ١٨ مايو ٢٠٠٣،

    ٢٠ يوليه ٢٠٠٣.

خامساً: الرسائل الجامعية

— رسائل علمية غير منشورة:

أ- رسائل ماجستير:

— حسين أحمد العطار: (البوليس المصرى ١٩٥٢ – ١٩٧١) – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب – جامعة الزقازيق – ١٩٩٦م.

— محمود أمين سويلم: حسين رشدى ودوره فى السياسة المصرية – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب – جامعة الزقازيق – ١٩٩٩م.

— مسئوله عطية على: "عبد الرحمن فهمى ودوره فى الحياة السياسية المصرية " – رسالة ماجستير غير منشوره – كلية البنات – جامعة عين شمس ١٩٩٢م.

ب- رسائل دكتوراه:

— حمادة إسماعيل: عبد الرحمن الرافعى – حياته وفكره – رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية البنات – جامعة عين شمس – ١٩٨٦م.

— فتحى محمد العفيفى: مشكلات الحدود السياسية فى منطقة الخليج – رسالة دكتوراه تحت النشر – كلية الآداب – جامعة الزقازيق – ١٩٩٨م،

— محمد عبد اللطيف عبد الحفيظ: إسماعيل صدقى ودوره في الحياة السياسية المصرية– رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب – جامعة الزقازيق – ١٩٩٤م.

سادساً: المؤلفات والبحوث والدراسات العربية:

— أبو الفتوح رضوان: القومية العربية– الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية– الطبعة الرابعة– ١٩٦٩.

— أحمد شفيق: حوليات مصر السياسية – الحولية الثالثة – سنة ١٩٢٦ – الطبعة الأولى – مطبعة حوليات مصر – القاهرة – سنة ١٩٢٦.

- **أحمد عبد الرحيم مصطفى**: تاريخ مصر السياسى من الاحتلال إلى المعاهدة – مكتبة سعيد رأفت – ١٩٦٧.
- **أحمد عطية الله**: (القاموس السياسى- دار النهضة العربية – الطبعة٣- ١٩٦٨).
- **أحمد الشقيرى**: الجامعة العربية (كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية)- دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع- تونس.
- **أرثر إدوارد جولد شميت (الابن)**: الحزب الوطنى المصرى (مصطفى كامل – محمد فريد) – ترجمة: فؤاد دوارة – تقديم وتعليق: فتحى رضوان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٣.
- **توفيق أحمد البكرى، إبراهيم شكر الله**: جامعة الدول العربية والقضايا التى عالجتها (١٩٤٥- ١٩٥٧)- أبريل- ١٩٥٧.
- **جاد محمد طه**: بريطانيا والجيش المصرى (١٩٢٤ – ١٩٢٧) فى ضوء الوثائق البريطانية – ١٩٩٧ – بدون دار نشر.
- **جاكوب لاندو**: فى كتابه الحياة النيابية والأحزاب فى مصر من ١٨٦٦ إلى ١٩٥٢- ترجمة وتعليق سامى الليثى- مكتبة مدبولى.
- **جامعة الدول العربية**: (خمسون عاماً) ١٩٤٥- ١٩٩٥- إصدار جامعة الدول العربية.
- **جامعة الدول العربية**: (ميثاقها وأهدافها وإنجازاتها)- إدارة الاستعلام والنشر – ١٩٦٣.
- **جلال يحيى**:المجمل فى تاريخ مصر الحديثة- الطبعة الثانية – المكتب الجامعى الحديث-١٩٨٤
- **جميل عارف**: الوثائق السرية لدور مصر وسوريا والسعودية (شاهد على مولد جامعة الدول العربية) – الدولية للإعلام والنشر- الطبعة الأولى- مارس ١٩٩٥.
- **حسن نافعة**: الفصل الرابع – من كتاب (جامعة الدول العربية) الواقع والطموح – مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى – بيروت- نيسان/أبريل ١٩٨٣
- **حنفى المحلاوى**: "شعراء أم كلثوم"-مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة -٢٠٠١
- **رأفت الشيخ**: مصر والسودان فى العلاقات الدولية – الطبعة الثانية – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٣
- ــــــ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر – دار الثقافة والنشر والتوزيع – القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- **رؤوف عباس**: مذكرات محمد فريد – القسم الأول (تاريخ مصر ابتداء من سنة ١٨٩١ مسيحية) – القاهرة – ١٩٧٥.
- **ريمون فلاور**: مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر- ترجمة سيد أحمد على الناصرى – تقديم ومراجعة:يونان لبيب رزق- المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠٠.

- **ريتشارد ميتشل:** " الإخوان المسلمون " – ترجمة عبد السلام رضوان، منى أنيس – مكتبة مدبولى – الطبعة الثانية – القاهرة – ١٩٨٥.
- **سامى أبو النور:** دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر ١٩٢٢-١٩٣٦ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٥.
- **سامى حكيم:** استقلال ليبيا بين جامعة الدول العربية والأمم المتحدة – دار الكتاب الجديد – ١٩٦٥.
- ـــ: ميثاق الجامعة والوحدة العربية- مكتبة الأنجلو مصرية- الطبعة الأولى- القاهرة- ١٩٦٦.
- **سعيد إبراهيم ذو الفقار:** الإمبريالية البريطانية فى مصر ١٨٨٢-١٩١٤ (تحليل بنيان استعمار) الناشر (Editions pluricl case Postale 254 ch 1211– Geneve 16).
- **سيد نوفل:** العمل العربى المشترك، ماضيه ومستقبله، الكتاب الأول – معهد الدراسات والبحوث العربية – القاهرة – ١٩٦٨.
- **طارق البشرى:** الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥-١٩٥٢ – الطبعة الثانية – دار الشروق – ١٩٨٣.
- **طاهر أحمد الزاوى (الطرابلسى):** أعلام ليبيا – الطبعة الأولى – ١٣٨١هـ /١٩٦١م – نشر وتوزيع مكتبة الفرجانى بطرابلس (ليبيا) – طبع بدار إحياء الكتب العربية.
- **عادل ثابت:** "فاروق الأول الملك الذى غدر به الجميع" – الطبعة الثالثة – أخبار اليوم – القاهرة – ١٩٨٩.
- **عارف العارف:** تاريخ بير السبع وقبائلها- مطبعة بيت المقدس- سنة ١٩٣٤م.
- **عبد الحميد محمد الموافى:** مصر فى جامعة الدول العربية – (دراسة فى دور الدولة الأكبر فى التنظيمات الإقليمية)-(١٩٤٥-١٩٧٠)-الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٨٣.
- **عبد الخالق لاشين:** سعد زغلول (دوره في السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤) – تقديم د. أحمد عبد الرحيم مصطفى- دار المعارف المصرية)
- **عبد الرحمن الرافعى:** " مصر بين ثورة ١٩١٩ وثورة يوليو ١٩٥٢" دراسات قومية – العدد السابع – مطابع الشروق- القاهرة.
- ـــ: مصر (البعث الوطنى) – دراسات قومية " العدد الخامس " – مطابع الشروق – القاهرة – ١٩٧٩.
- ـــ: مصر (الثورة العرابية) – دراسات قومية " العدد الثالث " – مطابع الشروق – القاهرة – ١٩٧٩.
- **عبد الرحمن عزام:** الرسالة الخالدة- الطبعة الثانية-١٩٥٤- دار الكتاب العربى.

- **عبد العظيم رمضان**: تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٦ – الطبعة الثانية – مكتبة مدبولى – القاهرة – ١٩٨٣.
- **عبد الوهاب بكر**: الدولة العثمانية ومصر في النصف الثانى من القرن الثامن عشر، دار المعارف– الطبعة الأولى– ١٩٨٢.
- ــــــ: العلاقات السرية بين الملك فؤاد والخديو عباس حلمى – (بحث مستخرج من المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع والثلاثون، سنة ١٩٨٧) – الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- ــــــ: تاريخ مصر الحديث " العهد العثمانى الثانى ١٧٩٨ – ١٩١٤ " مجموعة محاضرات ألقيت بكلية الآداب جامعة الزقازيق – ١٩٩٥.
- ــــــ: صفحات من تاريخ مصر المعاصر – مجموعة محاضرات ألقيت بكلية الآداب جامعة الزقازيق – عام ١٩٩٤.
- ــــــ: دراسات فى تاريخ مصر المعاصر – مجموعة محاضرات ألقيت بجامعة الزقازيق – ١٩٨٧.
- ــــــ: (مصر فى النصف الثانى من القرن العشرين) – المطبعة الفنية الحديثة – الزقازيق – الطبعة الأولى – ١٩٩٣.
- ــــــ: الوجود البريطانى فى الجيش المصرى من ١٩٣٦ إلى ١٩٤٧– دار المعارف– الطبعة الأولى– ١٩٨٢.
- ــــــ: "الجيش المصرى وحرب فلسطين ١٩٤٨– ١٩٥٢" – دار المعارف– الطبعة الأولى– ١٩٨٢.
- **على الدين هلال**: السياسة والحكم فى مصر (العهد البرلمانى ١٩٢٣–١٩٥٢) – مطبعة جامعة القاهرة – ١٩٧٧.
- **على باشا مبارك**: الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة – الجزء ١٢ – الطبعة الأولى – المطبعة الكبرى الأميرية – ببولاق مصر المحمية، سنة ١٣٠٥هـ.
- **على شلبى، مصطفى النحاس جبر**: الانقلابات الدستورية فى مصر ١٩٢٣–١٩٣٦"– الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨١.
- **على محافظة**: الفصل الأول – (النشأة التاريخية للجامعة العربية) من كتاب جامعة الدول العربية– الواقع والطموح– مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى – بيروت– نيسان/أبريل ١٩٨٣.
- **عمر عبد العزيز عمر**: تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٥١٧ – ١٩٢٢) – دار المعرفة الجامعية – ٢٠٠٥.

- **فاروق رجب:** عظماء ومشاهير السعيدية " مدرسة الوزراء "- الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م- مؤسسة فيج بوكس البريطانية للنشر- مطابع الأهرام.
- **مارسيل كولومب:** تطور مصر ١٩٢٤- ١٩٥٠، ترجمة زهير الشايب، تقديم د. أحمد عبد الرحيم مصطفى - مكتبة مدبولى.
- **محسن محمد:** التاريخ السرى لمصر- دار المعارف - القاهرة- بدون تاريخ.
- **محمد جلال نعمان:** جامعة الدول العربية- سلسلة المعارف - الناشر المكتب العربى للمعارف.
- **محمد حافظ غانم:** محاضرات عن الجامعة العربية- معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٦٥، ١٩٦٦.
- **محمد عبد الوهاب الساكت:** (الأمين العام لجامعة الدول العربية). اختصاصاته السياسية والإدارية ودوره فى قوات الطوارئ العربية - دراسة فى أسلوب العمل ونظامه داخل جامعة الدول العربية- دار الفكر العربى- ١٩٧٣/١٩٧٤.
- **محمد على رفاعى:** الجامعة العربية وقضايا التحرر - الطبعة الأولى - مطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر - القاهرة - مايو ١٩٧١.
- **محمد فهمى لهيطة:** تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٤٤.
- **محمد نصر مهنا:** مشكلة فلسطين أمام الرأى العام العالمى (١٩٤٥-١٩٦٧) - دار المعارف - ١٩٧٩.
- **محمود عبد الحليم:** الإخوان المسلمون (أحداث صنعت التاريخ)- الجزء الأول ١٩٢٨-١٩٤٨- رؤية من الداخل - دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.
- **مجدى حماد:** جامعة الدول العربية (مدخل إلى المستقبل) - سلسلة (عالم المعرفة) - مطابع السياسة - الكويت - ديسمبر ٢٠٠٣ / يناير ٢٠٠٤.
- **نبيه بيومى عبد الله:** تطور فكرة القومية العربية فى مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٥.
- **هارون هاشم رشيد:** جامعة الدول العربية - دار سراس للنشر - تونس - مارس -١٩٨٠.
- **وحيد الدالى:** أسرار الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام- مكتبة روز اليوسف - يناير- ١٩٨٢.
- **يوسف خليل يوسف:** القومية العربية ودور التربية فى تحقيقها دار الكاتب العربى للطباعة والنشر- القاهرة ١٣٨٦- ١٩٦٧.

- يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ – ١٩٥٣ – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام – وحدة الوثائق والبحوث التاريخية – مطابع الشروق – القاهرة – ١٩٧٥.

الموسوعات

- موسوعة وكالة أنباء الشرق الأوسط: أعلام مصر فى القرن العشرين – رئيس التحرير مصطفى نجيب – الطبعة الأولى – فبراير ١٩٩٦.
- موسوعة الشخصيات المصرية: " عبد الرحمن عزام " – الهيئة العامة للاستعلامات – بدون تاريخ – بدون جهة طبع.

سابعاً: المراجع الأجنبية

- *Abd al Rahman Azzam the first Secretary-General of the Arap league- 1945-1952- a group of friends of the Arab league.*
- *(Biographical Dictionary of Modern Egypt- Arthur coldschmidi Jr.) (American university in Cairo - 2000)*
- *Ralph M. Coury: (the making of an Egyptian Arab Nationalist- the Early years of Azzam Basha 1893-1936) London First Edition-1998.*

ثامناً: الأوراق الخاصة

- خطاب من عبد الرحمن عزام باشا إلى ولده عصام – بيروت – ومؤرخ فى ١٨ فبراير ١٩٦٨ ومرفق بالملاحق.

فهـــرس المحتويــات

المحتويات